

ترجمة

الدكتور سعيد عبده

الملايين الأربعة

مجموعة قصص قصيرة

تأليف

القصصي الأمريكي الشهير

و. هنري

ترجمة

الدكتور سعيد عبده

نشر بالاشتراك
مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر
بالقاهرة ونيويورك
هذه الترجمة مرخص بها
وقد قامت مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر بشراء حقوق
الترجمة من أصحاب هذه الحقوق ونزلت عنها لدار أخبار اليوم

تمهيـــد

أعترف أني لم أكن قرأت شيئا من قصص « أو • هنرى » مؤلف هذا الكتاب ، قبل أن يعهد الى في ترجمته ، اللهم الا قصة وقعت لى عفوا فى بداية حيـاتى ، فحاولت أن أقرأها ، فأعيتنى لغتهـا ، واستعصت على ، فرميت الكتاب من يدى ، ولم أعـد الى هـذه التجربة قط •

وعندما عهـدت الى « **مؤسسة فرانـكلين** » فى كتاب « **الملايين الاربعة** » لأترجمه، عاودتنى هذه الخشية القديمة من وعورة « **أو • هنرى** » ، واستثقلت المهمة، وكدت أرفضها ، لولا أنى عنـدما قرأت قصة « **هدايا المجوس** » عرضا ، ثم عدت فدرستها دراسة مترجم، ألفيت نفسى أمام عملاق من عمالقة القصـة القصيرة ، تلذ التلمـذة عليه وتفيد •

وتابعت قراءة الكتاب ودراسته فى لهفة وتشوق ، ووقفت طويلا أمام تلك الجمل القصـار العامرة بالحياة والعاطفة ودقة التصوير ، عمرانها بألوان الاستعارة والكناية والتشبيه التى أولع بها **أو • هنـرى** ، والتى تبـدو فى بعض حالاتها ، وفى بداية أمـرها ، وبالنسـبة للقـارىء غير الضليع فى اللغـة الامريكية ، أشـبه ما تكون بالاحاجى والالغـاز ، فاذا استوعبها القارىء تكشفت له عن روائع •

وهالتنى لأول وهلة تلك المفاجآت التى يعمر بها **أو • هنرى** معظم قصصـه ، فينتقل بك من صورة الى صورة ، ومن معنى الى آخـر ، لا يبدو أن بـين أحدهما والآخر أى ارتباط ، فاذا مضيت فى القراءة قليـلا ، بدأ شعاع من نور باهر يشرق على تلك الصور والمعـانى المتفرقة ، فيؤلف من مجموعها هيكلا فنيا رائعا منسجما لقصة بديعة من قصص الحيـاة ، تـكاد ترى لون الدم فى عروقها النابضة •

ان الملايين الأربعة ليست عنوان قصة من قصص هذا الكتاب ، وانما هي الرقم الذي يدل على سكان نيويورك ، في بداية هذا القرن ، أو في عقده الاول على التقريب ، حيث عاش أو • هنري أخصب ثماني سنوات من حياته القصيرة ، وحيث بلغ الاوج من مجده الادبي ، وحيث استوحى قصص هذا الكتاب من حطام السفن الغارقة أو المشرفة على الغرق في هذا الخضم البشري المتلاطم •

***

ولد أو • هنري سنة ١٨٦٢ ، بولاية كارولينا الشمالية ، ومات سنة ١٩١٠ ، ولم يلمع ككاتب قصصي الا سنة ١٩٠٢ • أما الاربعون عاما التي مرت من عمره قبل ذلك ، فقد قضاها في قطاف التجارب التي ترى آثارها في كتاباته ، من حقل المحن والمآسي التي صادفها في الحياة •

ماتت أمه بالسل وهو في الثالثة من عمره •

ووقف تعليمه في الخامسة عشرة ، ولكن عمته التي كانت تدير مدرسة حرة حفزته على القراءة ، على قراءة القصص بنوع خاص ، وهيأ له عمه وسيلة للعمل في مخزن كان يملكه لبيع العقاقير •

واشتغل رساما في مصلحة الاملاك ، وكان زملاؤه يتوقعون له مستقبلا في التصوير الكاريكاتوري •

ثم تزوج من فتاة مات أبواها بالسل ، وكان مقررا أن تموت هي الاخرى في بضع سنوات •

ومات أول طفل أنجباه •

وفشلت محاولة قام بها لانشاء مجلة أسبوعية فكاهية •

واشتغل صرافا في بنك ، فظهر في حساباته عجز وصل الى الف دولار ، فطرد ، وحوكم بعد سنوات ، ففر من المحاكمة •

واضطره مرض زوجته الى العودة ، فضبط ، وأعيدت محاكمته ، واتخذ فراره قرينة عليه ، فسجن بضع سنوات •

وبدأ في السجن كتابة قصصه الرشيدة ، التى كان يمزج فيها بين تجاربه وما يتلقفه من أفواه السجناء •

ولم تجد هذه القصص طريقها الى الصحافة الا فى سنة ١٨٩٩، وهو يعيش فى احدى الغرف المفروشة الحقيرة ، التى يجد القارىء فى قصص هذا الكتاب وصفا لمثيلاتها فى نيويورك ، فعرضت عليه احدى صحف هذه المدينة دخلا ثابتا اذا قدم الى نيويورك ، فنزح اليها فى ربيع ١٩٠٢ •

***

وما تبع ذلك كان قصة نجاح فذ أشبه ماتكون بالاساطير •

ففى أقل من ثمانى سنوات أصبح **أو • هنرى** أكبر قصاص مقروء فى أمريكا ، وسبى ألباب قرائه بقصصه التى التقط أكثر أفكارها من الازقة المنسية ، والغرف المفروشة فى أحقر بيوت الكراء •

ومن أشهر كتبه فى هذه السنوات الثمان : « الكرنب والملوك» و « الملايين الاربعة » ، وأصدر فى ١٩٠٧ « المصباح المزركش » و « قلب الغرب » وفى ١٩٠٨ « صوت المدينة » وفى ١٩٠٩ « طرق المقادير » ، و « العروض » وفى ١٩١٠ « عمل ليس الا » ، و « أعاصير » ، وصدرت له بعد وفاته كتب « البستانى الرقيق » و « الحجارة الدوارة » و « أبناء السبيل » •

***

سئل **أو • هنرى** ذات مرة وهو يجلس فى مطعم مع بعض الصحفيين : « من أين يستمد أفكار قصصه » فقال : « من كل مكان ، فقلما تجد شيئا لاينطوى على قصة » • وأمسك بقائمة الطعام فى يده ، وقال : « اليكم هذه القائمة مثلا ، ان من الممكن أن تجدوا قصة وراء حروفها الخرساء » • ثم راح يضع الخطوط الرئيسية لقصته : « ربيع تحت الطلب » المنشورة فى هذا الكتاب •

ان طريقته فى القصة أن يمسك بالشىء التافه المألوف فى الحياة ، فيمزج بينه وبين تجربة من تجارب حياته الخاصة ، ثم

يضفي على هذا المزيج بعض الالوان من ريشته الفلسفية المازحة . فاذا بالشيء التافه المألوف يستحيل الى خلق جديد ، واذا الصدفة الفارغة المهملة على ساحل الحياة ، قد عمرت — من حرارة أنفاسه ، وعواطف قلبه الوديع — بلؤلؤة تحار في جمالها الالباب .

***

لقد قال عنه أحد معاصريه انه كان شخصا أشبه ما يكون بالطفل ، قليل الحيلة ، مبرأ من كل دوافع الغدر والخداع .

وقال عنه آخر : انه كان رصينا هادئا ممتلئ القلب بالرحمة ، يهوى التجول ليلا في المدينة ليدرس عن كثب وجوه الناس ، ويستبيه الجلوس في مطعم ما في رفقة صديق لايتكلم .

ولعل المرض الذى استودعته أمه اياه ، يوم ماتت عنه ، وهو طفل شاحب هزيل ، والذى اخترمه في ريعان العمر وفي السابعة والاربعين ، كان له فضل كبير في تلك اللمحة الانسانية المشرقة التى تسطع من قصصه جميعا ، وتجعل منها متحفا للحياة في وقته ، تكاد تنطق وتتحرك فيه الدمى والتماثيل .

لقد تقاضى أو . هنرى عن احدى قصصه ٢٥٠ ريالا ، واشترى منه حق تحويلها الى مسرحية بخمسمائة ريال ، وكسب منها الذى حولها الى المسرح مائة الف ريال ! .. وسبحان من قسم الحظوظ .

ان مرارة تجارب أو . هنرى في الحياة ، وعاطفته الانسانية الشفافة ، وايمانه الراسخ في المقادير والمصادفات ، واقتصاده العجيب في كسو المعاني الضخمة بأبسط وأقل الجمل والالفاظ ، كل هذا يضفي على قصصه روحا تمنحه بجدارة لقب المعلم في فن القصص القصير .

سعيد عبده

الشرطي والأرغن



« كان السجن مشتاه منذ سنوات ، وكما كان السعداء من مواطنيه النيويوركيين يتاهبون للرحيل الى بالم بيتش والريفييرا كل شتاء ، كان هو يهيىء خطته المتواضعة لهذه الهجرة السنوية الى الليمان » .

الشرطي والارغن

تقلق **سوبي** على دكته في ميدان **ماديسون** • وعندما يعلو ثغاء الاوز ليلا ، وعندما تصبح النساءاللائي لا يملكن معاطف الفرو أشد ترفقا بأزواجهن ، وعندمايتقلق سوبي على دكته في المتنزه العام ، فاعلم أن الشتاء علىالابواب • ـ

ووقعت ورقة ذاوية في حجر**سوبي** ، فكانت ايذانا بمقدم فصل الجليد • ان هذا الفصل رءوف بالنزلاء الدائمين لميدان **ماديسون** ، يتلطف في انذارهم بمقدمه كل عام • وعلى نواصي الشوارع المتقاطعة يسلم بطاقته لريح الشمال الباردة ، وهي وصيفة قصر الخلاء ، حتى يتاهب للقائه نزلاء هذا القصر •

وأدرك **سوبي** الحقيقة الواقعةأنه قد آن له أن يحيل نفسه على لجنة فوق العادة من لجان الطرق والوسائل ، لتدبر له أمر الهول المقبل • ومن أجل ذلك تقلق فيمقعده •

ان مطامع **سوبي** المستكنة لمتكن شامخة ، فما كان بها موضع لنزهة في البحر المتوسط ، أواغفاءة تحت سماء الجنوب ، أو رحلة في خليج فيزوف • انروحه كانت ظمأى الى قضاء ثلاثة أشهر في الليمان ، ثلاثةاشهر يضمن فيها المأكل والمنام ، والرفقة الصالحة ، والنجاة منريح الشمال وأصحاب الكسى الزرقاء ، وقد بدت **لسوبي** هذهالاشهر الثلاثة كصفوة ما ينشد من آمال •

كان **سجن بلاكويل**مشتاه منذ سنوات ، وكما كان السعداء منمواطنيه النيويوركيين يتأهبون الرحيل الى **بالم بيتش** والريفييرا كل شتاء ، كان **سوبي**يهييء خططه المتواضعة لهذه الهجرة السنوية الى الليمان •وها هوذا الوقت يأزف ، فقد فشلت في الليلة السابقة ثلاثمن صحف يوم السبت المسائية ، تلفع بها تحت سترته وحول كعبيه وفوق خصره ، في حمايته من البرد ، وهو راقد فوق دكته ،على مقربة من النافورة المتدفقة

فى الميدان العجوز ، لذلك لاح السجن فى خاطر سوبى فخما وفى أوانه . لقد كان يزدرى مايقدم من عون لفقراء المدينة باسم الاحسان ، والقانون فى رأيه كان أرحم بهم من هذا الجود . وعلى أن المدينة بها عدد لاحصر له من الملاجىء البلدية والخيرية ، وكان فى استطاعته أن يستضيف أحدهما وينال المأوى والطعام الصالحين لحياة بسيطة ، فان كبرياء سوبى أنفت من هذه الصدقات . فأنت وان لم تؤد بالدرهم ثمن ماتاخذ من هذه الملاجىء ، فانك لابد مؤد بالذل والمهانة ثمن كل مزية تنالها من أيدى المحسنين . وكما ابتلى قيصر ببروتس فان كل سرير من أسرة الصدقات يبتلى بضريبة الاستحمام ، وكل رغيف من الخبز لاينال بغير استجواب عن المسائل الشخصية والخصوصيات . ومن أجل ذلك كان السجن خيرا وابقى ، لان السجن وان أخضع لبعض القيود نزيله الفاضل ، فانه لا يتدخل فى أموره الشخصية .

ومنذ عقد سوبى عزمه على الذهاب الى السجن بادر بالتاهب لتحقيق بغيته ، وعلى تعدد مايؤدى لهذا الغرض من وسائل ، فقد كان ألذها لديه أن يتعشى عشوة فاخرة فى مطعم كبير ، ثم بعد أن يشهر افلاسه ، يسلم نفسه للشرطة بوقار ودون حاجة الى هياج ، وعلى القاضى أن يقوم بما تبقى .

وترك سوبى الدكة وبارح الميدان ، عابرا هذا البحر المنبسط من الاسفلت الى حيث يلتقى الشارع الخامس بشارع برودواى ، فصعد فى شارع برودواى حتى وقف على مطعم يتلألأ بالانوار ، ويضم كل ليلة صفوة ماتنتج الكروم ، ودود القز ، والمادة الحية فى الاجسام .

كان سوبى مطمئنا الى مظهره من أدنى زرار فى صداره الى قمة رأسه ، فوجهه حليق ، وسترته لائقة ، وربطة عنقه النظيفة السوداء ذات العقدة الثابتة مهداة اليه من راهبة عيد الشكران . ولو أنه استطاع الوصول الى مائدة فى المطعم ، لنجح نجاحا لا ريب فيه ، لان الجزء الظاهر منه فوق مستوى المائدة لن يبعث الشك الى نفوس النزل . وجال فى خاطر سوبى أن بطة مشوية

تفي بالغرض اذا آزرتهـا زجاجةالنبيذ ، وقطعة من الجبن الاصفر وقدح من القهوة ، وسيجار يكفي فيه أن يكون بدولار • ومن ثم فلن تبلغ جملة التكاليف مبلغا يثير حفيظة الادارة ، ويدفعهـا الى اتخاذ اجراء شاذ • ويكون قدالتمس من اللحم في نفس الوقت شعورا بالشبع والسعادة يهيئه لرحلته الى منفاه •

ولكن سوبي لم تكد قدمه تطأداخـل المطعم ، حتى وقعت عـين رئيس الندل على بنطلونه المهلهل وحذائه البالي ، وسرعان ما كانت أيد قوية متأهبـة ترده القهقرى الى عـرض الطـريق في سرعـة وسـكون ، وتغـير ماكان يتوقع للبطة من مصير ذليل •

وانصرف سوبي عن برودواي بعدما اتضـح له أن سلوك هـذا السبيل الابيقوري لن يصل به الى السجن المرموق ، وأن عليـه أن يفكر في وسيلة أخرى للدخول •

وكشفت له الانوار الكهربائية ، والسلع المعروضة بخبث وراء ألواح الزجاج ، عن معرض حانوت في ناصية من نواصي الشارع السادس ، فالتقط سوبي حجراوقـذف به الزجاج فحطمـه ، وتراكض اليه جمع من الناس على رأسهم شرطي ، فوقف سـوبي هادئا ، واضعا يديه في جيوبه ،باسما بمرأى الزرائر الصفراء •

وقال الشرطي في قلق : « من فعل هذا ؟ »

قال سـوبي : « ألا يمـكن أن تستنتج أن لي علاقة بالموضوع ؟»

ولكن الشرطي رفض أن يتقبل سوبي حتى كدليل • فان الذين يحطمون زجاج المعارض التجارية،لايقفون للتحدث مع حماة القانون ، وانمـا يولون الادبار • ولمح الشرطي رجـلا يجـري عن كثب ليلحق بسيارة أوتوبيس ،فأشهر عصـاه وهب للطراد ، وانصرف سوبي والغيظ مالىء قلبـه من فشله مرتين •

ووجد على الجانب المقابل من الطريق مطعما جم التواضع،فيه شبع للشهوات الجشعة والمحافظ الخاشـعة ، ثقيـل الادوات والجو ، خفيف المفارش والحساء ،فاحتمل سوبي حـذاءه الداعي الى التهم ، وبنـطلونه الراوية عن قصص الزمان ، ويمم اليـه آمنـا شر التحـدي • وجلس الى مائدة ، وأكل لحمـا وكعكا ، وفطائر

وحلوى ، ثم اعترف للخادم بأنههو والدانق نقيضان لا يلتقيان ، وقال :

ــ « هيا الآن واستدع شرطيا ، ولا تدع سيدا فاضلا ينتظر »

وقال الخــادم بصوت منتفشوعين أشبه ماتكون بكرزةفي كأس من كوكتيل مانهاتان :

ــ لا شرطي لمثلك ٠٠ هيلا هوب !

وبخفة قذف به خادمان الى الطوار الحجرى ، فارتمى منبطحا على أذنه اليسرى ، ومن ثم تمــاثل للنهوض قطعة قطعة كما ينفتــح متر النــجار ، وراح ينفض عن نفســه التراب ، وخيل اليــه أن القبض عليه أصبح كالحلم الجميل،وأن السـجن يتناءى عنــه الى أبعد مما كان،وضحك منه شرطي كان يقف على مدخــل مطعم عــلى مسافة بابين ، وتولى الى سبيله ٠

وقطع سوبى خمس نواص من الطريق قبل أن تثوب اليه جرأة التفكير فى طريقة للقبض عليــهمن جديد ٠ وفى هذه المرة أتيح له ماهيأه الوهم انه فرصةفريدة،فقد وجد امرأة فتيــة تقف على معـرض حانوت ، مرتدية ثيـاباجذابة متواضـعة ، وتشــخص بشغف شديد الى المحابر ومصابن الحلاقة المعروضة ، وقد وقف على بعـد مترين منهـا شرطي ضـخممتجهم الاسـارير ، متــكىء على سدادة صنبور من صنابير الحريق٠

ودار فى خلد سوبى أن يلعبدور المتيم الحسيس المقــوت ، وشجعه منظر فريســته الانيق الرشيق ، وقرب الشرطي الواعى، على الاعتقــاد بأنه لن يلبث حتى يحس قبضة القانون الحلوة مطبقة على عضـده ، كافلة له الذهاب الى مشتاه الحبيب ٠

وعدل سوبى ربطة عنقه الثابتة العقدة والمهداة لهمن الراهبة، وأخرج أساور القميص من حيث انكمشت تحت الاكمـام ، وأمال قبعتــه الى زاوية قاتلة ، ومشى يختال نحو الفتـاة، ثم رنا لهــا وتصنع السعال المفاجىء ، وتنحنح ، ثم ابتسم وغمزبعينه،واندفع برقاعة الى وقاحة المتيم السليط ،والشرطي ــ كما رآه ســوبى بركن عينيه ــ يرقبــه لايريم ٠وتحركت الفتــاة بضع خطوات ، ثم عادت الى مصابن الحلاقة تركزعليهـا اهتمامها المســتغرق ،

فنسعها سوبى وخطا الى جانبهابجرأة ، ورفع قبعته قائلا :

ـ « أنتِ يابادليا ! ألا تحبين أن تصحبينى لنلعب معافى ساحة ببنى ؟ »

وكان الشرطى مازال يتبعه بعينه ، وما كان على الفتاة المطاردة لو شاءت الا أن تشير بأصبعها ، فبنال سوبى كل بغيته من مشتاه ، وتصور فعلا أنه يحس الدفء اللذيذ فى مركز الشرطة ساريا فى أوصاله . بيد أن الفتاة واجهته ملقية احدى يديها على كمه ، وقالت له فى ابتهاج :

ـ « بالتأكيد يامايك ، اذا كان فى قدرتك أن تعطينى حماما مملوءا برغوة الصابون .. لقد كنت على أن أجاذبك الحديث من نفسى ، لولا أن رأيت الشرطى ينظر الينا » .

واجتاز سوبى موقف الشرطى ، والفتاة متعلقة بذراعه تعلق البلابة بشجرة البلوط ، وهو غارق فى اليأس كأنه محكوم عليه بالحرية .

وعند الناصية التالية نصل من رفيقته ، وفر منها راكضا ، لم يقف الا فى الحى الذى تتلألأ الانوار فيه بالليل ، وتخف القلوب ، والعهود ، والاغانى ، ويطفر النساء بفرائهن ، والرجال بمعاطفهم ، مرحين فى برد الشتاء ... واستبد بسوبى ذعر مفاجىء من ان تكون رقية مروعة قد زودته بمناعة على القبض عليه !! وجال هذا الخاطر فى نفسه محفوفا باثارة من العذاب . وعندما قادته قدماه الى شرطى آخر يسترخى بوقار أمام مسرح يتلألأ بالاضواء ، قام فى نفسه بغتة أن يتعلق تعلق الغريق بقشة « الفعل الفاضح » !

ومن حيث وقف فى منعطف الطريق بدأ سوبى يصرخ صراخ الثمل بأعلى طبقة من صوته الخشن ، ثم راح ينبح ويهذى ، ويقلق حتى سكان السماء .

وهز الشرطى عصاه ، ثم أدار ظهره لسوبى وقال لشخص ما مر به :

ـ « انه صبي من صبيان جامعة ييل يحتفل ببيضة الاوزة التي يمنحونها لكلية هارتفورد، يضوضي، نعم، ولكنه لا يؤذي، ولدينا أوامر بتركهم احرارا ».

وشف سوبي الاسى، فكف عن عربدته غير المجدية، وساءل نفسه : أما من شرطي يقبض عليه ؟ وخيل اليه أن السجن أصبح جنة لا سبيل اليها، وزرر سترته الرقيقة ليدرأ بها عن نفسه الزمهرير.

وفي أحد حوانيت السجائر رأى رجلا أنيق الثياب يشعل سيجارا من شعلة تتراقص، وقد ترك مظلته الحريرية بجوار الباب عندما دخل. فاقتحم سوبي الحانوت، وأخذ المظلة، ومشى يتسكع بها على مهل، فجرى وراءه الرجل بالشعلة، وصاح به في جفاء :

ـ « هذه مظلتي » !

قال سوبي في تهكم أضاف فيه الوقاحة الى هذا الاختلاس الصغير :

ـ « آه ! أتظنها كذلك ؟ حسنا فلم لا تستنصر الشرطي. اني أخذتها. أخذت مظلتك ! فلم لا تستغيث ؟ ها هو ذا شرطي على ناصية الطريق. »

وطامن صاحب المظلة من خطاه، وكذلك فعل سوبي، يخالجه شعور خفي أن الحظ سيعاود الوقوف في سبيله.. وتطلع الشرطي فيهما بفضول..

قال صاحب المظلة :

ـ « طبعا.. هذه كثيرا ما تحدث مثل هذه الاخطاء. وآمل مادامت مظلتك أن تعذرني، فقد أخذتها من المطعم في الصباح، ومادمت تبينت فيها مظلتك، فأرجو أن ... »

قال سوبي في خبث :

ـ طبعا هي مظلتي !

وانسحب صاحب المظلة السابق، وأسرع الشرطي ليعين

شقراء فارعة ، تلبس معطف بهرة فاخراً ، على عبور الشارع امام سيارة أوتوبيس مقبلة من بعيد .

ومشى سوبى شرقا فى طريق عامر بحفائر الاصلاح ، فرمى المظلة محنقا فى حفيرة منها ، ولعن حاملى العصى ولابسى الخوذات ، أولئك الذين يحسبونه - لانه يشتهى الوقوع فى قبضتهم - ملكا معصوما ، ذاته لاتمس .

ووصل سوبى فى النهاية إلى شارع من شوارع المدينة الشرقية خبا فيه الضوء ، وهدأت الحركة ، فمشى فيه صوب ميدان ماديسون ، لأن غريزة المأوى تحيا ولو كان البيت دكة فى متنزه عام .

ولكن قدميه كفتا عن الحركة تماما عندما أتى ركنا استتب الهدوء فيه على حال غير مألوف ، وكانت ثمة كنيسة قديمة ، غريبة الطراز ، كثيرة المنحنيات ، هرمية السقف . ومن خلال الزجاج البنفسجى المصدوع فى احدى نوافذها ، لاح ضوء ضئيل ، من حيث كان عازف الارغن دون شك ، يغازل مفاتيح النغم فيه بهدوء ، ليستوثق من قدرته على عزف نشيد السبت المقبل ، فقد استقبلت اذن سوبى انغاما حلوة ملكت عليه لبه ، وسمرته فى تعاريج السياج الحديدى .

كان القمر مشرقا يتلألأ فى صفاء ، والسيارات والمشاة ندرة فى الطريق ، والعصافير تزقزق غافية على أطناف البناء ، وكاد المنظر ينم عن كنيسة قروية . ولقد شد اللحن الذى كان يعرفه عازف الارغن سوبى الى السياج شدا ، لانه عرف هذا اللحن يوم كانت تعمر حياته تلك الاشياء التى تسمى الامهات ، والورد ، والطموح ، والاصدقاء ، والافكار ، والاوشحة النظيفة .

واستطاع اختلاط هذه الحالة العقلية المتفتحة ، بالمؤثرات التى هزت نفس سوبى من الكنيسة القديمة ، أن تحدث فى روحه تطورا فجائيا عجيبا ، عرض فيه تحت ومضة من ومضات الذعر الهوة التى تردى فيها ، وأيام الهوان ، والشهوات الدنيئة ، والآمال الميتة ، والمواهب المصدوعة ، والنزوات الوضيعة التى تالف منها وجوده ...

وفى لحظة كذلك اســـتجاب قلبه بعنف لهذا الشعور الجديد، وثارت فى نفسه نزعة جارفـــة مباغتة لمصارعة حظه المغرق فى القنوط . انه سيجذب نفســه من الوحـــل ، وسيقهر نوازع السوء التى ملكت قياده .. ومازال فى الوقت متسع ، وفيـــه بقية من شباب .. وسيبعث من اكفانها مطامع صبـاه الوثابة ، ويجاهد فى سبيلها بلا تعثر . ان الحان الارغن الحلوة الخاشـعة قد أنشبت فيه ثورة، وسيذهب غدا الى حى المدينة الصـاخب يبحث فيه عن عمـل . لقـــد عرض عليه مستورد للفراء ذات يوم أن يعمل له سائقا، وسيجده فى الغد ، ويلتمس منه أن يلحقه بهذا العمل ، وسيصبح كائنا له اثره فى الحياة وسيكون ..

واحس **سوبى** بيد توضـــع على ساعده ، فتلفت على عجل ، فوقع بصره على وجه عريض ، وجه **شرطى** يسأله :

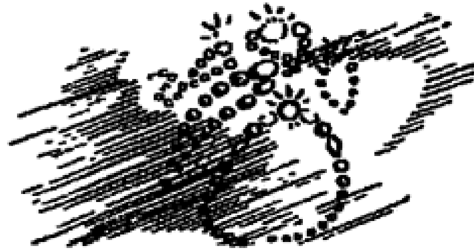
ـ « ماذا تصنع هنا ؟ »

قال **سوبى** : « لاشىء » !

قال **الشرطى** : « اذن فتعال معى »

وقال **قاضى المحكمة** فى صباح اليوم التالى : « ثلاثة اشهر فى الليمان ! »

هدايا المجوس



« تهادى الناس من قديم الزمن بالدر والجوهر ، وبالذهب والفضة ، وبالخز والديباج ..
. ولكن اية هدية منها يمكن أن تفوق هدية (ديلا) الى زوجها (جيم) . . ؟ ! »

هدايا المجوس (١)

كان كل مامعها دولارا وسبعة وثمانين دانقا ، منها ستون دانقا فرادى ، اقتطعتها بالدانق والدانقين من الشجار مع البدال والبقال والقصاب ، الى أن تحمر وجنتاها خجلا مما تلقى على شحها من الاتهامات الصامتة التى لابد منها فى مثل هذه المساومات .. ولقد عدتها ديلا ثلاث مرات دولارا وسبعة وثمانين دانقا. واليوم التالى عيد الميلاد ..

واتضح لها انه ما من شيء تستطيع عمله ، الا أن تنحط على الكنبة الصغيرة الرثة وتبكى! وكذلك فعلت ديلا ، وذلك ما يعزز الرأى القائل بأن الحياة تتكون من الدموع والتنهدات والبسمات ، وللتنهدات الغلبة.

فلندع ربة البيت تفش غلها رويدا ، ولنلق نظرة على البيت: انه مسكن مؤثث ، ايجاره ثمانية دولارات فى الاسبوع ، فقره لا يعجز الوصف تماما ، وان سهل على اى متسول أن يرى طابعه على الباب .

وكان فى دهليزه الاسفل صندوق للرسائل لم يحظ برسالة قط ، وزر جرس كهربائى لا تستطيع أصبع بشرية أن تروضه على الرنين . وعلى مقربة منه كانت بطاقة تحمل اسم «السيد جيمس ديلنجهام يونج » .

ان اسم ديلنجهام كان يلتمع فى عهد سعيد سلف ، يوم كان صاحبه يتقاضى ثلاثين ريالا فى الاسبوع . فاما وقد انكمش الدخل اليوم الى عشرين ريالا ، فان أحرف الاسم كادت تنطمس كما لو كانت تفكر جديا فى الاختزال الى حرف (د.) المتواضع .. بيد أن السيد جيمس ديلنجهام يونج ماكان يعود الى البيت ويصل الى مسكنه فى الطابق الاعلى حتى يدعى « جيم » ،

---

(١) المجوس ، قوم جاءوا الى السيد المسيح وهو رضيع فى المهد ، فاغدقوا عليه الهدايا بين ذهب ومر ولبان .

وتتلقاه بالمناق السيدة جيمس ديلنجهام يونج التى سبق تقديمها اليك باسم **ديلا** . ويا له كله من حال جميل .

فرغت ديلا من بكائها ، وأزالت عن وجنتيها اثر الدموع بالذرور ، ووقفت الى النافذة تنظر منها بكآبة الى قطة رمادية تمشي على سور رمادي ، فى رحبة رمادية . غدا عيد الميلاد ، وليس معها أكثر من دولار وسبعة وثمانين دانقا ، لتشترى هدية لجيم . لقد ادخرت كل دانق استطاعت ادخاره خلال شهور ، وهذا هو الرصيد .. ان عشرين ريالا فى الاسبوع لا تغنى . والنفقات زادت على ماكانت تقدر . وكذلك الحال على الدوام . وعليها أن تشترى من الدولار والسبعة والثمانين دانقا هدية لجيم - لحبيبها جيم - ولكم قضت من ساعات حلوة تفكر فى شيء جميل تقدمه اليه، شيء أنيق ، نادر ، أصيل .. شيء يمكن ببعض التجاوز ان يحظى بشرف الإنتماء الى جيم .

كانت مرايا مضلعة الزجاج تكسو الجزء الواقع بين نوافذ الحجرة من الجدار . ولعلك رأيت هذه المرايا المضلعة فى مسكن ايجاره ثمانية دولارات . ان جسما نحيلا على غاية من المرونة والقدرة على التثنى قد يستطيع أن يتبين صورته حليها فى مزق مستطيلة تتوالى بعضها وراء بعض . ولما كانت ديلا نحيفة القوام فقد حذقت هذا الفن .

واندفعت بغتة من النافذة ووقفت أمام المرآة بعينين تتلألآن .. ولكن ما هى الا ثوان حتى امتقع لونها ، وما أسرع ما حلت شعرها وتركته يتهاوى حولها على طوله .

ان جيمس ديلنجهام يونج وامرأته كان لهما ملكان(١) ، وكانا لكليهما مصدر فخار عظيم : الاول ساعة جيم الذهبية التى ورثها عن أبيه ، وورثها أبوه عن جده . والثانى شعر ديلا . ولو ان بلقيس ملكة سبأ كانت تعيش فى المسكن المقابل من المنور ، لارسلت ديلا يوما ما شعرها من النافذة ليجف ، لا لشيء الا لتكايد جواهر جلالتها ، وتزرى بما عليها من نفائس . ولو ان الملك

---

(١) الملك ، بضم الميم ، ما يملكه الانسان .

سليمان كان قيم البيت ، وكانت كنوزه مكدسة فى القبو ، لاخرج جيم ساعته كلما مر به لا لشيء الا ليراه ينتف لحيته من الحسرة والكمد .

كذلك تساقط شعر ديلا الفاتن من حولها ، مائجا براقا كينبوع من عسل ، واصلا الى ما تحت ركبتيها ، كاسيا اياها بمثل القباء او يكاد . ثم لم تلبث أن عقدته فوق راسها باضطراب ، وغمغمت لحظة ، ثم وقفت كالصنم ، تتساقط منها عبرة او عبرتان على البساط الاحمر البالى .

وفى لحظة ارتدت سترتها الرثة البنية اللون ، واتبعتها على عجل بقبعتها الرثة البنية اللون ، ورمت قمصانها حيثما اتفق ، واندفعت كالسهم الى الباب فصفقته من خلفها بعنف ، وهبطت السلم الى الطريق ، وبريق عينيها يتلألأ كما كان .

ووقفت عند باب كتب فى لافتة عليه « **مدام سوفرونى — لوازم شعر من كل نوع** » ، فصعدت **ديلا** الى الطابق الثانى ركضا ، واستردت انفاسها من أثر اللهاث ، ، وألفت نفسها امام مدام سوفرونى البدينة البيضاء كالشمع ، الباردة كالثلج ، التى لا تشبه من قريب اسم سوفرونى الرقيق .

وقالت ديلا : « ألك فى شراء شعرى .. ؟ »

قالت السيدة : « انى أشترى الشعر . . اخلعى قبعتك ودعينى أنظر اليه .. »

وسال ينبوع العسل !

قالت السيدة وهى ترفع غدائر الشعر بيد خبيرة :

— عشرون دولاراً .

قالت ديلا : « الي بها على عجل »

ورفت الساعتان التاليتان بأجنحة من غلائل الورد — وتناس هذه الاستعارة المهلهلة — فان ديلا كانت تنقب فى الدكاكين عن هدية جيم ، ووجدتها فى النهاية .. وفى الحق انها كانت كأنما صنعت لجيم دون سواه ، فما كان لها شبيه فى السوق التى قلبتها ظهرا

لبطن .. وتتألف من سلسلة من البلاتين لساعة جيب ، بسيطة أنيقة فى تصميمها البديع . ينم عن نفاستها جوهرها وحده ، لا ما يحليها من زخارف ، كما ينبغى أن تكون كل الاشياء الطيبة . بل انها كانت من النفاسة بحيث تليق بالساعة . وهى لم تكد تراها حتى أدركت أنها يجب أن تكون لجيم . فهى شبيهة به ، يجمع بينهما جامع النفاسة والهدوء . ولقد دفعت فيها واحدا وعشرين دولارا ، وأسرعت الى البيت ومعها الدوانق السبعة والثمانون . ان جيم وهذه السلسلة فى ساعته قد يشوقه أن يعرف الوقت فى أى مجلس يضمه . فلطالما نظر الى الساعة على فخامتها خفية ، بسبب تلك القطعة من الجلد التى كان يعلقها بها فى مكان السلسلة ..

وعندما عادت ديلا الى البيت كانت نشوتها قد ثابت الى شيء من الفطنة والعقل ، فأخرجت مكواة الشعر ، وأوقدت النار ، وشغلت نفسها باصلاح ما غال منها الجود والحب ، وما أشقه من عمل ينوء به فيل .. !

وفى اربعين دقيقة تغطى رأسها بوفرة (١) من خصل الشعر الصغيرة المتضامة ، جعلتها أشبه ما تكون بغلام فى اصلاحية أحداث ، وراحت تتأمل بنظرات طويلة ناقدة صورتها فى المرآة !

وقالت لنفسهــا : « ان لم يقتلنى جيم لاول وهلة ، فسيشبهنى بمغنية نكرة فى مدينة الملاهى . ولكن ماذا كان فى قدرتى أن أصنع بدولار وسبعة وثمانين دانقا .. ؟ »

وفى الساعة السابعة أعدت القهوة ، وكانت المقلاة على مقربة من الموقد المشتعل ، مهيأة لقلى شرائح اللحم الدنىء ..

ان جيم لم يكن يخلف ميعاده قط . فطوت ديلا السلسلة فى يدها وجلست على حافة المائدة المواجهة للباب الذى يدخل منه على الدوام ، وما لبثت ان سمعت وقع أقدامه على سلم الطابق الاول ، وامتقع لونها لحظة ، وكان من عادتها ان تصلى

---

(١) الوفرة ، ما بلغ شحمة الاذن من الشعر .

صلاة قصيرة صامتة كلما همت بشيء مهما تفسه ، فتضرعت هامسة : « يا رب ألهمه من فضلك أن يراني جميلة كما كنت » .

وفتح الباب ، ودخل جيم ، باديا عليه النحول والكآبة ، وزياله من مسكين يحمل أعباء أسرة في الثانية والعشرين ، معطفه الرث في حاجة الى التغيير ، ويداه بلا قفاز .

وقف جيم خلف الباب مشلول الحركة ، ككلب يتنسم رائحة الطريدة ، وتركزت على ديلا عيناه ، في نظرة لم تدرك كنهها ، ملأتها رعبا . نظرة ليس فيها غضب ولا دهشة ولا انكار ولا ذعر ولا أية عاطفة تهيأت لملاقاتها . كان شاخصا اليها وحسب بتلك النظرة الخرساء .

ونحت ديلا المائدة وهرعت اليه صائحة :

« حبيبي جيم .. لا تنظر الى هكذا . وقد قصصت شعري وبعته ، لاني لم أجرؤ أن أواجه عيد الميلاد بلا هدية لك .. لا عليك ، فيكبر من جديد .. لقد كان حتما على أن أفعل .. ان شعري ينمو بسرعة مدهشة . جيم . قل لي : عيد ميلاد سعيد . ولنسعد بالعيد ، انك لا تعلم باية هدية جميلة حلوة ساهاديك » ..

وتساءل جيم في عسر : « أقصصت شعرك .. ؟ » وكأنما أعياه أدراك هذه الحقيقة الجلية حتى بعد ما بذل من جهد عقلي عنيف .

قالت ديلا : « أجل قصصته وبعته . ألست تحبني الآن كما كنت تحبني من قبل .. ؟ على أية حال . انني أنا أنا ولكن بلا شعر ، ألست كذلك .. ؟ » .

وادار جيم طرفه في الحجرة على منوال غريب ثم قال وكأنما بله أو كاد : « تقولين ان شعرك زال .. ؟ »

قالت ديلا : « أبك من حاجة لان تنظر اليه .. ؟ لقد قلت لك أنه بيع ، بيع وانتهى كذلك . هذه ليلة عيد الميلاد ، يارجل ارفق بي فقد أضعته من اجلك .. ! »

ثم طافت بصوتها بغتة حلاوة هائلة وهى تقول : « لعل شعر رأسى كان يمكن ان يعد أو يحصى ، ولكن حبى لك لايقبل العد والاحصاء . هل اضع المقلاة على النار .. ؟ »

وأفاق جيم من ذهوله بغتة فعانق ديلاه .

ودعونا فى عشر ثوان نمعن النظر فى شىء طفيف وقع للطرف الثانى . أى فرق بين ثمانية دولارات فى الاسبوع ومليون دولار فى العام .. ؟ ان الحسابة أوسريع الخاطر سيخطئان حتما فى الاجابة عن هذا السؤال . ولقدحمل المجوس هدايانفيسة للسيد المسيح ، ولكن الشىء الطفيف الذى نعنيه لم يكن بين هذه الهدايا .

ودعونا نلقى شعاعا من الضوء على هذا الابهام .

أخرج جيم من جيب معطفه لفافة وألقى بها على المائدة ثم قال : « لا تسيئى بى الظن ياديلا ، فلست أحسب ان قص شعرك أو غسله أو تهذيبه ، أو شيئا مما يجرى فى هذا المجرى يستطيع ان يزعزع حبى اياك ،ولكن لعلك لو حللت هذه اللفافة لادركت لماذا أنتابنى الذهول » !

وعملت الاصابع البيضاء فى فك اللفافة بخفة ، وتلت ذلك صيحة فرح نشوان ،ثم وا أسفاه : انقلاب أنثوى سريع الى البكاء والنحيب ، تطلب من رب البيت أن يحشد له على عجل كل مواهبه فى التعزية والترفيه ..

وقد كان فى اللفافة طاقم من الامشاط فى علبة يتجاور فيها ظهرا لبطن .. أمشاط كانت ديلا تتعبد لها منذ زمن طويل فى معرض من معارض التحف بشارع برودواى .. ! أمشاط جميلة من صدف السلاحف النقى ، ذات حواش مطعمة بالجوهر بلون ينسجم مع جمال الشعر المقصوص . ولقد كانت تدرك نفاسة هذه الامشاط ، ومن أجل ذلك كان قلبها يحن اليها ، ويتلهف دون لمحة أمل فى أن تكون لها . وهى الآن ملكها ، ولكن غدائر الشعر التى كان ينبغى أن تزين هذه الحلية المشتهاة لم يعد لها وجود .

ومع ذلك فقد ضمتها الى صدرها ،واستطاعت بعد لأى أن تنظر اليها بعيون خابية ، وتقول باسمة : « ان شعرى سريع النمو يا جيم » ..

ثم وثبت ديلا وثبة هرة محرقة وصاحت : « أوه .. أوه »

ان جيم لم ير هديته بعد ، فرفعتها له على راحتها المبسوطة .. وبدا المعدن النفيس الخابى ، وكأنه يتوهج بشعاع ينعكس عليه من روحها الوهاجة الوامقة .

ـ « أليست جميلة يا جيم ؟ لقد ذرعت المدينة فى سبيلها . انك تستطيع الآن أن تتعرف الوقت مائة مرة فى اليوم . هات الساعة . أريد ان أعرف كيف تنسجم معها » .

وبدلا من ان يلبى النداء تهالك جيم على الكنبة ، وشبك راحتيه على قفاه ، وضحك ثم قال : « دبلا .. دعينا ننحى هدايا العيد جانبا الى حين . .انهما اجمل من ان يصلحا للوقت الحاضر . لقد بعت الساعة لاحصل على ثمن الامشاط . والآن أليس الاوفق أن تضعى اللحم فى المقلاة ..؟ »

***

ان المجوس كما تعلمون عندما جلبوا هداياهم للسيد المسيح وهو طفل فى المزود ، كانوا حكماء حكمة بالغة ، وهم الذين ابتدعوا فن الاهداء فى عيد الميلاد . ولما كانوا حكماء جاءت هداياهم حكيمة دون ريب ، ولعل مزيتها كانت امكان المبادلة عليها بسواها .. اذا كان لدى المهدى اليه مثلها . وهأنذا قد رويت لكم قدر ما يوسع قلمى العاجز ،التاريخ السلس لطفلين أحمقين ضحى كل منهما بطيش فى سبيل الآخر، بأغلى ما يملكان من كنوز !! وليكن الختام كلمة نقولها لحكماء هذا الزمن : ان هذين الاثنين أحكم من أهدى ومن أهدى اليه فى كل زمان ومكان ، انهما هما المجوس .

طالع السعد



« ان خطوط الكف لايمكن أن
تروى عن حظ لم يكتبه عليها
مقبض الفأس » .

كف توبين : طالع السعد

ذهبنا معا ـ توبين وانا ـ الى مدينة الملاهى ، فقد كنا نمتلك أربعة دولارات ، وكان توبين فى حاجة الى السلوى ، اذ أن حبيبته **كاتى ما هورنر** من أقليم سليجو ، انقطعت أخبارها عنه منذ بدأت رحلتها الى أمريكا قبل ثلاثة أشهر ، حاملة مائتى دولار كانت كل ما ادخرته ، ومائة أخرى باعت بها ماورثه توبين من ممتلكات على مستنقعات شانو (بايرلندة) • ويتكون هذا الميراث من كوخ لطيف وخنزير • ومنذ أن تسلم رسالتها التى أعلنته فيها أنها قادمة اليه ، لم يسمع عنها خبرا ، ولا اكتحلت له برؤيتها عين • ولجأ توبين الى الاعلان فى الصحف ، ولكنه لم يقف على أثر للفتاة •

وكذلك ذهبنا الى الملاهى أنا وتوبين ، وكلى أمل أن زلقة على الزوارق المنزلجة ، اذا أضيف اليها عبق « الفشار » ، قد تبعث الى قلبه نسمة عزاء • ولكن توبين كان صعب المراس ، وكان الاسى يملأ اهابه ، فقرع السن غيظا من صوت المزامير ، وقابل أشباح خيال الظل باللعنات ، ورغم انه لم يرفض دعوة الى كأس ، فان نشوة الخمر لم تزده الا حردا على شخوص « الاراجوز » ، يكاد يتحرش بها كلما ظهرت •

لذلك نحيته الى منعطف جانبى من المدينة ، مكسو بألواح الخشب ، كانت الملاهى فيه أقل صخبا • فما أن مررنا بصومعة لاتزيد مساحتها على ستة فى ثمانية أقدام ، حتى وقف منفرج الاسارير عن نظرة ، أقرب الى نظرات البشر ، ثم قال :

ـ « هنا أستطيع أن أتسلى •• هذه عرافة النيل العجيبة ، ساقرئها كفى ، وأرى أيكون ما قدر لى فيها أن يكون » •

كان توبين يؤمن بالآيات والخوارق ، وكان عقله مكتظا بالعقائد الشاذة حول القطط السوداء ، والارقام المحظوظة ، ونبوءات الطقس فى الصحف •

ودخلنا عش الدجاج المسحور ، وقد هول بسجف حمراء ، موشاة

بصور الاكف تقاطعت خطوطها وتشابكت ، كأنها ملتقى طرق حديدية ، وكتب على لافتة ببابه «مدام زوزو — العرافة المصرية» . وألفينا بالداخل امرأة بدينة ترتدى صدارا أحمر مطرزا بالشصوص المعقوفة وصور الوحوش ، فأعطاها توبين عشرة دوانق ، وبسط لها كفا كأنها حافر البغل ، فراحت تطالعها له لترى أتتكشف عن لؤلؤة فى الشبكة أم عن نعل قديم .

وقالت مدام زوزو :

— « يا رجل .. ان خط الحظ عندك يدل على قدم (١) » .

فقاطعها توبين :

— « هذه ليست قدمى البتة ، وما هى جميلة عن يقين ، ولكنها يدى ماتمسكين . »

واستأنفت السيدة :

— « يقول الخط ان حياتك حتى اليوم لم تكن مفروشة بالورود . لقد صادفتك نحوس ، وما زالت أمامك نحوس . ويدل نتوء الابهام

— أو لعل هذا ندبة جرح قديم — على أنك وقعت فى غرام ، وانك لقيت فى حياتك نصبا من معقد هواك .. »

وأمال توبين رأسه نحوى ، وهمس بصوت هادر مسموع :

— « انها تشير الى كاتى ماهورنر .. »

قالت العرافة :

— « وأرى كثيرا من الاحزان والخطوب ترتبط بشخص لا تستطيع أن تنساه ، وأرى فى خطوط الدلالة اشارة الى حرفين فى اسمها : الكاف والميم »

قال توبين فى دهشة : « هسست ! .. أتسمع ماتقول ؟ »

ومضت العرافة فيما كانت تقول :

« حذار من رجل أسمر ، وامرأة شقراء ، كلاهما سيجلبان لك

---

(١) القدم ، السابقة فى الامر خيرا كان ام شرا .

متاعب . وستركب البحروشنيكا ، وتمنى بخسارة فى المال . بيد انى أرى خطا فيه لك حظ سعيد . ان رجلا سيدخل فى حياتك يأتيك منه خير كثير ، وستعرفه بأنفه الاعوج عندما تراه » .

وساءلها توبين :

« هل تجدين اسمه مكتوبا ؟ سيعين هذا على بدئه بالتحية ، عندما يظهر ، ليملأ وطابى بالخير الكثير » .

قالت العرافة ناظرة نظرة المتأمل :

« خطوط كفك لاتبوح باسمه ، ولكنها تدل على انه اسم طويل ، وينبغى أن يكون فيه حرف واو ، وليس ثمة شيء آخر يقال . عم مساء ، ولا تغلق الباب » .

وبينما نتمشى نحو « الكورنيش » قال توبين : « ما أبرعها عرافة ! »

واذ نعبر باب الرصيف البحرى ونشق طريقنا فى غمرة الزحام ، لسع زنجى بسيجاره المشتعل اذن توبين . وبدأت المتاعب ، فان توبين وكزه فى قفاه ، فعلا صراخ النساء ، وببديهة سريعة نحيت الزنجى الضئيل عن الطريق ، قبل أن يحضر الشرطة ، فان توبين اذا ركبه رأسه لم تعرف لفظاظته حدود .

وسمعنا ونحن عائدان من نزهتنا البحرية رجلا ينادى :

ـ « من ذا الذى طلب الساقى الرشيق ؟

وحاول توبين أن يلقى التهمة على نفسه ، فقد أحس برغبة فى نفخ الرغوة عن كأس من الجعة ، ولكنه عندما وضع يده فى جيبه ، تبين له انه بريء لعدم كفاية الادلة ! ان أحدا ما قد سرق الدوانق التى كانت معه خلال ماحدث من هرج ومرج ! وكذلك جلسنا فى مقاعدنا عطاشا نصغى الى الالحان التى كانت تزجيها فرقة داجوس على ظهر السفينة . وما من شيء تغير على هذه الالحان الا روح توبين التى بدت أتعس مما كانت عندما بدأنا النزهة ، وأشد سخطا على خطوبه وبلاياه .

وكانت تجلس على مقعد بجوارسياج الزورق امرأة شابة ترتدى ثيابا تفحش فى الاناقة ، يكسوراسها شعر أشقر ذميم الشقرة ، واذ يمر بها توبين داس قدمها عفوا ، ولما كان الادب مع النساء من شيمته وهو مخمور، فقد خلع قبعته ، وحاول أن يديرها بيده فى حركة اعتذار ، فهوت منها ، وحملتها الريح فألقت بها فى الماء .

وعاد توبين فجلس ، وفى نفسى قلق من توالى شدائده على هذا المنوال ، فقد كان من شيمته اذا بالغ سوء الحظ فى تحديه ، أن يصبح عرضة لان يركل أى رجل يلقاه مهما تأنق فى ثيابه ، ولعله قد يحاول أن يهيمن على الزورق اغتصابا .

ولكنه لم يلبث حتى قبض على ذراعى بقوة ، وقال وهو جذلان :

ـ « جون .. أتدرك ما نحن فيه ؟ اننا نركب البحر .. »

قلت : « لا عليك .. هدىء من روعك .. ففى عشر دقائق يرسو بنا الزورق على الشاطىء » .

قال : « وانظر الى السيدة الشقراء الجالسة على الدكة المقابلة . ولعلك لم تنس الزنجى الذى كوى أذنى . ثم ألست أضعت من المال ريالا وخمسة وستين دانقا ؟ »

وحسبته يحصى مصائبه حتى يتخذ منها مبررا للعنف ، كما يفعل الناس عندما يخلقون عللا من هواهم لكل مايفعلون ، فحاولت أن أفهمه تفاهة مثل هذه الاشياء .

فقال توبين :

ـ « اسمع يا رجل .. ان فى أذنك وقرا لا تفقه موهبة النبوة ، ولا اعجاز الملهمين . ماذا روت لك السيدة العرافة من أسرار كفى ؟ انه يتحقق أمام عينيك . لقد قالت حذار من رجل أسمر ، وامرأة شقراء ، فمنهما تأتيك متاعب . فهل نسيت الزنجى ، وان نال من قبضتى بعض الجزاء ؟ وهل فى وسعك أن تريني امرأة أشد شقرة من تلك السيدة التى تسببت فى اسقاط قبعتى فى الماء ؟ وأين هو الدولار والخمسة والستون دانقا التى كانت معى عندما غادرنا جناح الرماية ؟ » .

وكأنما الاسلوب الذى صاغ به توبين ما أصابه ، حجة لفن

العـرافة ، وان بدا لى أن هـذه الحوادث كان يمكن أن تحدث فى الملاهى لاى مخلوق دون تدخـل العرافة •

ونهض توبين وتجول هنيهة على سـطح الزورق ، محملقا فى ركابه بعينيه الصغيرتين المحمرتين، فسألته تفسير مايفعل ، فانك لاتدرى مايدور فى خـلد توبين ،حتى يضعه موضع التنفيذ •

قال : « ينبغى أن تعـلم أنى أبحث عن تحقيق ما وعدتنى به كفى ، عن ذلك الرجل ذى الانف الاعوج ، الذى سـيجلب لى الخير الكثير • انه لنـا مطلع الرجاء • هل عرفت قط فى حياتك ياجون عصبة من الشياطين أشد استقامة أنوف من هؤلاء الركاب ؟ »

لقد كان الزورق الذى ركبناه زورق التاسـعة والنصف مساء ، فلما رسا ، تمشـينا صـعدا فى الشارع الثـانى والاربعـين ، وتوبين مكشوف الرأس •

وفى ركن منعطف من الطريق عثرنا برجل يقف تحت صـباح غازى من مصـابيح الشـارع ، شاخصـا الى القمـر المشرق فوق الطريق الهندسى الصاعد • وكان رجلا فارع الطول محتشم الثياب، بين ثناياه سيجار ، ورأيت أنفه يلتوى من أرنبته الى أعلى قصبته مرتين . كأنه ثعبان ، وفى نفس اللحظة وقعت عين **توبين** على أنف الرجل ، فتنفس الصعداء كجواد متعب أزيح السرج من فوق ظهره، واندفع الى الرجل كالسهم ،فتبعته ••

وقال **توبين** للرجل : « سعدت مساء »

فأخرج **الرجـل** السيجار من فمه ، ورد التحية بسماحة •

وقال **توبين** : « هـــل لك أن تلقى باسـمك الينا لنرى الى أى حـد يطول ، فقـد يصـبح لزاما علينا أن نتعارف ؟ »

وأجاب **الرجل** فى أدب : « انا اسـمى فرايدان هافزمان ـــ ماكسيمس • فرايدان هافزمان »

قال **توبين** : « هذا هو الطول المراد • فهل يظهـر حرف الواو فى هجائه بأى مكان ؟ »

قال **الرجل** : « كلا » ••

فتساءل **توبين** فى قلق : « ألا يمكن أن تتهجاه بالواو ؟ »

فأجاب **ذو الانف** : « اذا ضاق ذرعك باللغات الاجنبية ، وشئت أن تفعل بهــا مايحلو لك ، فقــديمــكن أن تحشر الواو حشرا فى المقطع الذى يسبق الاخير • »

قال **توبين** : « هــذا حسن ،فاعلم أنكِ بحضرة جــون مائون ودانييل توبين » •

وانحنى **الرجــل** قائلا : « لىعظيم الشرف ، ولــكن مادمت لا أســتطيع أن أجــد علة لهــذاالاستجواب على قارعة الطريق ، فهل لك أن توضح لى سر هــذاالتبسط ؟ »

فاجاب **توبين** محاولاالايضاح:« فيك سمتان مما قرأته فى كفى العرافة المصرية ، تؤهلانك لانتكون مطلع السعدفىأفق النحس الذى قادنى اليهالزنجى الاسود ،والســيدة الشقراء ذات القدمين المتشــابكتين على ظهــر الزورق ،مضافا اليهما خسارتى المــاليــة لدولار وخمسة وستين دانقــا •وكلها تنبوءات تحققت بالحــرف حتى الآن • »

وكف الرجل عنالتدخين ونظرالى متسائلا: «ألديك أيةتنقيحات لهذا القول ؟ أو لعلك مهفوف(١)آخر ؟ يخيل الى من نظراتك انك مقدر لمــا كان يجب عليــــك منالقبض على ! »

وأجبته : « ليس عنــــدى ماأضــيفه ، الا أن شخصك والحظ الطيبالذى تنبأت بهكفصاحبىتتشابهان حذوك النعل بالنعل • فان لم يصــدق ذلك ، فلا بد انالخطوط تشابكت خطأ فى كف دانى ، وهذا ماليس لى به علم !»

قال **ذو الانف** وهو يذرع الطريق بعينيــه باحثــا عن **شرطى** : « أنتما اثنان اذن • طاب مساؤكما • لقد ســعدت بصــحبتكما كثيرا » •

ثم وضع الســيجار فى فمه ،وهرول يعبر الطريق ، ولكن ما أسرع مالاصقه **توبين** من جانب ،ولاصقته من الآخر •

ووقف الرجل على الطوار المقابل ، وأزاح قبعتــــه إلى قفــــاه وصاح : « ما هذا ؟ ألعله طراد ؟اليكما ماأقول : أنى ســــعدت

---

(١) المهفوف ، الاحمق •

بلقائكما • نعم ، ولكن لي رغبة في أن أتخلص منكما الآن •• انني عائد الى منزلي » •

قال توبين متكئا على ذراعه : « عد الى بيتك • وستراني مقعيا على بابه في الصباح • فعليك اعتمادي كله في محو لعنة الزنجي الاسود والسيدة الشقراء ، والغرم المالي للدولار والدوانق الخمسة والستين » •

قال الرجل وهو يلتفت الي كمجنون أعقل : « هـذا خلط عجيب • أليس الخير أن تعود به الى بيته ؟ »

فقلت له : « اصغ الي يا رجل • ان دانييل توبين الآن كأعقل ما كان • لعله مضطرب نوعا ، فقد شرب مايكفي لبث الاضطراب ، وان قصر عن اضاعة الرشاد ، وهو لم يعد أن سلك السبيل الذي بسطته له خرافاته ورزاياه : ذلك السبيل الذي سأصف لك اياه » •

ورحت أروي له ماقالت العرافة ، وكيف أن أصبع الشك يتجه نحوه كمطية للحظ السعيد • •

واختتمت حديثي قائلا : « انك تدرك الآن موقفي من هذا الشغب • فاني كما أعتقد صديق لصديقي توبين • ومن اليسير أن تكون صديقا للسعداء ، لان صداقتهم تفيد ، وليس من العسير أن تصادق الفقراء ، لانك تستطيع أن تزهو بما تلقى من عرفان الجميل ، وبرؤية صورتك منشورة في الصحف وأنت واقف على باب ربع ، وفي كلتا يديك هبة تنعم بها على يتيم • ولكن ما أشد ما تمتحن الصداقة اذا قدر عليك أن تكون صديقا حميما لاحمق أصيل • وهـذا هو ما أفعل الآن ، لاني موقن أن كفي لايمكن أن تروي عن حظ لم يكتبه عليها مقبض الفاس • وأنت لو أن لك أنفا هو أشد الانوف اعوجاجا في نيويورك ، فما أشك أن كل العرافين الناجحين أعجز من أن يحتلبوك قطرة من الحظ السعيد ، ولكن كف داني تشير اليك خطوطها دون ريب ، وسأعينه على أن يبلوك حتى يؤمن معي أنك بكيء » (١) •

---

(١) الناقة البكيء القليلة اللبن •

واستحال عبوس الرجل بغتةالى بشر ، واستند الى جدار وراح يضحـك ملء شدقيه ، ثم صفقناأنا وتوبين على ظهرينـا وتأبط كلا منا بذراع ، وقال :

ـ « هذه غلطتى • كيف أتوقع من شيء فىهذه الرقة وهـذا اللطف أن ينقلب شرا على ! لقدأوشكت أن أصبح لئيما • ان على مقربة منـا مقهى لطيفـا يليق لاستقبال النوازع المتضـاربة ، فلنذهب اليه ، ولنبحث على هذهالـكأس مدى اسـتحالة هـذا النرياق » •

وما أتم كلامه حتى قادنى وتوبين الى المقهى ، وفى غرفة نائيـة فيه أمر بالكؤوس ، واضـعا علىالمـائدة قيمتهـا من النقود • وراح يعاملنا أنا وتوبين معـاملةالاخوة ، ومنح كلا منا سيجارا •

ثم قال رجل المقادير :« ينبغىأن تعلما أن سبيلى فى الحياة هو مايسـمونه شرعة الادب • انىأسرى فى الليلمنقبا عن النزوات المتضاربة فى البشر ، وعن الحقالصراحفى علياء السماء •وعندما وقعتمـا على كنت أتأمل فى ذلكالمر الهندسى الصاعد ، وعلاقته بكوكب الظـلام • ان هـذا المرالضخم هو الشعر والفن فى أعين الامريكيين ، وليس القمر عندهمغير جمـاد ممـل أجرد يتحرك بناموس عام • بيد أن هـذه آراءشخصية ، فان الامور تنقلب فى دنيا الادب•وانى لآمل أن أكتبكتابا عن الغرائب التى اكتشفتها فى الحياة » •

قال توبين بادى الغيظ : « اذن تضعنى فى كتاب ،أتضعنىحقا فى كتاب ؟ »

قال الرجـل : « كلا •• فلنتسعك دفتـاه • ولم يأن ذلك • وخير ماأفعلهمنأجلكأن أصطنعكلنفسى ، لان الوقت لم يتهيأ بعد للقضـاء على الطاقة المحـدودةللمطـابع ، وقد تبـدو لغزا على الورق ، فمن الخير أن أحتسى هذهالكأس من السرور وحدى ، بيد أنى فى الحق يا أصـدقائى ممتنلكما شكور » •

قال توبين وهو يضرب المائدة بقبضته ،وينفخ الكلام نفخا من خلال شاربيه :

ـ « ان حديثك وجيعة لصبرى . ولقد كان فى أنفك الاعوج وعد بالسعد ، ولكن جناك أشبه مايكون بجعجعة الطبول . انك لتشبه بضوضاء كتبك الريح العازفة فى كهف ، ولقد كنت خليقا منذ الآن أن أكذب كفى فيك عن يقين ، لولا أنها صدقتنى فى الزنجى الاسود ، والمرأة الشنقراء وال ... »

وقاطعه الرجل الطويل: « هسس !أتخدعك الفراسة؟ ان أنفى سيفعل مايستطيع .ولكن لاتكلفه مالا يطيق .دعونا نعد ملء هذه الكؤوس ، فمن الخير أن ننـدى الاخلاط الروحية ، فقد يعرضها الجو الروحى للانحلال » .

ولقد أحسن رجل الادب .فى رأيى ،إذ سدد بسرور ثمن كل شىء ، فقد كان استكشاف الغيب استنفد مالى ومال توبين ، ولكن توبين نفسه كان يتألم ، ويشرب فى صمت ، ويتوهج الجمر فى عينيه .

وما هى الا هنيهة حتى خرجنا اذ كانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة ، ووقفنا لحظة على الطوار ،ثم قال الرجل انه لابد عائد الى بيته ، ودعانى وتوبين أن نرافقه فى الطريق . ووصلنا بعد قليل الى منعطف على جانبيه سلسلة من المنازل المبنية باللبن ، لها ظلل عالية ، وأسوار من حديد ،فوقف الرجل على منزل منها ، وتطلع الى نوافذه العليا ، فالفاها مظلمة ، فقال :

ـ « هذا بيتى المتواضع، وانى لأرى من الدلائل .مايقول لى أن امرأتى قد استسلمت للمنام .ومن أجل ذلك أجازف بقليل من كرم الضيافة ،فأدعوكما للدخول الى قبو البيت فنتعشى ونتساقى بعض الشراب ، وسنصيب هناك دجاجة باردة طيبة وجبنا وزجاجة أو زجاجتين من الجعة ، وعلى الرحب تدخلان وتأكلان ، فانى مدين لكما بما لقيت من تسلية هذا المساء » ..

ولقد لاءم هذا الاقتراح شهيتنا أنا وتوبين ، ومزاجينا ، ولو أن

خرافات دالى وقف فى حلقها ،أن تجد فى بضع كؤوس وعشوة باردة ، عوضا عمـا وعـدته بهراحة يده من حظ سعيد ٠

وقال **الرجل** ذو الانف الاعوج:

ـ « أهبطا هذا الدرج ،وسألج المدخل الاعلى ، وأفتح لكما الباب ٠» وسأسأل الخادم الجديدة المقيمـة فى المطبخ أن تصـنع لكما تنـكة من القهوة تشربانها قبل الخروج٠انها قهوة طيبة تلك التى تصنعها **كاتى ماهورنر** الصبية التى هبطت هذه الارض منذ ثلاثة أشهر ٠٠ هيا اهبطا وسأبعث بهـا اليكما فى الحال ٠٠ »

تيلدى تواجه السعادة



« فى خلال الدخان واللغط
ورائحة الكرنب التى تملأ المعاطس،
كان قلبها يجتاز مأساة ! ! »

تيلدى تواجه السعادة

اذا كنت لا تعـرف مطعم بوجل العائلى فهذه غلطتك . فلو انك احد المحظوظين الذين ينفقون على طعامهم بسخاء ، لشاقك ان تعرف ما يفعله النصف الآخر من مواطنيك فى أمور القـوت . ولو انك من المنتسبين الى النصف الثـانى الذى يعتبر فواتير النذل فى المطاعم من الامور ذات الخطر ، لوجب عليك ان تعرف مطعم بوجل ، حيث تحصل على ما يكافىء نقودك ، من حيث الكم على الاقل .

ان مطعم بوجل يقوم فى حى من احيـاء الطبقة المتوسطة بالشارع الثامن ، وبه صفان من المقاعد ، وست مناضد فى كل صف ، وعلى كل منضدة حامل يحتوى على اوعيـة زجاجية للملح والتوابل والمشهيات . فمن وعاء الفلفل يمكنك ان تنثر سحابة من شىء لا طعم له ، وان أثار من الدمع ما يثير غبـار بركان . ومن الملاحة لا تتوقع شيئا البتة ، فانك قد تقدر على استخلاص الدم من اللفت الشاحب ، ولكنك عاجز لا محالة عن استخراج الملح من مـلاحات بوجل . وعلى كل منضدة كذلك زجاجة بها صلصة زائفة ، قيل انها مأخوذة عن تركيب لاحـد الامراء الهنود .

ويجلس بوجـل على مكتب الحسـاب ، باردا ، خامـلا ، ضئيلا ، متئدا ، وهو يأخذ نقودك ، ويرد اليك باقيها خلف تل من مساوك الاسنان ، ويحتفظ بفاتورة الحساب ، ثم يحـدثك بكلمة عن الجو فى نقيق كنقيق الضفدع . ويجدر بك الا تقامر بمناقشته فى حالة الجو ، الا ان تكون صديقا لبوجل . اما وانت عميل مؤقت ، طالب قوت ، وقدلا تتلاقيان مرة اخرى قبل ان ينفخ ميكائيل فى الصور ، فخذ بقية حسابك ، واذهب اذا شئت الى الشيطان مشيعا من بوجل بأصدق التمنيات .

ويقوم بتلبيـــة طلبات رواد المطعم نادلتان . . وصـــوت .
فأما اولى النادلتين ففتاة ندعى ايلين ، فارعة القامة ، جميلة ، رشيقة ، فياضة بالحياة ، واسعة الاطلاع في « القفش والتنكيت » واسمها الآخر ... ولكن ما لك واسمها الآخر ، وماثمة ضرورة لاسم آخر في مطعم بوجل ، كما هو الشأن في طاسات الفـاكهة وغسل الاصابع .

واما النادلة الاخرى فاسمها تيلدى ، ولا تقــل ماتيــلدا من فضلك ، فان اســمها ـــ وأنصت جيـــدا في هذه المرة ـــ تيلدى . . تيلدى ليس الا ، وهى كئيبة ، ذات وجه ساذج ، تواقة لان تسر عمــلاءها على الدوام .

وأما ذلك الصــــوت في مطعم بوجل ، فقد كان صوتا خفيا ، ينبعث من المطبخ ، لا يوحى للاذن بالاستماع اليه ، كان صــوت صنم لا يفتأ يردد ما تنطق النادلتان من الوان الطعام .

اتراك يتعبك ان اعيد عليك القول أن ايلين كانت جميلة ... انها لو ملكت من الثياب ما يساوى بضع مئات من الدولارات ، والتحقت بموكب عــرض ، ووقعت عينك عليها هناك ، لسارعت الى ترديد ما أقول .

كان رواد مطعم بوجل بأسرهم عبيدا لها . وكانت تستطيع تلبية طلبات ست موائد كاملة في نفس واحـــد . . وكان بعض المتعجلين من الرواد ، يلتزمون الاناة لكى يتمتعـــوا بالتطلع الى قوامها النشط الرشيق ، والذين فرغوا من الاكل ، يطلبــون المزيد منه ، حتى يتــاح لهم وقت اطول للتمتع ببريق ثغرها البسام . وكان كل رجل يرتاد المطعم ـــ واغلب رواده من الرجال ـــ يحاول ان يدمغ عليها طابعه .

وكانت ايلين قادرة على تبادل الملح والفكاهات مع اثنى عشر رجلا في وقت واحد ، وكل ابتسامة ترسلها ، تستقر فيما صادفها من قلوب كطلقات مدفع رشاش . ودون أن يؤثر ذلك أقل أثر ، في تلبيتها لمــا يطلب منها من كل ما يسلق او يقلى ، او يشــوى على النار ، او يؤكل طريا ، وبأى مقدار كان .

ومع ذلك القصف والغـزل والتبادل المرح للفكاهات والنكات ، كاد مطعم بوجـل يستحيل الى صالون ، ايلين كوكبه الساطع ، ومدام ريكاميه فيه . واذا كان الرواد العـابرون تسبيهم ايلين الفاتنة ، فان العمـلاء الدائمين كانوا منها بمنزلة العشـاق ، وكانت المنافسة عليها على اشدها بين هؤلاء العملاء الدائمين .

وهى ولو انها كانت تستطيع ان تواعد من شاءت منهم كل ليلة ، فقد كانت تكتفى بقبول دعوتين على الاقل فى كل اسبوع ، تذهب فى احداهمـا الى مرقص ، وفى الاخرى الى مسرح تمثيل .. وقد اهدى اليها احد السادة ضخام الاجسـام ، وكانت تلقبـه هى وتيلدى فيما بينهما بالتيس ، خاتما من فيروز .. ووعدها شخص آخر كانتا تلقبانه بالطفل ، وكان يعمل سـائقا لعربة من عربات النقل ، ان يهدى اليها كلبا عندما يفوز اخوه بعطاء النقل فى التاسع من الشهر . وسـألها مرة ذلك الرجل الذى يطلب دائمـا لحم الخنزير والسبانخ ، والذى قال انه سمسار فى البورصـة ، ان تصحبه الى اوبرا برسيفال .

وقالت ايلين وهى تدير وجوه الراى فى هذه الدعوة مع تيلدى :

« انا لا اعرف اين يقع هـذا المكان ، ولكن خاتم الخطبة يجب ان يكون فى اصبعى قبل ان اضع غرزة فى ثوب الزفاف ، أليس ذلك من الحكمة ؟ احسـبه كذلك ! »

ولكن ما وراء **تيلدى** ؟

فى خلال الدخان واللغط ورائحة الكرنب التى تملأ المعاطس فى مطعم بوجل ، كان ثمة مايمكن بالتقريب ان يسمى مأساة قلب . فتيلدى بانفها الافطس وشعرها الاصفر المغبر ، وبشرتهـا التى ترعرع فيها النمش ، وقوامهـا الشبيه بكيس السماد ، لم تكن قد صادفت معجبا بعد ، فما من رجل واحد تبعها بعينيه وهى تجتاز المطعم رائحة غادية ، اللهم الا فى الحـين بعد الحـين ، عندما يحملقون فيها بوحشية تحت تأثير الجوع ، واستعجالا للطعام . وما هم احد منهم بمداعبتها بفكاهة على الاطلاق . ولم يحـدث قط ان تمنى لها رجل صـباح الفل كما كانوا يفعلون مع ايلين .

وطالما اتهموها اذا ما توانت في أحضار البيض ، بالسهر مع خنزير محظوظ . وما اهدى اليها احد قط خاتما من فيروز ، أو دعاها الى اوبرا برسيفال الثائية المجهولة .

لقد كانت تيلدى نادلة طيبة يحتملها الرجال كشر لا بد منه ، ويحادثها من يجلس الى مناضدها في اقتضاب ، وفي حدود ما يقتبسونه من قائمة الطعام ، فاذا بدت ايلين الفاتنة ، رفعوا اصواتهم بألفاظ يتقاطر الشهد منها ويفوح العبير . فان غابت عن أعينهم لحظة تقلقوا في مقاعدهم ، وادارو أعينهم بعيدا عن تيلدى وقوامها المتداعى ، الى حيث تكون ايلين ، لعل قوامها الساحر يضفي على اللحم والبيض لذة ، ويحيلهما الى رحيق .

وقنعت تيلدى بأن تبقى كادحة مهملة ، ما بقيت ايلين تتلقى الزلفى والمديح . فان انفها الافطس ، كان وفيا للانف الاغريقى الدقيق في وجه ايلين . وكانت تخلص لايلين ، وتسعد برؤيتها مسيطرة على القلوب ، صارفة الرجال عن السيجار والحلوى والشراب . ولكن مهما بلغ النمش بوجوهنا ، واغبر شعرنا الاصفر ، فان أقبحنا شكلا ، يحلم في أعماقه بأمير او اميرة ، لا يشاركه فيه او فيها شريك .

وفي صبيحة احد الايام دخلت ايلين الى المطعم خلسة ، وفي عينها كدم ، فأبدت تيلدى من الجزع عليها ومواساتها ما كان خليقا ان يبرىء عين الضرير .

وقالت ايلين : « هذا صنع الطفل ، فبينما انا في طريقى الى منزلى امس ، تبعنى وقطع على الطريق ، وصرفته ببرود فتوقح ، واستمر في متابعتى ، وعاد الى الغزل من جديد ، فصفعته صفعة قوية على خده ، ففصل بعينى ما ترين . أهى بشعة حقا يا تيل ؟ كم اكره ان يراها مستر نيكولسون عندما يقبل في العاشرة للشاى . »

واستمعت تيلدى الى هذه المغامرة في لهفة واعجاب ، فان رجلا ما لم يحاول ان يتبعها قط . وقد كانت آمنة حيثما خرجت في اية ساعة من الساعات الاربع والعشرين . ويالها من سعادة ان يقطر المرأة رجل يؤذى عينها في معركة غرام .

وكان بين عملاء بوجل شاب يدعى **سيدرز** ، يشتغل عاملا فى مغسلة ثياب . وكان سيدرز هذا نحيفا ، اجلح ، يبدو كأنه نازل لفوره من فوق حبل المغسلة ومن تحت المكواة .
ولكن فشل فى ان يسترعى انتباه ايلين ، فكان يجلس عادة فى احدى مناضد تيلدى ، ويهب نفسه لتصمت المطلق والسمك المسلوق !

وذات يوم دخل سيدرز المطعم للغداء ، وفى فمه رائحة الجعة ، ولم يكن بالمطعم من رواده غير اثنين او ثلاثة ، وعندما فرغ سيدرز من التهام سمكته ، نهض من مقعده ، وأحاط بذراعه خصر تيلدى ، ثم قبلها بقحة وصوت مسموع ، وخرج الى الشارع مشيرا الى المغسلة باصبعه ، ثم هرول الى مدينة الملاهى بغية التسلية .

وتحجرت تيلدى فى مكانها بضع لحظات ، ثم تنبهت الى ايلين وهى تلوح بسبابتها فى وجهها قائلة :

ـ ماذا دهاك ياتيلدى ..؟ أين الفتاة الشقية الماكرة ! انك تتحولين الى كائن خطر . ويلوح لى انك ستسرقين بعض اصحابى ، وقد اصبح لزاما علي أن أفتح عينى عليك يا سيدتى .. منذ الآن .. !

لقد طفرت فى لحظة من مجرد محب يائس متواضع الى ند لا يلين القوية . وانها اليوم لسابية رجال ، وهدف لسهام كيوبيد وملاك خجول فى وليمة من ولائم الرومان . ان الرجل اخيرا قد احاط خصرها بنجاح ، والتمس قبلة شفتيها ، وها هو ذا سيدوز بحبه المفاجيء قد مثل لها معجزة جمعت فى لحظة مجهود غسال فى يوم ، عندما اخذ ثوبها القديم القذر فغسله وجففه ونشاه وكواه ، واعاده اليها مطرزا بالوشى كأنه ثوب فينوس ربة الهوى والغرام ..

وتورد النمش على وجنات **تيلدى** ، واطلت روحها من عينيها البراقتين ، فان **ايلين** نفسها لم يسبق لها أن قبلت أو خوصرت فى المطعم على رؤوس الاشهاد .. ولم تستطع تيلدى أن تصبر على كتمان هذا السر البهيج ، فانتهزت فرصة من

خفة الحركة داخل المطعم ، وذهبت الى مكتب بوجل ، وعيناها تلتمعان ، وحاولت أن تنفى عن ألفاظها كل أثر للزهو والفخار ، وهى تقول :

ـ لقد أهاننى اليوم أحد السادة فخاصرنى وقبلنى ..

وقال بوجل وهو يجاهد فى فتح مكتبه بعنف :

ـ او حدث ذلك..؟ لك علاوة ريال على أجرك الاسبوعى منذ الاسبوع التالى ..!

وفى الوجبة الرئيسية التالية كانت تيلدى وهى تقدم الطعام لمعارفها من الرواد ، تقول لكل منهم فى استحياء :

ـ ان سيدا اهاننى اليوم فى المطعم فخاصرنى وقبلنى ..

وقد تلقى الرواد هذا الخبر بأساليب مختلفة : فمنهم من شك فيه ، ومنهم من هنأها عليه ، ومنهم من حول اليها مجرى الدعابة التي كانت وقفا على ايلين . وانتفخ قلب تيلدى بين ضلوعها ، وقد لاحت لها فى النهاية ، أبراج الحب شامخة على خط الافق ، فى ذلك السهل المعتم الذى كانت تتجول فيه بلا أمل منذ عهد طويل .

وانقطع مستر سيدرز من التردد على المطعم يومين نجحت خلالهما تيلدى فى اظهار نفسها بمظهر المراة التى تحب وتغازل .. فاشترت الاشرطة الحريرية ، وصففت شعرها على طريقة ايلين ، وضيقت محيط خصرها خمسة سنتيمترات ، وملأ صدرها فزع جارف ولكنه لذيذ ، هيألها أن سيدرز قد يقتحم المطعم فجأة ويقتلها رميا بالرصاص ، فلابد انها شغفته حبا ، والحب كثيرا ما يدفع المحب التهور الى الشطط اذا غار .

حتى ايلين نفسها لم يسبق لها أن أصيبت برصاصة مسدس ، ولذلك تمنت تيلدى الا يطلق سيدرز عليها النار ، فقد ظلت وفية لايلين ، وهى لا تحب أن تحظى دون صديقتها بهذا الامتياز ..

وفى الساعة الرابعة من عصر اليوم الثالث دخل مستر سيدرز

المطعم ، وما به مرتاد سواه ، وكانت تيلدى تملأ اوعية الخردل وايلين تعد الفطائر فى مؤخرة المطعم . فسار المستر سيدرز الى حيث وقفتا ، ورفعت تيلدى عينيها فرأته ، وشهقت ، ثم ضربت صدرها بملعقة الخردل .. وكانت ترشق فى شعرها مشطا احمر ، وتحيط جيدها بعقد ازرق يتدلى على نحرها منه قلب من الفضة .

واحمر وجه المستر سيدرز وظهر عليه الارتباك ، فوضع احدى يديه فى جيب البنطلون ، والاخرى على طبق من أطباق الفطائر ، وقال :

ـ « مس تيلدى . اريد ان اعتذر اليك عما فعلته ذلك المساء ، واقول لك الحق انى كنت ثملا ، ولولا ذلك لما فعلته . وما كنت لاصنع ماصنعت مع سيدة ، وانا مفيق . لذلك آمل يامس تيلدى أن تقبلى عذرى ، وان شيئا من ذلك ماكان يحدث لو كنت أعى ما افعل ، ولم يكن على للشراب سلطان »

وبهذا الاعتذار المهذب ، تراجع المستر **سيدرز** ، وخرج من المطعم ، ورحل شاعرا انه قد اصلح الامر .

ولكن **تيلدى** هوت على احدى المناضد وراء الحاجز ، بين قطع الزبد وفناجين القهوة ، يكاد قلبها يسيل من صدرها تنهدا وحسرات ، الى حيث يعود الى ذلك السهل المعتم الذى يتجول فيه ابدا اصحاب الشعر الاصفر المغبر والانوف الفطساء . وخلعت مشطها من شعرها وقذفت به الى الارض ، وصبت على سيدرز كل ماكانت تنطوى عليه من زراية واحتقار . سيدرز هذا الذى تلقت قبلته كما لو كانت قبلة رائدها أوامير احلامها ، فى فردوس الخيال ، فاتضح لها ان القبلة قبلة لم تقصد ، ومن فم سكير • وهذا البلاط الخيالى الذى كانت تتبوأ سريره لم يحرك ساكنا ، فلا بد اذن ان تبقى اميرة نائمة الى الابد !!

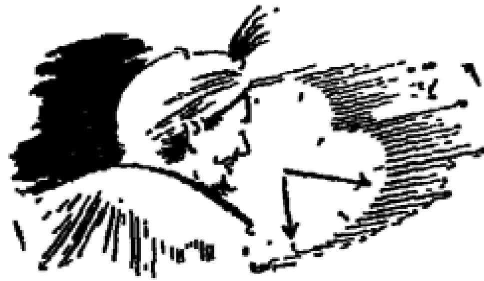
بيد انها لم تفقد كل شىء . فقد احاطتها ايلين بذراعيها ،

بينما كانت يد تيلدى المحمرة تشق طريقهـــا بين قطع الزبد لتتلقى يد صديقتها .

وقالت ايلين التى لم تدرك الموقف على حقيقته :

ــ « لا داعى للانزعاج يا اثيل، ان سيدرز بوجهه الذى يشــبه راس اللفت لا يستحق منك كل هذا . انه لا يشبه الســادة فى شىء ، والا لما اعتــذر لك على الاطلاق ! »

كيوبيد والساعة وهارون الرشيد



« كانت مسلاته الكبرى إن يبهر عيون التعساء بما لم يتوقعوه ولا حلموا به من عطاياه التى تشبه على الحقيقة عطايا الملوك . وكان داؤه المخامر أن يرى الناس يروحون ويغدون سراعا خائفين ، تسيطر عليهم عقارب الساعات . . »

كيوبيد والساعة وهارون الرشيـــد

جلس **الامير ميشيل** ـ امير ولاية فاليلونا ـ على دكتـــه المختارة فى المتنزه العام ، يشعل الحياة فى عروقه نسيم ليـالى سبتمبر البارد ، كأنه رحيق مقو نادر الوجـود ، ولم تكن الدكك معمورة كلها ، لان رواد المتنزه بدمائهم الآسنة كانوا يفرون الى بيوتهم هربا من برد الخـريف المبكر . وكان القمر يطلع لتوه من وراء أسقف المنازل التى تحد الميدان من الشرق . والاطفـال يضحكون ويلعبون حول النافورة ذات الرذاذ الدقيق ، والحشرات تتلاغى حيث تنتشر الظلال دون اكتراث بنظرات البشر ، ونغـم يئز كالطنين صــادر عن ناى يعزف فى منعطف قريب ، وعلى ارباض المتنزه الصغير المسحور كانت السيارات تنش وتموء ، والقطارات الفـاخرة تزأر زئير الاسود والنمور باحثة عن مكان تغزوه ، ومن فوق قمم الاشجار اشرق وجه ســاعة ضـــخمة مستديرة مضاءة فى برج بنـــاء اثرى قديم .

كان نعل الامير ميشـيل قد بلى بلى يتحدى قدرة أى اسكاف ، ولو عرضت ثيابه على تاجر من تجار الخرق ، لأبى أن يســاوم عليهـا بأى ثمن . وكان الوضر الذى خلفه على وجهه اهمـال لحيته أسبوعين ، خليطـــا من الرمادى والاســـمر والاحمـر والاخضر المشوب بالصفرة ، كما لو كان يتألف من مجموعة تبرعات من شعر كل من فتيات فرقـة غنائية هزليـة ! وما عاش قط رجل بلغ من الغنى الفاحش الى الحد الذى يلبس فيه قبعة أرث من قبعة **الامير ميشيل** .

جلس الامير على دكته المختارة ، وابتسم ، فقد كانت له فكرة تواسيه : انه يملك من المـــال مايكفى لشراء كل قصر من تلك القصور المواجهـــة الضـخمة المتقاربة ذات النوافذ المضـيئة لو شاء ، وانه يستطيع أن ينافس فى الذهب والسيارات والجواهر والكنوز الفنية والضياع والاطيان ، أى قارون من ملوك المـال فى

هذا الحى المزهو مانهاتان . وان مجموع مايمتلكه لايدركه العد والاحصاء ، وان فى قدرته ان يؤاكل حكاما من ذوى العروش والتيجان . وان الدنيا بما فيها من زينة وفن ، وصحبة مختارة ، ونفاق ومحاكاة ، وحفاوة غيد ، وتكريم كبراء ، وثناء حكماء ، وملق ، وتقدير ، رحظوة ، ومتعة ، وجاه ، هو وما فى الحياة من رحيق يتجمع كله فى قرص من شهد الوجود ، ينتظر **الامير ميشيل** ، رهن اشارة منه اذا شاء ، ولكن مشيئة سموه اختارت له الجلوس على دكة المتنزه فى هذه الاسمال والاوضار ! وذلك أن شجرة الحياة لما ذاق ثمارها ، الفاها مرة فى فمه ، فآثر أن يهبط من جنته الى امد ، يبحث عن سلوى على مقربة من قلب هذه الدنيا الخافق الاعزل .

كانت هذه الافكار تسبح حالمة فى خيال الامير ميشيل وهو يبسم من خلال اوضار لحيته المختلفة الالوان . وفى جلسته هذه ، وفى اسماله التى لايحسده عليها افقر المتسولين ، كان بشغف بدراسة الانسانية ، ويجد فى انكار الذات لذة لايجدها فى الغنى والجاه وكل ما اضفت عليه الحياة من آلاء ، وكانت مسلاته الكبرى أن يخفف من هموم الناس ، وان يغدق من خيراته على من هم أهل لها اذا مسهم الضر ، وان يبهر أعين التعساء بما لم يتوقعوه ولا حلموا به من عطاياه ، التى كانت تشبه على الحقيقة عطايا الملوك وان توخى فيها العدل والحكمة !

وعندما وقعت عين **الامير ميشيل** على وجه الساعة الضخمة المضيئة من قمة البرج ، شامت ابتسامته على ما فيها من ايثار لمحة من لمحات الاحتقار . ان الضخامة كانت طابعا لافكار الامير ، وكان يقابل بهزة من راسه خضوع البشر الى تلك المقاييس الزمنية بما فيها من جور واستبداد ، ولكم كان يحزنه أن يرى الناس يروحون ويغدون حثاثا خائفين تسيطر عليهم تلك العقارب المعدنية الصغيرة فى الساعات .

وقدم بعد حين **شاب** يرتدى ملابس السهرة ، فجلس على الدكة الثالثة من دكة الامير ، وظل يشد الانفاس من سيجارة نصف ساعة فى سرعة عصبية ، ثم استغرق فى النظر الى وجه

الساعة المضيئة من وراءالشجر، بادى الاضطراب . ولاحظ الامير فى أسى أن علة اضطرابه ترتبط بشكل ما بعقارب الساعة المتحركة فى بطء .

ونهض سموه ، فذهب الى دكة الشاب وخاطبه قائلا :

ـ « عفوا اذا تحدثت اليك ، فقد لاحظت أنك مهموم . وقد يلطف من فضولى بعض الشىء أن اقول لك ان اسمى **ميشيل** وارث عرش **فاليلونا** ، وقد جئت متنكرا بالطبع كما لابد ان تدرك من مظهرى . ومن سجاياى أن أمد يد العون الى الآخرين متى آنست انهم أهل له ، ولعل الكرب الذى أصابك يكون أكثر طواعية للزوال اذا تضافرت عليه جهودنا !! »

ونظر الشاب الى الامير مستبشرا ، وان كان بشره لم يمح ما زوى بين عينيه من قطوب ، ثم ضحك له ، وحتى الضحك نفسه لم يبسط أساريره ، وان كان قد تقبل هذه التسلية المؤقتة أحسن قبول ، فقال له بروح طيبة :

ـ « يسعدنى لقاؤك ايها الامير . ان تنكرك مافيه ريب ، وانى لأشكرك على تطوعك لمعونتى ، وان كنت لا أرى مجالا لهذا العون . انها مسألة شخصية ، ولكن هذا لن يقلل من شكرى على كل حال ! »

وجلس الامير **ميشيل** بجوار الشاب . وكان ينهر أحيانا على مثل هذا التصرف ولكن فى غير عنف ، فان وقار سلوكه وألفاظه كان يحول دون ذلك .

وقال الامير :

ـ « ان الساعات أغلال تصفد أقدام البشر . لقد رأيتك تلح فى النظر الى الساعة . ان وجهها وجه طاغية ، وارقامها اشد زيفا من أرقام ورق اليانصيب ، وعقاربها كمحتال يواعدك على ما يؤدى بك الى الخراب . فدعنى التمس منك أن تحطم عنك أغلالها المهينة ، وان تكف عن ايكال زمامك الى هذا الدليل العديم الاحساس ، المصنوع من الصلب والنحاس !»

قال الشاب :

ــ « ليس من عادتى أن أكل زمامى اليها ، وان كنت أحمل ساعة على الدوام ، اللهم الا عندما ارتدى هذه الاسمال البراقة » .

قال الامير فى تعال شامخ :

ــ « انى أعرف الطبيعة البشرية كما أعرف العشب والشجر . انا أستاذ فى الفلسفة والآداب ، وفى يدى مفاتح الحظ والسعادة ، وقل من التعاسات البشرية ما يعيينى تلطيفه أو قهره . لقد قرأت محياك ووجدت فيه الشرف والنبل ، كما وجدت الهم والضيق ، فأرجوك أن تقبل منى العون أو النصيحة ، ولا تنقض ما أتوسمه فى وجهك من ذكاء ، باتخاذ مظهرى أداة للشك فى قدرتى على دفع ما يؤودك من هموم » .

وتطلع الشاب الى الساعة من جديد ، ثم عبس حتى اكفهر ، ثم تحولت نظرته الحائرة من الساعة المضيئة فوقعت فى اهتمام على بيت مبنى بالآجر الاحمر من اربع طباق ، بين صف الابنية المواجهة له ، وكانت أستار النوافذ مرخاة ، وبدت من خلالها فى كثير من الغرف أضواء خابية ، فقال مؤمنا فى يأس وفروغ صبر :

ــ «التاسعة الا عشر دقائق!»

ثم أدار الى البيت ظهره ، ونهض فمشى خطوة أو خطوتين فى اتجاه مضاد .

ــ « انتظر ! »

أصدر الامير ميشيل هذا الامر الى الشاب فى صوت فيه من السطوة والنفوذ ما جعل الشاب المضطرب يدور على عقبيه ، ويضحك ضحكة حزينة .

وغمغم يحدث نفسه : « سأعطيها هذه الدقائق العشرة ثم أنصرف » . وقال للامير فى صوت مسموع :

« انى أنضم اليك فى لعن كل الساعات ياصديقى ، وأضيف اليها كل النساء »

وعقب الامير فى هدوء :

ـ « أجلس . انى لا اقبل منك هذه الاضافة ، فان النساء هن الخصوم الطبيعيون للساعات ، وبذلك يصبحن حلفاء لاولئك الذين يبغون الفكاك من ربقـــة هؤلاء الشياطين الذين يقيسون حماقاتنا ، ويضيقون علينـــا مجـــال اللذات . فان رأيت أن تثق بى فانى أرجوك ان تروى لى قصتك » ..

والقى الشـــاب نفســـه على الدكة ضاحكا ضحكة المغـــامر ، وقال فى لهجة المهتم الساخر :

ـ « اترى هذا البيت الذى بين نوافذه العليا ثلاث بها نور؟ حسنا . لقد كنت أقف فى هذا البيت فى الساعة السادسة مع الفتاة التى انا ـ أعنى التى كنت خطيبها . ولقد اثمت فى حقهـــا يا اميرى العزيز . فقـــد كنت شابا طائشا ، وسمعت بطيشى ، وسالنها العفو بطبيعة الحال . اننا نحن الرجال نحب أن نلتمس العفو دائما من النساء . السنا كذلك ايها الامير ؟ . وقالت هى ان هناك شيئا واحدا محققا ، وهو ان اغفر لك تماما أو لا ارى وجهـــــك ابدا ، وما من وسط بين الغايتين ، ويمكنـــك أن تتطلع الى النافذة الوسطى فى الطابق الاعلى الساعة الثامنة والنصف تماما ، فاذا وجـــدت وشاحا حريريا ابيض منشـــورا فيها فاعلم انى قررت الغفـــران لك ، وان المياه قـــد عادت الى مجاريهـــا ، وانك تســـتطيع ان تجىء . وان لم تر الوشـــاح فاعتبر أن مابيننا قد انتهى الى الابد » .

واختتم الشاب بمرارة :

ـ « ومن أجل ذلك كنت ارقب هذه الساعة ، وقد فاتت ثلاث وعشرون دقيقـــة على الموعـــد المحدد ، فهل تعجب بعـــد ذلك من همى يا أميرى ... يا امير الشوارب والاسمال ؟ »

قال الامير ميشيل فى صوته الرصين :

ـ « دعنى اعيد عليك ان النساء هن الخصوم الطبيعيون للساعات ، فالساعة نقمة والمراة نعمة ، وقد تظهر الاشارة بعد قليل ! »

قال الشاب فى قنوط :

« محال ، حتى على مالك من سلطان . انك بالطبع لاتعرف ماريان ، أنها تضبط مواعيدها بالدقيقة على الدوام . ولقد كانت هذه الخصلة من خصالها ول مزية جذبتني اليها . وهأنذا بدلا من أن أجد الوشاح أجد الهواء . وكان من الاحرى أن أدرك منذ الثامنة والدقيقة الحادية والثلاثين أن الاوزة استوت ولا داعي للانتظار . سأهاجر الى الغرب في قطار الحادية عشرة والخامسة والاربعين الليلة مع جاك ملبورن ، فان الطير قد أفلت ، وسأشتغل في مزرعة جاك حينا ثم انتهى الى اقليم كلوندايك (بالاسكا) .. فأعمل هنا وأحتسى الويسكى وطاب مساؤك يا ... يا أيها الامير ! »

أمسك الامير بكم معطف الشاب ضاحكا ضحكته الغامضة اللطيفة المملوءة بالادراك ، وفي عينيه بريق متألق يرق حتى تغيم شفافيته ويمتلىء بالاحلام ، وقال له في خشوع :

ـ « انتظر حتى تدق الساعة ، ان لى من الثروة والنفوذ والمعرفة فوق ما للكثيرين ، ولكنى ارهب دقات الساعة ، فابق معى حتى تدق ، ان هذه المرأة ستكون لك ، وهذا وعد من الوارث الشرعى لعرش فاليلونا ، وفي يوم زواجك سأمنحك مائة ألف ريال وقصرا على نهر الهدسون ، ولكن أشترط الا يكون في هذا القصر ساعات ، فانها تقيس حماقاتنا وتحد مالنا من لذات . فهل توافق على هذا ؟ »

قال الشاب في مرح :

ـ « بالطبع ـ انها مقلقة على اية حال ، لاتفتأ تنق وتدق وتضطرك الى تأخير العشاء »

وتطلع مرة أخرى الى ساعة البرج ، وكانت عقاربها على التاسعة الا ثلاث دقائق .

قال **الامير ميشيل** :

ـ « اظنني سأغفو قليلا ، فقد كان اليوم منهكا ! »

ومدد نفسه على الدكة في يسر من تعود ذلك ، وقال والنوم يغالب أجفانه :

ـ « عندما تحدد يوم زواجك تعال الى ، فساعطيك صكا بالمبلغ » .

قال الشاب جادا :

ـ « اشكرك ياصاحب السمو، يبدو اننى لن احتاج الى قصر الهدسون ، بيد أنى اقدر هبتك على كل حال ! »

واغرق الامير ميشبل فى نوم عميق ، ووقعت قبعته المهلهلة من الدكة الى الارض ، فرفعها الشاب ووضعها على الوجه الاشعث ، وحرك جارحة من جوارح الامير كانت تسترخى وضع أبعث الى الراحة . ثم قال استرخاء غريبا ، فردها الى وهو يشد الاسمال الرثة على صدر الامير : « يالك من شيطان مسكين ! »

ودقت ساعة البرج تسع دقات فى صوت مفزع رنان ، وتنهد الشاب مرة أخرى ، وتطلع فى نظرة أخيرة الى البيت الذى ضم آماله المنهارة ، ثم صاح صيحة انطلقت من فمه فيها الفاظ نابية عبر بها عن فرط السرور ..

فمن النافذة الوسط بين النوافذ العليا ازدهر فى حمرة الشفق رمز الغفران والفرح الموعود فى رايته المائجة الخفاقة الساحرة البيضاء .

ومر فى هذه اللحظة رجل قصير بدين كالكرة ، مستريح البال ، حثيث الخطا فى طريقه الى بيته غير عارف بمباهج الاوشحة الحريرية الخفاقة على أرباض المتنزهات ذات الضوء الضئيل، فسأله الشاب :

ـ « هل تتفضل بان تخبرنى عن الوقت يا سيدى ؟ »

واخرج الرجل ساعته مبعدا اياها بخبث حتى يطمئن الى سلامتها وقال :

ـ « الثامنة وتسع وعشرون دقيقة ونصف يا سيدى »

وبحكم العادة ، نظر الى ساعة البرج واستأنف يقول :

ـ « يا لله .. ! هذه الساعة فيها تقديم نصف ساعة .. ! انها أول مرة تختل فيها منذ عشر سنوات . أما ساعتى فما خالفت قط حتى الآن .. »

ولكن الرجل كان يكلم الهواء : وتلفت فـرأى محـدثه ظلا. أسود يغنى بسرعة فى الظـلام صوب بيت أضيئت نوافذه العليا الثلاث .

***

واقبل شرطيان فى الصباح فى طريقهما الى دركيهما ، وكان المتنزه خاليـا الا من شبح مقوض ، مستلق على دكة ، غارق فى المنام ، فوقفا ينظران اليه ..

وقال أحدهما :

ـ « هذا مابك المدمن ، انه يدخن « الجوزة » كل مساء وهو نزيل المتنزه منـذ عشرين عاما ، واظنه يهبط من ملكوته الآن .. ! »

ومال الآخر ناظرا الى شىء هش متفتت فى يد النائم ، فقال :

ـ « لقد استهلك ما قيمته خمسـون ريالا على أية حال ، وبودى لو عرفت هذا النوع من المخدر الذى يدخنه .. »

ثم .. طاخ .. طاخ .. طاخ : هوت عصا الحقيقـة على نعال البرنس ميشيل أمير فاليلونا ..

هدنة



« انهما زوجان ، ومن حقهما
أن ينعما بحيـــاة ما أقل مباهج
الازواج فيها ... »

هدنة

كان القمر يتألق على النزل الخاص الذى تملكه **مسز مورفى** والربيع فى ابانه ، والرياض منضرة بورق الشجر الجديد ، والزهور تتفتح ، والهواء يرق ،والموسيقى تزدهر فى كل مكان.

وكانت نوافذ نزل مسز مورفى مفتحة ، وعدد من النزلاء يجلسون فى درج المدخل على حصرمستديرة منبسطة كالفطائر.

وفى نافذة من نوافذ الطابق الثانى المطلة على الطريق ، كانت **مسز ماكاسكى** تنتظر زوجها ،وقد برد العشاء على المائدة ، فاعدت برودته مسز ماكاسكى.

وعاد **السيد ماكاسكى** فى التاسعة يحمل معطفه على ذراعه ، وغليونه بين ثناياه ، بعد أن اعتذر للنزلاء الجالسين على الدرج لاقلاق راحتهم ، وهو يتلمس بينهم مكانا على درج السلم لنعله الكبير .

وعندما فتح باب غرفته واجهته مفاجأة ، فبدلا من ان تستقبله اغطية القدور وادوات المطبخ كما تعود ، استقبله سيل من الألفاظ .ليس الا .

وادرك مستر ماكاسكى ان قمر الربيع اللطيف قد رفق صدر زوجته ..

وانطلقت قذائف الابدال الشفبة لأدوات المطبخ على الصورة الآتية :

ـ « لقد سمعتك .. انك تستطيع أن تعتذر لرعاع الطريق عن مس نعلك لحواشى ثيابهم . ولكنك قد تخطو على رقبة زوجتك دون ان تفكر حتى فى تقبيل قدمها . لقد رأيتك تفعل ذلك وأنا مطلة من النافذة ، والطعام يبرد . وأى طعام هذا الذى تحصل عليه ، وانت تنفق أجرك كله على الخمر ، ومحصل الغاز جاء اليوم مرتين مطالبا بما له .. »

قال مستر ماكاسكى وهو يرمى معطفه وقبعته على مقعد :

ـ « أن ضوضاءك يا امرأة مسببة لشهوتى للطعام ، فأنت عندما تعمدين الى البذاءة تخلخلين أساس المجتمع ، وانه ليس أكثر من استثارة بفظاظة سيد فاضل عندما تطالبينه بالشجار مع سيدات يزحمن الطريق ، ويحلن دون الخطو بينهن . الا يمكن أن تدخلى وجهك هذا ـ وجه الخنزير ـ من النافذة ، وتعدى الطعام .. ؟ »

ونهضت مسز ماكاسكى متثاقلة فمضت الى الموقد ، وكان فى سحنتها نذير للسيد ماكاسكى ، فان زاويا فمها كانت فى العادة عندما تتدلى فجأة ، وتصبح كشعبتى بارومتر ، تنبىء عما لابد من حدوثه من قذف الآنية والملاعق والسكاكين ..

وقالت : « وجه خنزير .. ! اهو كذلك .. ؟ »

ثم قذفت وجه سيدها بمقلاة مملوءة بشرائح اللفت ولحم الخنزير ... !

وما كان السيد ماكاسكى حديث العهد بسرعةالبديهة ، فقد عرف ما يعقب التمهيد ، فرد الاهانة بقطعة من لحم الخنزير المشوى مزخرفة بورق البرسيم ، وجدها على المائدة ، وكان الجواب الذى تلقاه عليها فطيرة من فطائر الزبيب فى صحن من الفخار . واصابت ما تحت عين السيدة ماكاسكى قطعة ضخمة من الجبن سددها زوجها باحكام . وعندما استجابت بابريق ممتلىء بالقهوة الساخنة ذات العبق الخفيف ، كان المفروض أن تضع الحرب اوزارها بهذا الختام ، تبعا لتقاليد المائدة .

ولكن السيد ماكاسكى لم يكن من رواد المطاعم الرخيصة . وللبوهيميين الفقراء اذا شاءوا أن يختموا طعامهم بالقهوة ، ويخطئوا هذا الخطأ الاجتماعىالفاحش ، اما هو فاسمى منهم وأحرص على آدابالياقة . انطاسة الماء التى تغسل فيها الايدى والفاكهة لم تكن غريبة عليه ، ورغم أن مثل هذه الطاسات لم يكنلها وجود فىنزل **مسز مورفى** ، فقد كان لها فيه نظائر ، فكاد يفلق راس منازلتهفىبيت الزوجية بحوض الغسيل الحجرى ، لولا أنها زاغت منه فىالوقت المناسب ، وتناولتهى

الاخرى مسكواة ناطت بها كل آمالها فى أن تكون نشوة الكأس التى تضع حداً لهذه المبارزة الغذائية ، ولكن صرخة عالية معولة متصاعدة من أسفل السلم دفعتها هى وزوجها الى أن يكفا عن النزال فى شبه **هدنة** عقدت بغير اتفاق .

وعند ركن البيت على ناصية الطريق ، كان **الشرطى كليرى** يقف ناشرا احدى أذنيه، مصيغا لصليل الآنية التى يتقاذفها الخصمان .

وقال الشرطى لنفسه :

ـ « هذا جون ماكاسكى وقرينته فى معمعة القتال من جديد . أترانى أصعد وأفض النزاع .. ؟ كلا .. انهما زوجان من حقهما أن ينعما بحياة ماأقل فيها ملذات الازواج . ولن تدوم المعركة طويلاً ، ومن المؤكد انهما سيتحتم عليهما استعارة صحون أكثر من الجيران ليبقياها مشتعلة الاوار .. »

وفى نفس اللحظة التى كان الشرطى يحدث فيها نفسه هذا الحديث ، شقت أجواز الفضاء تلك الصرخة المتصاعدة من الطابق الاسفل ، منذرة بالويل والثبور ، وقال الشرطى كليرى لنفسه وهو يخطو مسرعا فى الاتجاه المضاد :

ـ « لعلها هرة تموء » .

وفزع النزلاء الجالسون على سلم المدخل . ولما كان **تونى** محاميا فى شركة تأمين ، تولى مهنته فيها وراثة عن ابيه ، وكان التحقيق فى دمه ، فقد دخل البيت ليكشف عما وراء هذا الصراخ، وعاد ينبىء النزلاء أن **مايك** ابن مسز مورفى قد ضاع ، وأعقبته مسز مورفى نفيها منطلقة من الباب حاملة تسعين كيلو جراما من الدموع واللوعات ، ضاربة بقبضتها الهواء ، مستصرخة السماء لضياع أربعة عشر كيلو جراما من النمش والفساد .. وسمها نذالة اذا شئت ، أن يعمد السيد تونى فى هذا الوقت الحرج الى الآنسة **بيردى** بائعة البرانيط النمسوية ، فيجلس الى جوارها ، وتتلاقى أيديهما كما تتلاقى أيدى المحبين .. أما

العانستان الاختان ــ ويلش ــ اللتان كانتا تشكوان على الدوام مما يشيع فى مدخل البيت من ضوضاء ، فقد تساءلتا فى لهفة عما اذا كان احــد قد بحث عن الغلام الضائع فى ساعة الحائط !

ونهض الصاغ جريج من جلسته بجوار زوجته البدينة على أعلى درجة فى السلم ، وزر سترته وصاح فى تعجب :

ــ « اضاع الغلام حقا .. ؟انى ساقلب عليه المدينة ظهــرا لبطن » ..

وكانت زوجته لاتأذن له فى مبارحة المنزل اذا جن الليل .. ولكنها الآن قالت له فى صوت رجالى عال :

ــ « اذهب يالودفيج . ان الذى يســـــتطيع أن ينظر الى فجيعة هذه الام دون أن ينهض لنجدتها ، لابد ان يكون قلبه قد من حجر » .

وقال الصاغ :

« أعطينى يا حبيبتى ثلاثين أو ستين دانقا .. فان الطفل اذا ضل فكثيرا ما يبالغ فى الشـــطط ، وقد احتاج الى ركوب الاوتوبيس » ..

أما العجوز دنى الساكن فى البهو الصـــيفى للطابق الرابع ، والذى جلس على أدنى درجات السلم يحاول قراءة جريدة تحت ضوء مصباح الشارع ، فقد قلب صفحة ليكمل قراءة موضوع اضراب النجارين . وصرخت السيدة مورفى تخاطب القمر :

ــ « مايك .. مايك .. أيها القمر .. ! بالله الا أخبرتنى اين فلذة كبدى الصغير .. ؟ »

وسألها دنى العجوز واحدى عينيـــه تتبع فى الجريدة قرار نقابة عمال البناء :

ــ « متى رأيته آخر مرة ؟ »

وأجابت السيدة مورفى معولة :

ــ « أوه .. منذ الامس او لعله منذ اربع ساعات ، لست

ادرى ، ولكنه ضاع ، مايك ولدى الصغير .. انه كان يلعب في الشارع هذا الصباح او لعل ذلك كان بالامس . . ؟ انى مغرقة فى العمل ، ومن العسير تذكر الاوقات ، وقد فتشت البيت من السطح الى القبو فلم أعثر له على اثر .. لقد ضاع . أواه .. ! الا بحق السماء الا . . . »

لكم صبرت المدينة شامخة صامتة عابسة منذ الازل على سباب الشاتمين . انهم يتهمونها انها قاسية كالحديد ، وان صدرها لايخفق برحمة ، ويقارنون شوارعها بغابات موحشة ، وصحارى رمالها من حمم البراكين ، ولكن الصدفة الصلبة فى جسم السرطان تحتها لحم شهى لذيذ .. ولعل استعارة أخرى كانت تكون انسب للمقام ، ولكن مع ذلك فما ينبغى لاحد أن يمتعض من هذا التشبيه ، وما كنا لنشبه أحدا بالسرطان لو لم يكن له من المخالب المفترسة مايبرر هذا الاتهام .

ان قلب الانسانية لا تمسه كارثة أروع من ضلال طفل صغير ، قدماه ضعيفتان حائرتان ، والطريق موحش وما أكثر مافيه من مزالق ..

اندفع الصاغ جريج الى ناصية الطريق ، ومنها الى الشارع الكبير ، حيث وقع على حان ، وقال للخمار :

ـ الي بكأس من الويسكى .. أرايت شيطانا صغيرا فى السادسة من عمره أعوج الساقين ، قذر الوجه ، ضاع فى مكان ما بهذه النواحى .. أرايته بالله .. ؟ »

وظل السيد تومى محتفظا بيد الآنسة بيردى وهو يجالسها على السلم ! وقالت الآنسة :

ـ « تصور هذا الطفل الصغير العزيز وهو يضيع من حضن أمه ، ومن يدرى فقد يكون وقع تحت سنابك جياد راكضة . أليس هذا فظيعا .. ؟ »

وقال تومى وهو يعصر يدها مؤيدا :

ـ « بالضبط .. فما قولك فى أن أخرج وأساعد فى البحث عنه .. ؟ »

قالت الآنسة بيردى :

ـ « لا بأس ، ولكن تذكر يامستر تومى انك مغامر جسور ، فماذا لو أصابك فى حماستك حادث ..؟ وماذا يكون من .. »

واستمر العجوز دانى يقرأ عن اتفاقية التحكيم ، متابعا السطور بأصبعه ..

وفى واجهة الطابق الثانى كان آل ماكاسكى قد اطلا من النافذة يلتقطان أنفاسهما استعداداً للجولة الثانية ، والسيد ماكاسكى يغترف اللفت المطبوخ من صداره بسبابته المعقوفة ، فى حين أن زوجته كانت تدعك عينا لم يفدها لحم الخنزير المشوى وما فيه من ملح الطعام . لقد سمعا الصرخة الصاعدة من تحت ، فأطلا برأسيهما من الشباك .

وقالت السيدة ماكاسكى فى صوت رزين :

ـ « ان مايك الصغير قد ضاع ، ذلك الصبى الحلو الشقى العفريت » ..

قال السيد ماكاسكى وهو يطل من النافذة :

ـ « لعله نسى فى مكان ما . هذا شىء سىء .. ان الاطفال ليختلفون من هذه الناحية عن النساء ، فلو كانت امرأة تلك التى فقدت لما همنى شىء ، فانهن يتركن وراءهن الهدوء والسلام .. »

وتجاهلت السيدة ماكاسكى الضربة ، وأمسكت بذراع زوجها وقالت فى حنان :

ـ « ان ابن السيدة مورفى الصغير مفقود . . . وانها لمدينة ضخمة على طفل ضائع ، انه فى السادسة من عمره ، وهذا ما كان ينبغى ان يكون عمر ولدنا لو كنا أنجبنا ولدا منذ ستة أعوام » ...

قال السيد ماكاسكى وهو يتأمل فى هذه الحقيقة :

ــ « بيد اننا لم ننجب قط »

ــ « هبه اننا فعلنا يا جون ، وفكر فيما كان يغمر قلبينا من الاسى هذه الليلة لو أن ولدنا (فيلان) خرج من البيت فالتقمته المدينة ، فلم يوجد فى مكان؟ » .

قال السيد ماكاسكى :

ــ « ان هذا الذى تقولين حمق وخرق .. فان ولدنا كان ينبغى أن يسمى بات باسم ابى الشيخ المقيم فى كانتربم »

قالت السيدة ماكاسكى بلا غضب :

ــ « انت كذاب فان أخى كان يساوى مائة من آل ماكاسكى الفلاحين ، وولدنا يجب ان يسمى باسم خاله .. »

ومدت راسها من النافذة ونظرت الى ما يجرى تحتها من لغط وضوضاء . ثم قالت بلطف :

ــ « جون انى آسفة ، لقد تسرعت معك .. »

قال زوجها : « انما تسرعت الفطائر واللفت والقهوة ، ولعلها كانت تصبيرة ، وعلى أى حال فلا بأس ولا تعودى الى البهتان»

وزلقت السيدة ماكاسكى ذراعها تحت ابط زوجها ، وشبكت يدها فى يده الغليظة . وقالت :

ــ « اتسمع ولولة السيدة مورفى المسكينة .. ؟ انه لشىء فظيع أن يفقد طفل صغير فى هذه المدينــة الضخمة الرهيبة ، ولو كان الضائع ولدنا فيلان لحطمت صدرى بيدى حسرات »

وسحب مستر ماكاسكى يده من يدها بغلظة ، واحاط بها اكتاف زوجته وقال فى خشونة :

ــ « هذا هو الحمق بعينه ، ولو أن ولدنا بات خطف او حدث له حادث لقتلت نفسى . ولكننا لم ننجب اطفالا قط ، ولئن كنت عاملتك بفظاظة احيانا ، وخشونة احيانا اخرى ياجودى ، فانسى واغفرى ما كان » .

وعادا يطلان من النافذة جالسين ، ويشهدان المأساة التى تمثل تحتهما .

وطالت جلستهما هذه ، وماج الشارع الضيق بأفواج من الناس يتساءلون ويملأون الجو شائعات ، وتخمينات متضاربة .. والسيدة مورفى تذرع الطريق بينهم جيئة وذهابا كجبل ندى يتدفق على سفحه شلال من الدموع ، رائع الهدير ، والرسل يغدون ويروحون . .

وتضاعفت الضوضاء والصياح فجأة . . فتساءل السيد ماكاسكى :

ــ « لا أدرى ماذا جد الآن ياجودى .. ؟ »

قالت السيدة ماكاسكى هامسة :

ــ « انه صوت السيدة مورفى ، تقول انها عثرت بصغيرها مايك نائما وراء لفة من البساط تحت السرير .. ! »

وقهقه ما كاسكى وهو يقول ساخرا :

ــ « ها هو ذا ولدك فيلان .. أتظنين ولدى بات كان على شقاوته يرضى لنفسه مثل هذه الالاعيب .. ان الولد الذى لم نرزق به قط ، اذا ضل أو سرقته قوى المدينة الخفية ، فلك أن تسميه فيلان ، ما دام يختفى تحت السرير كالجرو الاجرب »

ونهضت السيدة ماكاسكى متثاقلة ومضت نحو صوان الاطباق وزوايا فمها مدلاة . .

وعندما انفض الزحام ظهر الشرطى **كليرى** من وراء ركن البيت وبدت عليه الدهشة عندما صوب أذنه نحو مسكن **آل ماكاسكى**، حيث تعالى كما كان من قبل صليل المكاوى والاطباق ، ورنين أدوات المطبخ ، وأخرج الجاويش كليرى ساعته ، وقال متعجبا :

ــ « وحق الافاعى السارحة ، ان ماكاسكى وامرأته يتعاركان منذ ساعة وربع بالدقيقة ، انه قد يفوقها قوة عضل ، ولكنها تفوقه قطعا سلاطة لسان » .

وعاد الشرطى **كليرى** من حيث أتى ..

وطوى العجوز **دانى** جريدته وصعد السلم عجولا ، عندما رأى السيدة مورفى تهم باغلاق الباب بالمزلاج ، كما كانت تفعل كل ليلة .

ماجى تدخل الدنيا



« ان ماجى تول العـزيزة ، الساذجة ، غير الفاتنة ، الحلوة غاية الحلاوة كصديقة ، المنسية اشنع النسيان فى جلسات الليالى المقمرة ، تجد نفسها فجاة مسقط الانظار فى نادى ورقة البرسيم »

ماجى تدخل الدنيا

كان « نادى ورقة البرسيم الاجتماعى » يقيم مرقصا فى مساء السبت من كل اسبوع ، فى دار « **جمعية خذ وهات الرياضية** » ، بالجانب الشرقى من نيويورك . ولكى يباح لك ارتياد هذا المرقص يجب أن تكون عضوا فى «جمعية خذ وهات» او .. اذا كنت منتميا الى ذلك الفريق من الراقصين الذى يبدأ الرقص بالقدم اليمنى(1) ، فيكفى أن تكون عاملا فى مصنع راينجولد لصناعة علب الورق ، يضاف الى ذلك أن كل عضو من من أعضاء نادى ورقة البرسيم كان له الحق فى أن يصحب معه رفيقا من الجنس الآخر من غير أعضاء النادى لرقصة واحدة ، وكان إكثر اعضاء « جمعية خذوهات » يصحب كل منهم الفتاة التى تستجيب له من مصنع الورق ، وقليل من الغرباء عن هؤلاء وهؤلاء من يفخر بأن قدمه وطئت يوما ما أعتاب هذه المراقص الدورية .

وكانت **ماجى تول** لاتذهب الى هذه المراقص الا بصحبة **آنا ماكارثى** ورفيقها ، وكانت علة ذلك خمول عينيها ، وسعة فمها ، وقلة خبرتها فى الرقص .. وكانت **ماجى وآنا** تعملان جنبا الى جنب فى مصنع العلب ، وكانتا صديقتين حميمتين ، ومن أجل ذلك كانت **آنا** تلزم رفيقها **جيمى بيرنس** بأن يمر على بيت ماجى مساء كل سبت حتى يتاح لصديقتها ارتياد **المرقص** فى صحبتهما .

وكانت « جمعية خذ وهات الرياضية » مخلصة لاسمها تمام الاخلاص ، فقد كان بهو الجمعية فى شارع أوركارد مزودا بكل الاختراعات البانية للعضلات . وبهذه العضلات المدربة تعود الاعضاء أن يشتبكوا مع دوائر الشرطة والمؤسسات الاجتماعية والرياضية المنافسة فى مباريات ممتعة . وبغض النظر عن العمل

---

(1) كناية عن النساء .

الجدى الذى كان بنات مصنع العلب يقمن به ، فقد كان لمراقصهن الاسبوعية عمل آخر هو الترفيه، والتستر على مايجرى أحيانا من معارك وراء الجدران . ولو أنك كنت من الصفوة التى يباح لها أن تتهادى فى السلم الخلفى المظلم ، فلعلك ترى مباريات بين متلاكمين من الوزن الثقيل ، على أتم وأدق مايمكن أن تكون عليه هذه الملاكمات فى حلبات الصراع المرخص بها من القانون .

وكان مصنع العلب يغلق أبوابه أيام السبت فى الثالثة بعد الظهر . وفى عصر يوم من هذه الايام عادت **أنا وماجى** الى بيتيهما معا . فلما وصلا الى بيت **ماجى** قالت **أنا** كالعادة :

ــ « كونى مستعدة فى السابعة تماما **ياماجى** ، فسنأتى **جيمى** وانا لاصطحابك . »

ولكن ماهذا ؟ فعوضا عن كلمة الشكر المتواضعة المألوفة ، من الفتاة التى لارفيق لها ، نصبت الفتاة رأسها فى الهواء ، وبدت على جانبى فمها الواسع نقرتان ممتلئتان بالزهو ، وفى الاعين العسلية الخابية التمع شىء أقرب مايكون للبريق ، وقالت ماجى :

ــ شكرا يا **أنا** .. لاعليك مامنى ، أنت **وجيمى** ، هذه الليلة ، فلى صديق فاضل سيمر بى ليصحبنى الى المرقص » .

وانقضت **أنا** الظريفة على صديقتها تهزها ، وتلاغيها ، وتستفسرها بتضرع عما كان .. **ماجى تول** توفق الى رفيق ؟ **ماجى** الساذجة العزيزة المخلصة غير الفاتنة .. **ماجى** الحلوة غاية الحلاوة كصديقة ، المنسية أشنع النسيان فى الدعوات الى المراقص ، وفى جلسات الليالى المقمرة على دكك المتنزه العام الصغير ! .. كيف حدث هذا ؟ ومتى حدث ؟ ومن هذا الرفيق ؟

قالت **ماجى** ووجنتاها تتضرجان بحميا أول أعناب تقطفها من كروم كيوبيد :

ــ « سترين الليلة . انه آية فى الرشاقة والاناقة ، وهو أطول من جيمى بخمسة سنتيمترات ، وسأقدمه لك فور وصولنا الى المرقص » .

وكانت **أنا وجيمى** من أوائل أعضاء « نادى ورقة البرسيم » وصولا الى المرقص هذه الليلة ، وتركزت عيون **أنا** المشرقة على

باب القاعة لتحظى بأول نظرة تلقى على محظى صديقتها المختار •

وفى الثـامنة والنصف تهادت مس **تول** الى القـاعة مع رفيقها ، وسرعان ما اتجهت عينـاها الى صديقتهـا **أنا** وهى تتـأبط ذراع صاحبها الوفى **جيمى** •

وصاحت أنا :

ـ هلا •• هلا ! •• ان ماج لم تقـع •• كلا ! أليس صـاحبها رشـيقا ؟ أظن ذلك •• أليس أنيقا •• انظر اليه •• »

قال جيمى بصوت محنق كأن فيه (صنفرة) :

ـ « هيا أرخى لنفسك العنان. • أنشبى فيه أظفارك ان كانت لك رغبـة فيه ، ان الوافدين الجـدد يكسبون لاول مرة دائما فى غمرة الزحام • لا عليـك منى ، فما أظنه يعصر كل الليمون (١) هه!»

ـ « اخـرس ياجيمى •• انك لتدرك ما أريد • انى فرحة لماجى ليس الا ، فهو أول صديق تضع يدها عليه ، وهاهما ذان قادمان»

وتهادت ماجى عبر القـاعة كيخت « محنـدق » يقطـره طراد فخم • فقد كان رفيقها يبرر بحق كل مدائح صديقتها فيـه ، فهو أطول خمسـة سـنتيمترات من الرياضى الوسط من أعضاء (جمعية خذ وهات) وشعره الفاحم جعد ، وعندما يجود بابتساماته المتواترة تسطع عيناه وثناياه • بيـد أن شبان « نادى ورقة البرسيم » لم يكن اعجابهم ينصب على محـاسن المرء بمقـدار ما ينصب على حظه من الشجاعة ، وانتصـاراته فى المـلاكمة ، ومناعتـه على سطوة القانون التى تهدد المـلاكمين على الدوام • وكان عضو الجمـاعة الذى يقتاد الى عجلته عـذراء من عذارى مصـنع العلب يحتقـر مظـاهر الرقاعـة التى لم تـكن تعتبر وسائل شريفة للنزال • لقد كانت ضخامة عضلات العضـد ، وتحدى السترة لازرارها من فوق الصدر ، والايمان الراسخ بسيطرة الرجل فى دستور الخليقة ، وحتى العرض الرزين للسبقان المعوجة ، كانت هذه كلها ذخائر الظرفاء فى نادى ورقة البرسيم ، واسلحتهم المعترف بفعلها الساحر فى معارك

---

(١) كناية عن انه لن يستبى كل الفتيات ، وانه سيجد غيرها من بينهن •

كيوبيد الغـرامـيـة • ومن أجل ذلك نظـروا الى انحنـاءات هذا الزائر الجديد ، ووقفـاته المغرية بشيء من الوجوم •

لقد قدمته ماجى لهم على انه « **مستر تيرى او سوليفان** ... صديق من اصدقائى » وراحت تطـوف به فى البـهو ، وتقدمه لكل قادم من اعضاء « نادى ورقة البرسيم » . واوشكت ان تصبح جميلـة بذلك البريق العجيـب الذى يشـرق فى عين كل فتـاة تصادف اول صديق ، وعين كل هرة تلاقى اول فار •

ودارت هذه الكلمة من فم الى فم بين بنات المصنع : « لقد وجدت **ماجى تول** رفيقـا فى النهـاية • فدقوا النفير لرفيق ماج » وكذلك عبر اعضاء « جمعية خذ وهات » عما يشعرون به من زراية مشوبة بقلة المبالاة •

كان من عادة ما جى فى هذه المراقص الاسبـوعيـة ان تدفىء رقعة بعينها من الجـدار من طول ما تلصق بها ظهرها ، وكم كانت تغالى فى الاحسـاس بالامتـنان والتعبير عنه كلما دعاها الى الرقص شخص يؤثر على نفسه ، فترخص متعته وتزعزعها بهذه المغالاة • بل انها تعود تأن ترى أنا وهى تغمز بكوعهـا جيـمى المتردد ، لتدفعه دفعا الى دعوة صـديقتها لرقصة تدوس فيه قدميه • ولكن بغاثهـا استنسر الليلـــة ، فأصبح تيرى او سوليفان الامير الساحر الظافر ، واصبحت ماجى تول الفراشة التى نشرت جناحيها لطيرانها الاول • ولئن اختلط عالم الخيال بعـالم الحشـرات فى هذا التشبيه ، فان هذا الاختلاط لا ينبغى أن يريق قطرة واحدة من رحيق تلك السعادة المكللة بغلائل الورد ، التى توجـت مـاجى فى ليلتهـا الوحيـدة البـالغة اوج الكمال •

وحاصرتها الفتيـات لتقدمهن الى صاحبها • وبدأ فجأة شبان « نادى ورقة البرسيم » يرون فتنافى مس تول عميت عنها عيونهم سنتين ، فراحوا ينحنون لهـا ، ملتمسين تسجيل أنفسهم للرقصة التالية •

وكتب الفوز لماجى ، وان جفت مباهج الليلة لتيرى أو سـوليفان قبل الاوان • لقد صفف شعـره الجعد ، ووقف أمام المـرآة أمام نافذة حجـرته المفتوحـة سبع وقفات فى عشر دقائق يعـرض

محاسنه ومزاياه ، وقد رقص كما ترقص الآلهة ، وافتن في التأنق والسلوك واحاطة نفسه بجوخاص ، وتدافعت من شفتيه الالفاظ ... ورقص رقصتين متواليتين مع فتاة مصنع العلب التي جاءت مع دمبسي دونفان .

ان دمبسي كان رئيس الجمعية وكان يرتدي ملابس السهرة ، وكان في قدرته ان يرفع «البار» الى مستوى ذقنه بيد واحدة مرتين ، وكان واحدا من أركان حرب « مايك أوسوليفان الكبير » ، وما كان يهوله الهول قط . وما من شرطي جرؤ على القبض عليه يوما ما . وانما كان كلما شج رأس بائع فاكهة على عربة يد ، او كسر ركبة عضو من أعضاء جمعية هنريك سويني للرحلات والآداب ، جاء اليه شرطي يقول : «ان الضابط يحب أن يراك في المكتب بضع دقائق عندما يحلو لك يا ولدي دمبسي »

وفي المكتب تكون طائفة متنوعة من السادة ، يضعون السلاسل الذهبية على صدورهم ، والسيجار الاسود في افواههم ، فيروي احدهم عن الحادث قصة مضحكة ويطلق سراح دمبسي ، فيعود ليمارس في نصف ساعة رفع الاثقال . فالرقص اذن على سلك مشدود عبر شلالات نياجارا .. كان احمد عاقبة من الرقص مرتين مع فتاة دمبسي دونوفان . وتجلى على الباب في الساعة العاشرة «مايك أوسوليفان الكبير » بوجهه المستدير ، حيث وقف خمس دقائق يتأمل المكان . وكان من عادته في كل حفلة ان يقف وقفته هذه يبتسم للفتيات ، ويقدم السيجار الفاخر للشبان المرحين .

وما ان وقف بالباب الليلة حتى كان دمبسي دونوفان بجواره يصب في أذنه سيلا من الالفاظ ، فنظر مايك الى الراقصين بامعان ثم ابتسم ، وهز رأسه وانسحب ، وسرعان ما وقفت الموسيقى وتبعثر الراقصون على المقاعد المثبتة في الجدران ، وتخلى تيري أوسوليفان عن فتاة جميلة ترتدي اللون الازرق ، تاركا اياها لرفيقها مع انحناءته الخلابة ، وعاد هو الى حيث كانت ماجي ...

وباحدى الغرائز التي لابد أن نكون قد ورثناها عن الرومان ، تلفت كل من بالقاعة اليهما دون استثناء ، وطاف بالقاعة كلها شعور خفي بأن معركة على الابواب ، فقد اقترب اثنان أو ثلاثة من

أعضاء « جمعية خذ وهات » في أكمامهم التي ضاقت بأذرعهم المفتولة ، من تيري أوسوليفان •

وقال دمبسي : « لحظة يامستر أوسوليفان • لعلك سعيد • في أي مكان قلت انك تقيم ؟ »

كان الخصمان كفرسي رهان ، وان بدا أن دمبسي يزيد على منافسه عشرة أرطال • وان كان أوسوليفان أعرض وأسرع فلدمبسي عين في برودة الثلج ، وفم كالشق يدل على السيطرة والسلطان ، وفك يعز على التحطيم ، وسحنة لها جمال الغيد وقلة اكتراث الابطال • وتسعرت في وجه الزائر نار لم يستطع كتمان مايشوبها من تهكم واحتقار • وكأنهما كانا خصمين بحكم قانون سن منذ كانت الصخور في كيانها في الفخامة ، آية في القوة ، آية في انعدام النظراء ، حتى ليصعب المصهور • فقد كان كلاهما آية بينهما التفضيل • وما تتسع الدنيا لكليهما ، وما ينبغي الا لواحد منهما البقاء •

وقال أوسوليفان بوقاحة : « اني أقيم في شارع جراند ، ولا يعسر عليك أن تلقاني في بيتي ، فأين تقيم أنت ؟! »

وتجاهل دمبسي السؤال واستأنف : « تزعم أن اسمك أوسوليفان ، مع أن مايك الكبير يقول أن عينه لم تقع عليك قط »

قال فاتن المرقص : « ماأكثر مالم تقع عليه عينه » !

وقال دمبسي في بحة حلوة : « ان آل أوسوليفان في هذه البقعة يعرف بعضهم بعضا في العادة • وقد أتيت مرافقا لعضو من أعضائنا السيدات • ونحن نطالب بفرصة لاصلاح هذا الوضع ، فان كانت لك شجرة نسب فدعنا نر بضعة براعم من آل سوليفان التاريخيين نابتة عليها ، او لعلك تؤثر أن نقتلعها منك من الجذور ؟ »

وأجاب أوسوليفان في هدوء : « أظن من الخير لك أن تعنى بنفسك » •

وبرقت عينا دمبسي ، وأشار اليه بسبابة ملهمة كأنما خطرت له فكرة باهرة ، وقال في لهجة ودية : « لقد فقستها الآن ، انها مجرد هفوة صغيرة ، فلست من آل سوليفان ، وانما أنت قرد ذو ذنب ، فسامحنا ان كنا لم نعرفك منذ البداية »

وومضت عين أوسوليفان ، وتهيأ للقيام بحركة مباغتة ، ولكن **آند كوجهان** ، كان متأهبا لهـا فقبض على ذراعه •

وأومأ دمبسي برأسه « **لآندي وويليم ماكماهان** سكرتير النادي، وحث خطاه نحو باب في مؤخرة القاعة ، ولحق بالجمع الصغير عضوان آخران من « جمعية خذ وهات » ، وأصبح تيري أوسوليفان الآن في قبضـة مجلس اللوائح والمراجع الاجتماعيـة ، فتحدثوا اليه في لطف وايجاز وقادوه من الباب الخلفي •

وتحتاج هذه المناورة من أعضاء « نادي ورقة البرسيم » الى كلمة ايضاح • فقـد كان خلف قاعة الجمعية غرفة صغيرة يستأجرها النادي لتسوية الخلافات الشخصية التي تنشأ في قاعة الرقص ، رجلا لرجل ، وبأسلحة الطبيعة ، وتحت اشراف المجلس ، وما من سيدة تستطيع أن تزعم أنها شـاهدت معركة ما في مرقص « نادي ورقة البرسيم » خلال عدة أعوام ، وقد تكفل بذلك السـادة من أعضـاء النادي •

قام دمبسي وأعضـاء المجلس بهذا الجزء التمهيـدي في مهمتهم في يسر وسلاسة جعلا أكثر من في القـاعة لا يلحظون خاتمـة الظفر الاجتماعي الذي ناله أوسوليفان الفاتن • وكان من بين هؤلاء ماجي التي راحت تبحث عن رفيقها بين الراقصين •

وقال لها **روز كاسيدي** : « لقد اختفى • ألم تشهدي ما كان ؟ ان دمبسي دونوفان قد تـلاحى مع صـاحبك ، وسـاقه في خطوة الراقص الى حجرة المذبح • قولي بالله : كيف ترين **ياماجي** تصفيف شعري على هذا المنوال ؟ »

ودقت ماجي بيدها على صدرها ثم قالت في أنفاس مضطربة:

ــ «ذهب ليصارع دمبسي؟ يجب ان يوقفا • ان دمبسي دونوفان لا يستطيع أن ينـازله ، انه قاتله لا محالة »

قال روز :

ــ « وماذا يهمك ؟ ألا تحدث في كل مرقص معارك ؟ »

ولكن ماجي انطلقت كالسـهم تشق طريقها المتعرج بين أفواج الراقصين حتى أتت الباب الخلفي فاقتحمته ، ثم رمت ثقلها على باب

المعترك فدان لها ، وتبينت عينهامن النظرة الاولى مايجرى هنـاك .. أعضاء مجلس اللوائح والمراجع واقفون جانبـا ممسكين بالسـاعات ، ودمبسى دونوفان يتراقص بأكمامه المشمورة خفيف الخطو ، حذرا حذر الملاكم العصرى على أقل من مرمى ذراع من خصمه في حين أن تيرى أوسوليفان واقف مشبك الذراعين على صدره وفى عيونه السـوداء نظرة قاتلة .وبدون أن تطامن ماجى من سرعة دخولها اندفعت صارخة الى الامام .. اندفعت فى الوقت المناسب لتمسك بذراع أوسوليفان وتتعلق به وهو يرتفع فجأة ، فيطيش منه الخنجر الطويل اللامع الذى سله من صدره .

ووقع الخنجر على الارض فرن عليها . وياله من حادث أن يشهر سلاح الفولاذ فى غرف « جمعية خذ وهات ! » انه حادث لا نظير له من قبل ، وقف له الكل دقيقة دون حـراك . ثم ركل آندى كوجان الخنجر ببوز حذائه فى ذهول ، فعل العالم الاثرى بسلاح تاريخى لا علم له به .

وعندئذ لفظ اوسوليفان من بين شفتيه كلمة لم يدرك معناها أحد ، فتبادل دمبسى والمجلس النظرات ، ثم نظـر دمبسى الى أوسوليفان بلا غضب كما ينظر المرء الى كلب ضال ، وأومأ برأسه الى الباب قائلا فى اقتضاب :

« الى السلم الخلفى ياجيوسيبى .. وسيرمى لك أحد ما قبعتك وراءك » !

ومشت ماجى الى دمبسى دونوفان ، وفى وجنتيها نقطتـان حمراوان براقتان تسيل عليهما الدموع ، ثم حدقت فى عينيـه بشجاعة وقالت وقد خبا ماكان فى عينيهـا من اشراق حتى مع البكاء :

ـ « لقد كنت اعرف ذلك يادمبسى .كنت أعرف أنه افريقى ، وان اسمه تونى سبينلى ، وقد بادرت بالدخول عنـدما علمت انكما ستتلاكمان . ان هؤلاء الافريقيين يتسلحون بالخناجر على الدوام ، ولكنك لن تفهمنى يادمبسى . اننى ما كـان لى صاحب فى حياتى قط ، ولقد مللت القـدوم فى صـحبة انا وجيمى كل ليلة ، فتآمرت معه على أن يسمى نفسه أوسوليفان ،

واحضرته معى ، وكنت أدرك ان دخوله المرقص كاسبانى محال . م اظن من الخير ان أستقيل من النادى الآن ؟ »

والتفت دمبسى لآندى كوجان وقال مشيرا الى الخنجر :

ـ ارم قاطعة الجبن هذه من النافذة ، وقل لهم فى الداخل ان مستر أوسوليفان قد تلقى اشارة تليفونية بالذهاب الى مرقص تامانى !

ثم استدار الى ماجى يقول :

ـ وانت ياماجى هل لديك مانع من أن أوصلك الى البيت ؟ وما رايك فى مساء السبت التالى ؟ هل تأتين الى المرقص فى صحبتى اذا جئت اليك ؟

وما أعجب السرعة التى استحالت بها عينا ماجى من الخمول الى الاشراق من جديد ، وهى تجيبه متلعثمة :

ـ أصحيح يادمبسى ؟ قل لى : هل ترفض البطة أن تعوم ؟

غرفة المنوب



« حاولت عبثا مرتين ان ترفع ذراعهـا ، وفى الثالثـة نجحت فى أن تضع أصبعين نحيلين على شفتيهـا ، وتذرو قبلة فى الهوة المظلمة الى نجمها المفضل ، ثم هوى ذراعهـا كليلا الى حيث كان . »

غرفة المنور

أول ماتريك مسز باركر فى بيتها ردهاته المزدوجة . وانت لن تجرؤ على مقاطعتها فى وصفها لمحاسن هذه الردهات ، ومزايا السادة الذين سكنوها ثمانى سنوات . وقد تحاول أن تعترف لها همهمة انك لست طبيبا ولا جراح أسنان ، فتتلقى مسز باركر هذا الاعتراف بصورة تجعلك تنصرف الى الابد عن شعورك الطيب القديم نحو أبويك اللذين أهملا تعليمك مهنة من المهن اللائقة بردهات مسز باركر .

ثم تصعد وراءها فى درج السلم الى الطابق الثانى ، وترى غرفته الخلفية التى ايجارها ثمانية دولارات ، ولكنك مع اقتناعك بوصفها الخاص بغرف الطابق الثانى ، ان الغرفة تساوى الاثنى عشر ريالا التى كان يدفعها فيها على الدوام مستر توزنبرى ، حتى غادرها أخيرا ليشرف على مزرعة برتقال لاخيه فى فلوريدا ، بالقرب من بالم بيتش ، حيث تشتى دائما مسز ماكنتر ، ساكنة الغرفة الامامية ذات الحمام الخاص .. مع اقتناعك بكل هذا ، فانك تقول متلعثما انك تريد غرفة بأيجار أقل .

وتقودك مسز باركر — اذا انت صمدت لاحتقارها — الى غرفة مستر سكيدر الواسعة فى الطابق الثالث . ورغم أن غرفة مستر سكيدر لم تكن خالية ، اذ كان يؤلف فيها مسرحياته ، ويدخن سجائره ، لايبرحها طوال اليوم ، فان كل راغب فى استئجار غرفة كان حتما عليه ان يزور غرفة المستر سكيدر ، ليعجب بسجوفها . وفى أعقاب كل زيارة كان مستر سكيدر يضطر بدافع الذعر الناشىء من احتمال طرده ، الى دفع علاوة جديدة على الايجار .

ثم .. ثم اذا بقيت لك ساق تحملك ، ويدك المحمومة فى جيبك متشبثة بالدولارات الثلاثة المنداة بالعرق ، وصوتك المبحوح يعترف بفقرك المذل الشنيع ، فان مسز باركر

تنفض يدها من ارشـــادك ،وتصيح صـــياح الاوزة البرية منادية« **كلارا** » ثم توليك ظهرها وتنزل . ومن ثم تقودك كلارا الخادم الزنجية على الســـلم المكسو بالســجاد ، المؤدى الى الطـــابق الرابع ، فتريك **غرفة المنور** ، التى تشغل سـبعة فى ثمانية أقدام ، من وسط البهو، ويقوم على كل من جانبيهـــا مخزن مظلم لسقط المتاع .

كان فى الغرفة سرير حديدى ضيق ، وحمالة مغســـل ، وكرسى ورف يستعمل صوانا ،وتبدو لك جدرانها الاربعة كأنما تنطبق عليــك كجوانب نعش ،وتنســاب يدك الى عنقـــك ، وتشهق ، وتتطلع الى اعــلاها فتحس انك تنظر اليه من قرار جب ثم تلتقط انفاسك ثانية . ومن خلال زجاج المنور الصــغير فى سقف الحجرة ترى مربعـــا صغيرا من اللانهاية الزرقاء .

وتقول كلارا فى لهجة نصفها ازدراء ونصفها من ولاية الاباما : « دولاران ... تفو ! »

وجاءت **مس ليسون** ذات يوم تبحث عن غرفة ، وكانت تحمل آلة كاتبة ، صنعت لتحملهـــا سيدة أضخم ، فقد كانت مس ليسون صبية صغيرة القد ، ظل شعرها وعينـــاها يكبران حتى بعد أن كف نموها ، وكأنمـــا يقولان لها : « يالله ! لماذا لا تكبرين معنا ؟ »

وارتها مسز باركر ردهتهـــا المزدوجة ، وقالت لها مشـــيرة الى مخدع فى الجدار : « هنـــا يستطيع المرء أن يحتفظ بالهيكل العظمى أو المخدرات أو الفحم» !

وقالت مس ليســـون وهى ترتعد : « ولكننى لست طبيبة ولا جراحة اسنان » !

والقت عليها مسز باركر تلك النظرة المنـــكرة ، الرائيـــة ، الساخرة ، الاشـــد برودة من الثلج ، والتى تدخرها لاولئـــك الذين فشلوا فى الحصـــول على اجازات الطب وجراحة الاسنان، ثم قادتها الى الغرف الخلفية فى الطابق الثانى .

وقالت مس ليسون : « ثمانية دولارات ! ياللهول ! انى لست

اغا خان ، وان بدوت كذلك ،وما انا الا عاملة فقيرة ، فارينى شيئا أعلى واقل » !

ووثب مستر سكيدر عندماسمع طرقا على الباب،ناثرا على الارض منفضة السجائر بمافيهامن أعقاب .

وقالت مسز باركر وهى تبتسم ابتسامتها الشيطانية الملامحه التى شاع فيهاالشحوب :« لاتؤاخذنى يامستر سكيدر ، فما كنت أعلم انك هنا ، وقدسالت السيدة أن تلقى نظرة على سجوف غرفتك » !!

قالت مس ليسون وعلى ثغرهاابتسامة كابتسامة الملائكة: «انها آية فى الجمال » .

وبعد خروجهما انهمك مسترسكيدر فى تغيير بطلة آخر مسرحية له (لم تمثل) ، وكانت فرعاء سوداء الشعر ، الى فتاة صغيرة القد ، لعوب لها ملامح مرحة ، وشعر كثيف براق .

وقال مستر سكيدر يحدث نفسه ، ونعلاه تواجهان سجوف الباب ، وقد استخفى فى سحابةمن الدخان كخنفس بحرى يسبح فى الهواء :

ـ « ان الممثلة آنا هيلد سترقص فرحا بهذا الدور » .

وفى هذا الوقت كان نداء مسزباركر على كلارا يعلن على العالم بناقوسه الرنان حالة مس ليسون المالية ، وكان مارد أسود يقبض على ذراع الآنسة ، ويقودها فى السلم المظلم الى اللحد الذى تنجاب كوته العليا عن شعاع من النور ،ثم يغمغم بالكلمة المحملة بالسخرية والوعيد : « ريالان » .

وتنهدت مس ليسون قائلة :

ـ « سآخذها » ، ثم ألقت بنفسها على السرير الحديدى العالى الصرير .

وكانت مس ليسون تخرج الى عملها كل يوم ، ثم تعود فى المساء حاملة أوراقا مكتوبة تنسخها على الآلة الكاتبة ، ولكنها كانت تخلو من العمل احيانا ، فتجلس على درج المدخل مع النزلاء الآخرين .

ان مس ليسون عندما صورت لم يخط لها في اللوح أن تسكن في غرفة منور ، فقد كان قلبها عامرا بالمرح ، وكان خيالها ممتلئا بألطف وأغرب الافكار • ولقد سمحت ذات مرة للمستر سكيدر أن يقرأ لها ثلاثة فصول من مهزلته العظيمة (التى لم تطبع): « ليس هذا خدعة أو وارث الترام» •• !!

وكان الرجل من النزلاء يبتهجون كلما وجدت مس ليسون فسحة من وقتها لتجالسهم ساعة أوساعتين على السلم ، ولكن المس **لونجنكر** التى تحتل درجة السلم العليا ، وتشتغل مدرسة فى مدرسة شعبية ، وتعلق على كل ماتقوله لها بكلمة « حقا ! » كانت لاتشاطرهم هذا الابتهاج •وكذلك كان شأن **مس دورن** صاحبة الدرجة السفلى من السلم، والعاملة فى محل تجارى ، والتى تمارس صيد البط فى مدينة الملاهى كل يوم أحد • وكانت مس ليسون تحتل الدرجة الوسطى من السلم ، فلا تكاد تأخذ مكانها حتى يتجمع من حولها الرجال •

وكان هذا بنوع خاص ديدن المستر سكيدر الذى اصطفاها خياله لتمثل دور البطلة فى تمثيلية غرامية شخصية (لم تكتب) من واقع الحياة • والمستر **هوفر** البدين الخجول الاحمق الموفى على الخامسة والاربعين •وكذلك المستر **ايفانس** الشاب الذى يتصنع السعال الاجوف ليدفعها الى رجائه أن يقلع عن التدخين • وفى الوقت الذى كان الرجال يصفونها بأنها ألطف وأظرف من على ظهر الارض ،كانت صاحبتا الدرجتين العليا والسفلى يقابلن هذا الرأى بتحفظ شديد •

***

وانى لأتوسل للقارىء أن يترك القصة تتوقف هنيهة ، يظهر فيها معلن الاشخاص ، أمام الستار ، وتحت أضواء المسرح ، ليسكب دمعة حزينة على بدانة المستر **هوفر** ، وليقرع الطبول على مأساة السمنة الفاحشة ،ولعنة الضخامة الجسيمة، وكارثة البدانة الهائلة !!ان الطن من شحم **فالستاف** (١) قد يشتمل على حب أكثر مما تحويه الاوقية من **هزال روميو** • ولكن المحب ان

---

(١) فالستاف وروميو من شخصيات شكسبير ، الاول منهما بدين والثانى نحيف

حمد منه التنهد ،فهيهات أن يحمدمنه اللهـاث • وفى موكب الآلهة يساق البدين فى حبائل **موماس**(١) ، فان أشد القلوب اخـلاصا فى الهوى يخفق سـدى فوق كرش قطره متران • فتأخر **ياهوفر** •• تأخر •• ان **هوفر** الخجول الاحمق الموفى على الخامسة والاربعين قد يحظى **بهيلانه** (٢) نفسها ، ولكن **هوفر** الخجول الاحمق الموفى على الخامسة والاربعين ، ببدانتـه الفاحشـة لا يصـلح الا وقودا للجحيم • تأخر فما من أمل لكقط ياهوفر •

واذ يجلس نزلاء مسز باركر على السلم ذات أمسية من أمسيات الصيف ، تطلعت مس ليسون الى السماء ، وصاحت وهى تضحك ضحكتها الصغيرة الطروب :

ـ هـذا « **بيلى جاكسون** » •انى لاراه من هنا كذلك •

وتطلع الكل الى الاعالى ، بعضهم ينظر الى نوافذ ناطحات السماء، وآخـرون يبحثون عن طـائرة ،يقودها من يدعى جاكسون •

ووضحت مس ليسون مرادها ، وهي تشير الى السماء بأصبع صغير : « انما أعنى هذا النجم ،ليس النجم الكبير الساطع ، ولـكن النجم الثابت الزرقة الذى بجواره • انى أراه كل ليـلة من **كوة المنور** ، وقد سميته **بيـلى** جاكسون »

قالت مس لونج نكر : « حقا !ما كنت أعلم أنك فلـكية يامس ليسون »

وأجابت الصبية المولعة بالتطلع للنجوم : « اني لأعرف مايعرفه أي فلكى عن طراز الاكمام المتوقع ارتداؤها فى الخـريف القـادم بالمريخ » •

قالت مس لونج نكر : « حقا ! » ان الكوكب الذى تشيرين اليه هو النجم الثـالث فى مجموعة كاسـيوبيا (الثريا ؟) ، وهو بالتقريب فى القـدر الثـاني ،وعبوره فى خط الزوال هو •• »

قال مسـتر ايفانس الشاب :« أوه •• أظن بيـلى جاكسون اسما أفضل » •

---

(١) اله السخرية عند الاغريق •

(٢) غادة طروادة المعروفة فى الاساطير •

وقال مستر هوفر بصوت يتنزى احتقارا لمس لونج نكر : « أحسب المس ليسون لها من الحق مالأى من هؤلاء الفلكيين العجائز فى تسمية النجوم » •

قالت مس لونج نكر : «حقا !»

وعلقت مس دورن : « أترى هذا الكوكب من النيازك الراقية ؟ انى أصيب تسع بطات وأرنبا من عشر فى مدينة الملاهى كل يوم أحد » •

قالت مس ليسون : « انه لايرى جيدا من هنا ، وحبذا لو رأيتموه من كوة غرفتي ، فلعلكم تعلمون أن النجوم قد ترى من قاع جب حتى فى وضح النهار • ان غرفتى فى الليل أشبه ما تكون بهوة منجم الفحم ، وان بيلي جاكسون ليبدو منها كالماسة الكبرى فى دبوس تشبك به غادة الليل غلائل قميصها » •

ومر بعد ذلك حين لم تعد مس ليسون تحضر فيه رزم الاوراق الضخمة لنسخها فى البيت • وبدلا من أن تشتغل كلما خرجت فى الصباح ، كانت تدور على المكاتب من واحد الى آخر تذيب حشاشة قلبها تحت رذاذ الرفض القاسى الذى تتلقاه من غلمان هذه المكاتب بلا رحمة • ودام ذلك طويلا •

حتي كان ذات مساء صعدت فيه مس ليسون الدرج متعبة ، فى الساعة التى كانت تعود فيها الى بيت مسز باركر على الدوام ، بعد أن تتناول عشاءها فى مطعم • بيد أنها لم تكن ذاقت طعاما هذا المساء •

وعندما دخلت الردهة لاقاها مستر **هوفر** ، فانتهز الفرصة السانحة وطلب يدها للزواج ، وكانت بدانته تكبس عليها كأنها جرف جليد ينهار ، فترنحت تكاد تسقط لولا أن تعلقت بالسياج ، وحاول أن يضم يدها اليه ، فنتشتها وصفعته على وجهه فى كلال • ومضت تصعد السلم درجة درجة ، تجر نفسها جرا معتمدة على السياج • ومرت بباب مستر **سكيدر** وهو يعمل فى تنقيح الحركة المسرحية لبطلته **ميرتل ديلورم (مس ليسون)** فى هزليته (التى رفضت) بحيث تدخل المسرح من جانبه تتأود حتى تصل الى جوار **الكونت** • وزحفت زحفا على السلم المغطى

بالسجاد حتى وصلت فى النهاية الى باب **غرفة المنــــور** ففتحتــه ودخلت •

وكانت من الضعف بحيث عجزت عن أن تشـعل النور أو تخلع ثيابهـا ، فتهالـكت على السرير الحديدي ، يكاد بدنها المنهار يعيا عن تحريك لوالب السرير • وفى هذا الجحر المظلم الذى هو مأواها ، فتحت أجفـــانها الثقيلة ببطء وتبسمت •

ذلك أن «**بيلى جاكسون** » كان يشرف عليهـــا من كوة المنور فى هدوئه وثباته وسنـــاه • ومحـا الوجود كله من حولهـا ، فغرقت فى وحدة من الظلمة ، لاترى فيها الا ذلك الضـوء المربع الخـافت ، المحيط بالنجم الذى سـمته ذلك الاسم المستغرب العقيم •وحدثت نفســـها ان مس لونج نـكر لم تجانب الصواب ، وأن هذا النجم ليس « بيلى جاكسون » ولـكنه النجم الثالث من نجوم **الثريا** ، بيــد أن نفسها لم تطـاوعها أن تطلق عليه هذا الاسم الهزيل •

وبينما هى مسـتلقية على ظهرها ، حاولت عبثا ، أن ترفع ذراعها مرتين ، وفى المرة الثالثة نجحت فى أن تضع أصبعين نحيلين على شفتيها ، وتذرو قبـلة فى الهوة المظلمــة ، أرســـلتها الى « **بيلى جاكسون** » ثم هوى ذراعها كليلا الى حيث كان •

وغمغمت فى ضعف :

ــ « **الوداع** يابيلى • إنك تبعد ملايين الاميـال ، ولا تسطع حتى مرة واحدة • ومع ذلك فقد بقيت أكثر الوقت حيث أراك فى علاك ، الذى انعــدم فى عينى كل شىء فيه الا الظلام • ألم تفعـل ؟•• ملايين من الاميال ! •• **الوداع يابيلى جاكسون** » • .

ان كلارا الخادم الزنجية وجدت الباب مغلقا فى الساعة العـاشرة من صباح اليوم التالى ، وفتحوه عنوة ، ولـما فشل الخل ، وتدليك المعاصم ، وبخور الريش المحروق فى اعادتها للحياة ، طلب أحدهم **الاسعاف** بالتليفون •••

***

ووقفت سـيارة الاسعاف بعد لأى بالباب تعلن عن نفسها بقرع الاجراس ، وصـعد السلم طبيب شـاب قوى فى معطف أبيض ،

يبدو على وجهه السمح التأهب والنشاط والثقة ، ويختلط فيه الظرف بالعبوس ·

وقال **الطبيب باقتضاب** :

ـ « يوجد طلب للاسعاف من رقم ٤٩ ٠٠٠ هل من مصاب ؟ »

قالت مسز باركر وهي تشدمنخريها ، كما لو كان مصابها في حدوث شيء ببيتها هو أكبر مصاب :

ـ « أجل يادكتور · لا أستطيع أن أتصور ما بها ، وما من شيء فعلناه ردها الى الحياة ·· انها صبية تدعى مس اليسى ·· نعم مس اليسى ليسون · لم تسبق السكنى في منزلى قط » ·

وصاح الطبيب في صوت رهيب لم تتعوده مسز باركر :

ـ « أية غرفة ؟ »

ـ « غرفة المنور ·· انها »

ومن الواضح أن طبيب الاسعاف كان ملما بمكان غرف المناور ، فقد صعد السلم أربعا أربعا ،وتبعته مسز باركر بالبطء الذى يتلاءم وكبرياءها ·

وقابلته على بسطة السلم الاولى ، وهو عائد ، يحمل على ذراعيه عالمة الفلك ، فوقف لحظة ترك فيها لمبضع لسانه المتمرن الحرية في كلمة قالها همسا ، فلم تكد تسمعها **مسز باركر** حتى انكمشت وتضاءلت كرداء وقع من حيث كان معلقا على مسمار · ومنذ ذلك اليوم بقيت في بدنها وذهنها من هذه الكلمات غضون · وكثيرا ما كان الفضوليون من نزلائها يسألونها عما قال الطبيب فتجيب :

ـ « لقد كان ماكان · ولو أني أوتيت مغفرة على مجرد سماع ما قاله لكفاني » ·

ومضى الطبيب بحمله يخط طريقه بين شرذمة الكلاب التى اجتذبها حب استطلاع هذا الطراد، بل انهم فسحوا له في الطريق وتلاصقوا بالجدران مرتبكين ، لان وجهه كان وجه شخص يحمل ميتا من موتاه .

ولاحظوا انه لم يطرح ذلك الهيكل الذى حمله على سرير السيارة المعد ، وكان كل ماقاله للسائق :

ـ « سق بسرعة الابالسة ياوبلسون » •

هذا كل ماكان • فهل وجدتم قصة فيه ايها القراء ؟ اننى قرأت نبأ صغيرا فى صحف الصباح ، لعل آخر جملة فيه تعينكم كما أعانتنى على مزج الحوادث بعضها ببعض •

جاء فى النبأ ان مستشفى بلفى قد نقلت اليه فتاة شابة من رقم ٤٩ شرق شارع ••• تعانى هزالا شديدا نشأ من الجوع والحرمان • واختتم الخبر بهذه الكلمات :

ـ « ان الدكتور وليم جاكسون الطبيب الذى أشرف على اسعاف الحالة يقول ان الفتاة تتماثل للشفاء » •

حب بالمراسلة



« ما اكثر ما يدين المحب حبيبه دون ذنب جناه ، وبغير أن يواجهه بالاسباب ، أو يمنحه فرصة للايضاح .. »

حب بالمراسلة

لم يكن الفصل ولا الساعة ممايسمح بالتردد على الحدائق ، ومن المحتمل أن تكون **تلك الفتاة** أنثى أخذت مكانها على مقعد بجوار ممر الحديقة ، انما استجابت لحافزمفاجيء دعاهاللجلوس برهة ، تستمتع فيها باشتهاء مقدم الربيع .

وجلست شاردة لا تتحرك ، وطافت بمحياها مسحة من الكآبة لابد أنها كانت حديثة المولد ، اذانها لم تنل بعدمن ملاحة وجنتيها ونضرتهما ، ولم تقهر ذلك القوس الذى ينم عن العزم فى شفتيها .

واقبل شاب طويل القامة سريع الخطا ، يذرع الحديقـــة ، فاجتاز الممر الذى جلست بجواره الفتاة ، وكان يتبعه عن كثب صبى يحمل حقيبة ملابس . . وما ان وقع بصر الشـــاب على الفتـــاة ، حتى تضرج وجهه بالحمرة ، ثم عاوده الامتقاع . . وراح وهو يقترب منهـــا يرقب أسارير وجهها ، ووجهه نفسه مسرح لمزيج من القلق والآلام . وعلى أنه مر من أمامها حتى لم يعد بينه وبينها الا خطوات قلائل ، فانه لم ير فى ملامحها دليلا على أنها شعرت بقدومه أو وجوده .

وظل سائرا حتى ابتعد عنها قرابة الخمسين مترا ، ثم توقف فجاة وجلس فى مقعـــد آخر ، والقى الصبى الحقيبة على الارض ، وحملق فى صـــاحبه بعينـــين ملؤهما المـــكر والحـــيرة . . واخرج الشـاب منديله فمسح جبينه ، وكان منـــديلا جميلا ، ولكن الجبين كان أجمل ، فقد كان الشاب وسيما ترتاح العين لرؤيته . ثم قال للصبى :

ـــ « أريد منك أن تحمل رسالة شفوية منى الى تلك السيدة الشابة التى تجلس على ذلك المقعـــد . قل لها اننى فى طريقى الى المحطة للرحيل الى سان فرانسيســـكو ، حيث أنضـــم الى بعثة لصيد الوعول فى آلسكا . قل لهـــا اننى منـــذ أمرتنى الا اكتب او اتحدث اليها ، لم تعدأمامى الا تلك المحاولة ، أتوسل

بها الى عدالتها ، ان تعيد النظر فى قرارها ، ولو من أجل ما يربطنا من ذكريات . قل لها ان ادانة شخص ما ، ولفظه لفظ النواة ، دون أن يرتكب ذنبا ، وبغير أن تواجهه بالاسباب ، أو تمنحه فرصة للايضاح ، مناقض لكل ما يعرفه من سجاياها . قل لها اننى من أجل ذلك عصيت أمرها بعض الشىء ، يحدونى الامل أن تكون قد ظلت على عهدى بها ميالة لان ترى العدل آخذا مجراه . اذهب وقل لها كل ذلك .. »

ووضع الشاب نصف ريال فى يد الغلام ، فتطلع اليه الغلام لحظة بأعين تلتمع خبثا فى وجه ذكى متسخ ، ثم انطلق يعدو ، حتى أتى السيدة فى قليل من الريب ، ولكن دون ارتباك ، فلمس طرف قبعته التى استقرت على قفاه ، ونظرت اليه السيدة فى برود لم يشبه أى عطف أو عداء . قال لها :

ـ « سيدتى .. ان السيد الذى يجلس على المقعد الآخر ارسل معى اليك اغنية ورقصة .. فاذا كانت سيدتى لاتعرف هذا الشاب ، وكان يحاول التطفل ، فلتقل كلمة ، فأنادى الشرطى فى دقائق .. واذا كنت تعرفينه ، وكان على خلق ، نشرت بين يديك طاقة الحب التى ارسلها .. »

وبدا على محيا السيدة اثر طفيف من الشوق ، فقالت فى صوت حلو رزين ، يلف ألفاظها فى غلالة من التهكم الخفى .

ـ « اغنية ورقصة .. ! هذا نمط جديد فى الشعر العاطفى على ما اظن .. ! لقد سبق لى ان عرفت هذا السيد الذى ارسلك . لذلك اعتقد أن استدعاء الشرطى لامحل له ، ولك أن تؤدى رسالتك المغنية الراقصة ، ولكن لاترفع عقيرتك بالغناء ، فالوقت ما زال مبكرا لمثل هذا العرض فى الهواء الطلق ، وقد نسترعى الانتباه » ..

قال الغلام وقد عرته هزة من فرعه الى قدمه :

ـ « أنت تعرفين ما اقصد ياسيدتى ..هو يقول انه قد أعد فى هذه الحقيبة كل شىء للرحيل الى سان فرانسيسكو ، ثم الى آلسكا لصيد الوعول ...ويقول انك امرته الا يكتب اليك أو يحوم حول بابك ، فاضطر الى هذه الوسيلة ليوضح لك الامر .

ثم يقول انك اسقطته من حسابك كانه ماض قديم ، وانك لم تعطه فرصة للتملص من هـذا القرار ، وانك صفعته صفعة لم توضحي أسبابها على الاطلاق !»

ولم ينقص ذلك الشوق الطفيف الذى جد على عينى الفتاة ، ولعل مرده الى صياد الوعول وابتكاره هـذا فى التراسل ، واحتياله للتغلب على أوامرها الصريحة بتجنب وسائل الاتصال المألوفة .

وثبتت بصرها على تمثال يقف حزينا فى الحديقة المهوشة ، ثم قالت للرسول :

ـ « قل للسيد أننى لست فى حاجة الى أن أكرر له مثلى العليا !! أنه يعلم ماذا كانت عليه ، وما لا تفتأ عليـه حتى الآن . واهم ما فيها ـ ازاء الموقف الحاضر ـ الصدق والوفاء المطلق . قل له أنى فحصت عن قلبى بقدر ما يستطيع انسان أن يفحص عن قلبه، فعرفت حاجاته ، كما عرفت مكامن الضعف فيه. وذلك هو السبب الذى أرفض من أجلـه الاستماع الى توسله ، على أى وجه جاء . اننى لم ابن ادانته على وشاية أو شبهة ، ولذلك لم أواجهه بأى اتهام . ولكن ما دام مصرا على سماع ما لا بد أنه يعرفه تماما ، فيمكنك أن تنقل اليه تفاصيل الموضوع ..

قال له أننى فى تلك الليلة دخلت المشتل من بابه الخلفى لاقطف وردة لامى ، فرأيته هو والمس أشبرتون تحت شجرة القرنفل، وكان المنظر بديعا ، ولكن وضعهما وتلاصقهما كانا من الوضوح والفصاحة بحيث لا يتطلبان أى ايضـاح . وتركت المشتل ، وتركت الوردة فى الوقت نفسه ، كما تركت من كنت أظنـه مثلى الأعلى . وتستطيع الآن أن تحمل هذه الاغنية والرقصة الى السيد الذى أرسلك . الى مستورد المغنيات والراقصات » !!

قال الغلام :

« لقـد وعيت كل ما قلت الا كلمة لم أفهمها .. هذا التلا... التلاصق ، ماذا يكون .. ؟ »

ـ « يمكنك ان تسميه التجاور ، او اذا شئت الاقتراب من شخص ما اكثر من اللازم ، ولاسيما اذا كان الشخص المقترب يزعم نفسه عنوانا للفضائل ! »

وانفلت الحصان تحت أقدام الصبى وهو يركض حتى يقف بجانب المقعد الآخر ، فتسائله عين الشاب فى نهم شديد عما كان ، فتلتمع عين الصبى فى غيرة المترجم عما لا يهمه ويقول :

ـ « تقول السيدة انها تدرك أن الفتيات يستسلمن سريعا الى الشبان الذين يديرون رءوسهن بقصص الخيال ، وهذا هو السبب الذى من أجله ترفض الاستماع الى نعومة أحاديثهم من جديد . وتقول انها فاجأتك تعانق بغير حق كيسا من القطن الابيض فى مشتل الزهور ، وانها عندما دخلته عفوا لتقطف زهرة وجدتك تعتصر بين ذراعيك الفتاة الاخرى . وتقول ان هذه كانت متعة حلوة لك ولا شك ، ولكنها أصابتها هى بالغثيان . وتقول انه من الافضل لك أن تنصرف الى عملك وتلحق بالقطار ».

وصدر عن الشاب صفير خافت ، ثم أشرقت عينه بفكرة طارئة ، فدس يده فى جيب سترته الداخلى ، ثم أخرج حفنة من الرسائل ، واختار واحدة منها ، ناولها للصبى ومعها ريال فضى اخرجه من جيب الصدار ، وقال له :

ـ « اعط هذه الرسالة للسيدة واسألها أن تقرأها ، وقل لها ان هذه الرسالة ستجلو لها الموقف دون شك . وانها لو اشربت ادراكها المثل العليا ، بلمحة من الثقة ، لكان من الممكن أن تتجنب كثيرا من الحسرات . قل لها ان الوفاء الذى تؤمن به لم يتزعزع قيد شعرة ، واننى فى انتظار الجواب . »

ووقف الرسول امام السيدة يقول :

ـ « يقول السيد أن حمل الذنوب قد ألقى على عاتقه دون مبرر . كما يقول انه ليس فتى رقيعا يتسكع وراء النساء ، وأنك يا سيدتى عندما تقرأين هذه الرسالة ، ستجدينه مبرءا من كل عيب .. »

ونشرت الفتاة الرسالة فى ارتياب ، فقرأت فيها :

« عزيزى الدكتور أرنولد

أود أن أشكرك على معونتك الكريمة لابنتى ، تلك المعونة التى صادفت وقتها مساء الجمعة الماضى ، عندما خرت مغشيا عليها فى مشتل مسز والدرون من علة قلبها القديمة .

ولو انك لم تدركها قبل ان تقع ولم تمنحها الرعاية اللازمة لكان من المحتمل ان نفقدها . وسأكون سعيد لو زرتنا ، واخذت على عاتقك العناية بها ..

شاكر فضلك : « روبرت اشبرتون »

وطوت الفتاة الرسالة وناولتها للغلام ..

وقال الرسول على الفور :

ـ « ان السيد يطلب جوابا . فماذا أقول له .. ؟ »

ومضت عينا الفتاة فجأة ، ومضة مشرقة ، بسامة ، مخضلة بالدموع ، ثم ضحكت ضحكة سعيدة مرتعشة وهى تقول :

ـ « قل لهذا الفتى الجالس على المقعد الآخر أن فتاته فى شوق اليه » ...

اكسير الحب



« اذا كنت تريد الحصول على فتاة تعشقها ، فاسلك اليها الطريق المستقيم ، ولا تنصب لها شباك الختل والخداع » .

اكسير الحب

يقع « مخزن عقاقير المصباح الازرق » في حي متواضع في أرباض المدينة • وهذا المخزن لايعترف بأن مهنة الصيدلة يتسع صدرها لبيع العطور والتحف الصغيرة ، والمياه الغازية(١) • ولو انك طلبت منه دواء شافيا للصداع ، فلن يعطيك بدلا منه قرصا من أقراص الحلواء •

ومخزن المصباح الازرق فوق ذلك يحتقر اتجاهات الصيدلة الحديثة نحو توفير العمل والعامل، وهو يحضر أدويته بنفسه ، ويستخلص الصبغات من الجواهر بنفسه ، وما زال يصنع حبوب الدواء بطرقه البدائية ، يعجنها ويفتلها ، ويقسمها ، ثم يكورها بين السبابة والابهام ، ويجففها بالذرور ، ويعبئها في علب مستديرة من الورق !! ويقع المخزن على ناصية في الشارع يتجمع عندها أسراب من الاطفال في ثياب زينتهم الرثة ، يمرحون ويلعبون ، ويرشحون أنفسهم لادوية السعال في المخزن المجاور!!

وكان ايكى شوينستين صاحب النوبة المسائية في مخزن المصباح الازرق ، وكان صديقا روحيا لعملائه أجمعين ، فإن قلب الصيدلة في هذه الاحياء المتواضعة لم يكن من حجر • وكان صيدليا كما ينبغي أن يكون ، مستشارا ، وناصحا ، ومستودع أسرار ، ومبشرا قادرا ، وصديقا وفيا ، علمه يحترم ، وحكمته الخفية توقر ، ودواؤه في الاغلب يدلق في بالوعة الشارع دون أن يذاق ومن أجل ذلك كان ايكى بأنفه المحبب المبقع ، وجسمه الهزيل المقوس تحت حمل العلم والمعرفة، معروفا في جوار المصباح الازرق ، مرغوبا في نصحه وتوجيهه على الدوام •

وكان ايكى يعيش في غرفة مفروشة في مسكن مسز ردلز

---

(١) مخازن العقاقير في الولايات المتحدة ، وهي غير الصيدليات ، لا تبيع العقاقير المألوفة فقط ، ولكنها تتداول بيع الاطعمة الجافة والحلوى والمستلزمات اليومية للبيت •

على بعد ناصيتين من مخزن العقاقير ، ينام فيها ويفطر . وكان لمسز ردلز بنت تدعى **روزى** . ومامن داع للف والدوران ، فان ايكى أحب روزى حب عبادة ، كمالابد أن تكون قد حدست . فقد صبغت كل افكاره ، واصبحت في عينه الخلاصة المركبة لكل ما هو نقي ونفيس في عرف الكيمياولم يعد بين ذخائر عقاقيره مايمكن أن يناظرها في النفاسة والنقاء . ولكن ايكى كان خجولا ، والخجل والخوف مطايا لاتنال عليها الآمال ، ومذيبات ضعيفة تستعصى فيها أماني الهوى على الذوبان . لقد كان ايكى في صميم عمله كائنا ممتازا ، دقيق الوعى للقيم والمعارف ولكنه خارج هذه الدائرة تهن أوصاله ، ويكف بصره ، ويهيم على وجهه بثيابه الفضفاضة المبقعة بالمحاليل الكيميائية ، الفواحة بروائح المر وفاليريانات النوشادر (١) .

وكان شانك ماك **جوان** هو الذبابة التى وقعت **لايكى** في طبق العسل . فان مستر ماك جوان كان يجاهد من ناحيته هو الآخر ليحظى بالبسمات المتوهجة التى يلفظها ثغر **روزى** . ولكنه كان أبصر من صاحبه بالهدف ، وأشد منه توفيقا فى اصابته . وكان مع ذلك صديقا لايكى وعميلا من عملائه . وكثيرا ماجاء الى المصباح الازرق بكدم أو رض يبتغى علاجه بصبغة اليود ، أو جرح يضمده بالمشمع اللصاق بعد ليلة بهيجة في الازقة .

وهبط ماك جوان فى أصيل يوم من الايام على المصباح الازرق بهدوئه وبساطته المألوفين ، فجلس على أحد المقاعد ، مؤدبا ، منبسط الاسارير ، تبدو على وجهه الطيبة في غير ضعف ، والعزم الذى لايلين .

وعندما أتى صديقه بهاوونه ، (١) وجلس قبالته يطحن قطعة من الجاوى ، قال له :

« ايكي . أعرنى سمعك . يلزمنى دواء ، ولعلى أجد عندك ماأنا في حاجة اليه »

---

(١) الفاليريانا أو حشيشة الهر مادة طبية لها رائحة كريهة .

(٢) الهاون والهاوون ما يدق فيه الدواء .

وأنعم **إيكى** النظر في محيا مستر **ماك جوان** ، باحثا عما اعتاد أن يجده فيه من آثار الشجار ،ولكنه لم يجد شيئا • فقال له آمرا :

ـ « اخلع سترتك ، أظنك طعنت بين ضلوعك بسكين• لقد طالما أخبرتك أن هؤلاء الاسبانيين سيقضون عليك »

وابتسم مستر ماك جوان ، ثم قال :

ـ « لا عليك منهم ، فما لى بأى منهم شأن اليوم •

ولكنك كدت تصيب في تشخيص موضع العلة ، فهى حقيقة تحت السترة ، وبين الضلوع ! أتعلم يا ايكى أننا ـ **روزى وأنا** ـ نعتزم الهرب والزواج الليلة ؟ »

كانت سبابة ايكى اليسرى مثنية على حافة الهاون لتثبيته ، فدقها دقة عنيفة بيد الهاون ، ، ولكنه لم يشعر لها بألم ،وما هى الا لحظة حتى استحالت ابتسامة المستر ماك جوان الى نظرة تجهم وارتباك ، واستمر فيما كان يقول :

ـ « هذا اذا ظلت على عزمها الى أن يحين الموعد ، فنحن منذ أسبوعين نتهيأ للفرار ،وقد تقول لى فى صبح اليوم أنها ستفعل ، فاذا أقبل المساء نكصت ، وقد اتفقنا على الهرب الليلة ، وظلت روزى على رأيها يومين كاملين ،ولكن بيننا وبين الموعد خمس ساعات، وأخشى ان تشطب اسمى فى آخر لحظة قبل بدء السباق»

قال ايكى : « ولكنك ذكرت لى انك فى حاجة الى دواء • »

وبدا على وجه **ماك جوان** شىء من الحرج والضيق ، لم يألفه وجهه من قبل ، وراح يلف ورقة اعلان عن دواء ويحيط بها أصبعه دون جدوى وهو يقول :

ـ « اننى لن أدع هذه العقبة تقف فى سبيلى ولو ضحيت بمليون من الدولارات • لقد استأجرت شقة فى هارلم (١)

ووضعت فيها الاقحوان على المنضدة ، وتركت قدرا تغلى على النار، واتفقت مع قسيس أن يستعد لاستقبالنا فى منزله فى التاسعة

---

(١) حى من احياء الزنوج فى نيويورك

والنصف. ويجب أن ينفذماقررناه ، واذا لم تغير روزى رأيها من جديد ف ... »

وسكت مستر ماك جوان قبل أن يكمل، وقد افترسته الشكوك.

وقال ايكى معقبا :

ــ « ولكنني لا أرى حتى الآن موضعا لهذا الدواء الذى تحدثت عنه ، أو موجبا لتدخلى فى الموضوع » !

قال الراغب في الزواج ، منهمك فى تنظيم حججه : « ان والد روزى ، ريدل العجوز لايحبنى بعض الشىء ، ومنذ أسبوع وهو يحرم على ابنته أن تخرج من بابها معى ، ولو لم يخش أن يفقد نزيلا من نزلائه لطردنى منذ زمن طويل . انى أكسب عشرين ريالا فى الاسبوع ، وروزى لن تندم أبدا على الهرب من المزبلة التى تعيش فيها مع شانك ماك جوان»

قال ايكى : « ارجوك معذرة يا شانك ، فعلى أن أحضر دواء سيطلب منى فى الحال » .

ورفع ماك جوان نظره اليه فجأة وقال : « قل لى يا ايكى ، أما عندك من دواء ما .. مسحوق ما ــ مثلا ، يجعل فتاة تذوب فى حبك اذا جرعتها اياه ؟ »

وزم ايكى شفته العليا الى أنفه باحتقار العالم الممتاز ، ولكن قبل أن يجيب ، استأنف ماك جوان ما كان يقوله :

ــ « لقد أخبرنى تيم لاسى أنه حصل ذات مرة من عطار على دواء لهذا النوع ، وأعطاه لحبيبته فى كأس من الشراب ، ومنذ أول جرعة توجته على قلبها ملكا ، ونظرت الى من سواه نظرتها الى نكرات ، وتزوجها فى أقل من أسبوعين » .

وما كان أقوى وأشد سذاجة شانك ماك جوان ، ولو أن شخصا آخر فى مكان ايكى ، أعرف منه بوزن الرجال لرأى أن هذا الهيكل الغليظ مشدود على خيوط دقاق . وككل قائد حازم مقبل على غزو أرض العدو ، أراد أن يحتاط لكل مظنة من مظان الفشل .

ومضى شانك والامل يراوده : « أحسب لو أنه أتيح لى مسحوق مثل هذا أعطيه لروزى ، عندما أراها الليلة على العشاء ، لحلت

بينها وبين أن تنكث ما عاهدتني عليه ، وما أظنها في حاجة الى ثلة من البغـال لجرها الى ، ولـكن النساء أقدر على ركوب المركبات منهـن على الجرى فى ميـادين السـباق • ولو أن الدواء يعمل فيها سـاعتين ليس الا ، لبلغت منه ما أريد • »

وتساءل **ايكى** : « ومتى تكون هذه الحماقة التى تدعوها بالفرار؟ »

قال مستر **ماك جوان** : « فى التاسعة مساء ، وسيكون العشاء فى السابعة . وتذهب **روزى** الى غرفتها فى الثامنـة زاعمـة أنها أصيبت بصداع ، وفى التاسـعة يسمح لى العجوز **بارفنـزانو** بدخول رحبة بيته الخلفيـة ،حيث توجد فجوة فى سياج بيت **ريدل** المجاور ، واقف تحت نافذة **روز** ، وأعينها على النزول من سلم الحريق • ويجب أن نبـكر ما استطعنا حتى لايفوتنا موعد **القسيس** . أن الامر كما ترى يسير اذا لم تحزن **روز** عند اعطاء اشارة السباق • فهل تستطيع يا **ايكى** أن تتحفنى بشيء من هذا الدواء ؟ »

وراح **ايكى شوينستين** يحك أنفه ببطء ، ثم قال :

ـ « شانك • ان أدوية من هذه الانواع لايتـداولها الصـيادلة الا بمنتهى الحرص والاحتياط ،وليس من بين معارفى الا اياك من أستطيع ائتمانه على هذا النوع من الدواء ، ومن أجلك أنت سأصنعه، وسترى كيف يجعل **روزى** تنظر اليك » •

ومضى **ايكى** الى ماوراء مائدة التحضير ، فسحق قرصين هشين من أقراص المورفين ، يحتوى كل منهما على ربع قمحة ، وأضاف الى المسحوق قليلا من سـكر اللبن ليزيد من حجمه ، ولفه بعناية فى ورقة بيضـاء • ولو أن شخصـا بالغا أخذ هـذا المقدار لاستغرق فى نوم عميـق دون خطر على حياته . وأعطى الورقة **لمـاك جوان** ، وطلب منه أن يذيبه فى سائل ما اذا اسـتطاع ، وتقبل الشكر القلبى من العاشق المغوار•

ويبدو ما فى عمـل **ايكى** من دهاء اذا عرفنا ما فعل فى أعقاب ذلك ، فقد أرسـل رسـولا الى مستر **ريدل** يفشى فيه أسرار الخطة التى أعـدها مستر **ماك جـوان** للفرار مع **روزى** . وكان مستر **ريدل** رجلا بدينا ، أحمر الوجه ، نارى المزاج •

وقال لايكي :

ـ « انى شاكر لك ، وساريك ما أصـــنع بهـذا الارلنـدى المتسول • ان غرفتى تعلو غرفةروزى تماما ، وسآوى اليها بعد العشاء ، ومعى بندقيتى عامرة ، وأنتظرمايكون ، واذا دخل رحبة بيتى فسأخرجه منهـا فى سيارةاسعاف بدلا من أريكة زفاف » •

واحس ايكى وهو يتخيل روزى نائمة نومها العميق الطـويل تحت سـنابك المورفين ، والوالدالمتعطش للـدم الذى أنذر فى الوقت المنـاسب ينتظـر غـريمه شاكى السلاح •••• أحس أن منافسه قد أشرف على الهزيمةعن يقين •

وظل طوال الليل فى « مخزن عقاقير المصباح الازرق » ساهرا، يؤدى عمله ، وينتظر ما يتأتى له من أنباء المـأساة ، ولكن انتظاره ذهب أدراج الريح •

ولم يكد زميله الذى يشرف على المخزن نهارا يجىء فى الثامنة من صباح اليوم التـالى ، حتى أسرع ايكى الى بيت مستر ويدل ليعرف ما كان • وياالله ! انه ماكاد يغادر باب المخزن حتى وجد شانك ماك جوان يقفز من سيارة عامة ويصافحه بحرارة •• بابتسامة الظافر وفرحة النشوان ! » •

وقال شانك بصوت رجل يعيش فى الجنة :

ـ « لقد انتهينا ، وقد هبطت روزى من سلم الحريق فى الوقت المحدد بالثانيـة ، وكنا فى بيت القسيس فى التاسعة والنصف وربع الدقيقـة ، وهى الآن فى مسكننا ، وقـد طهت لى البيض هذا الصباح فى قميصها الازرق • يا الهى ! كم أنا سـعيد ! يجب أن تزورنا يا ايكى يـوما ما ، وتشاطرنا الطعام • لقـد حصلت على عمـل بجوار الجسر ، وهأنذا فى طريقى اليه الآن » •

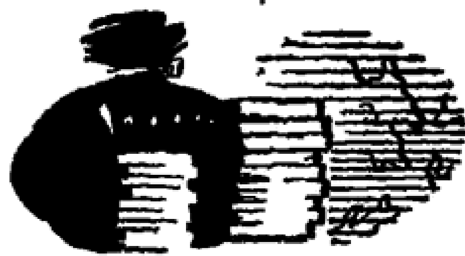
وتلعثم ايكى وهو يسـأل : « ال •• ال •• المسحوق ؟ »

قال شانك مقطبا :

ـ « أوه •• هـذا المسـحوق الذى أعطيتنى اياه ، اليـك ما

حـدث : لقـد جلست على مائدةالعشاء البارحة فى منزل **ريدل** ؟ ونظرت الى **روزى** ، و قلت لنفسى: **شـــانك** ، اذا كنت تريـد أن تحصل على الفتاة فاسلك اليهـا الطريق المستقيم ، ولا توقع فتاة مهذبة مثلهـا فى شـبـاك الختل والخداع .واحتفظت باللفافة التى اعطيتنيها فى جيبى ، ثم وقعت عينى على طرف ثالث كان حاضرنا، فقلت لنفسى انه ينقصـــه الحب الذى ينبغى أن يشـمل صهـره المنتظر ، فانتظرت حتى سنحت لى الفرصة ، ووضعت المسحوق فى قهوة **ريدل** العجوز ، وهذا كل شيء » !

إله المال



« يا مال .. الدنيا أنت ،
والناس حيث كنت .. ! »

اله المــــال

نظر **انتونى روكوول** العجوز المتقاعد ، وصاحب مصانع روكوول لصابون أريكا ، من نافذة المكتبة ، فى قصره القائم بالشارع الخامس ، وتجهم ، فقدكان جلره من الجانب الايمن : **ج. فان شايلايت سافولك جونز** النبيل المعروف فى الاندية ، خارجا من بيته متجها الى سيارته المنتظرة ، رافعا انفه فى حركة اشمئزاز وهو ينظر الى الواجهة الامامية من قصر الصابون ، وتماثيلها ذات الطراز الايطالى العتيق .

وعلق ملك الصابون السابق على هذه النظرة قائلا : « حذار أيها الصنم العاطل ! ان آلهة الفنون التسعة سيمسخونك أيها العجوز المجفف المتجمد ان لم تلزم حدك . وساطلى هذا البيت بالاحمر والابيض والازرق فى الصيف التالى ، وأرى ان كان ذلك سيرفع أنفك الهولاندى الى أعلى وأعلى ! »

ثم اتجه انتونى روكوول الذى لم يعترف بالاجراس قط الى باب مكتبته ، وصاح « مايك . . ! » بنفس الصوت الذى كان يوما ما يسقط السماء كسفا فى مراعى كنساس .

وقال **انتونى** للخادم الذى لبى نداءه :

— « قل لولدى أن يمر بى قبل أن يغادر البيت » .

وعندما حضر **روكوول الشاب** الى المكتبة نحى العجوز الجريدة التى كان يقرؤها ، ونظر الى ولده وعلى وجهه الضخم الناعم الاحمر عبوس مشوب بالعطف ، ثم سوى شعره الابيض بيد ، وشخشخ المفاتيح فى جيبه بالاخرى ، وقال :

— « **رتشارد** .. كم تدفع فى الصابون الذى تستعمله ؟ »

كان رتشارد قد عاد من كليته ، ولما يمض عليه أكثر من ستة أشهر ، ولم يكن قد وضع بعد فى الميزان أباه هذا المتلىء

بالمفاجآت ، شأن العذراء فى أول حفــل تشترك فيه ، فأذهله السؤال نوعا ما وأجاب :

ـ « أظننى ادفع فى الدستة ستة دولارات يا أبى »

ـ « وملابسك .. ؟ »

ـ « أعتقد أنها تكلفنى فى العادة ستين ريالا » .

قال انتونى فى حزم : « اذن فانت مهذب . لقد سمعت عن شبان يستهلكون صابونا بأربعة وعشرين دولارا ، وأكثر من مائة فى الثياب . انك تستطيع أن تنفق من المال مثل ما ينفق أى واحد منهم ، ولكنك تلزم نفسك بالحزم والتـوسط . . أننى اسـتعمل صابون اريكا المعروف ، لا عن عاطفة وحسب ، ولكن لانه كذلك أنقى صابون صنع .. وانت متى دفعت فى القطعـة الواحدة أكثر من عشرة دوانق ، فانك لا تشترى الا الردىء من العطور والاسماء ، ولـكن مع ذلك فالخمسون دانقا التى تدفعها فى القطعة تلائم شابا من جيلك ومركزك وظروفك .. وكما قلت لك انت شاب مهذب . انهم يقولون ان خلق شاب من هذا النوع يحتاج الى ثلاثة اجيال ، وهم على ضلال ، فان المال قادر على خلقه بسرعة الصابون فى محو الاوضار ، وقد خلق منك واحدا ، وكاد يفعل معى ، لولا انى أقارب فى البذاءة والفظاظة وسوء الخلق جاري العجوزين الهولنديين اللذين يؤرق لياليهما أنى اشتريت بيتا بين بيتيهما .. »

وقال روكوول الصغير فى شىء من الوجوم :

ـ « ثمة أشـياء لا يمكن نيلها بالمـال .. »

وصعق انتونى العجوز من ملاحظة ولده فقال :

ـ « لا تقل هذا . انى أراهن بـكل مالى وفى كل وقت على قدرة المال . ولقد قررت دائرة المعارف من الالف الى اليـاء ، باحثا عن شىء لا يمكن أن تشتريه بالمـال . ولمـا كنت أتوقـع استئصال زائدتى الدودية فى الاسـبوع المقبل ، فاننى اراهن على المـال ضد مبضع الجراح . قل لى شيئا واحدا يعجز المـال عن شرائه .. ؟ »

واجاب ريتشارد فى شىء من الضيق :

ـ « كمثل أقول أن المال لا يستطيع ان يدخل المرء فى الدوائر العليا للمجتمع .. »

وصرخ بطل اصل الشرور (المال) قائلا :

ـ « او .. هو .. ! اتظن ذلك .. ؟ اتستطيع ان تقول لى

أين كانت دوائرك هذه تكون، لو أن آستور (١) لم يجد أجرة سفره الى أمريكا على ظهر سفينة ؟ »

وتنهد ريتشارد .

فقال العجوز باقل حدة وقد لاحظ تنهد ولده :

ـ « هذا الذى كنت اعنيه ، وما سألتك الحضور الا من أجله . ان شيئاما يجرى على غير هواك يا بنى ، وانى لألمحه منذ اسبوعين ، فقل لى ما هو . وأظن انى أستطيع أن أضع يدى على احد عشر مليونا فى سوادليلة وبياض نهار ، بخلاف الاملاك الثابتة بطبيعة الحال . فان كان كبدك مايضنيك ، فثمت سفينة فى الخليج تحت أمرك مستعدة للسفر الى جزر الهند الغربية فى الحال .. »

ـ « ان ظنك لم يخطىء يا أبى ، ولم تبعد عن كبد الحقيقة بكثير .. »

قال انتونى بلهفة : « آه .. ما اسمها ... ؟ »

وراح ريتشارد يذرع المكتبة جيئة وذهابا ، فقد آنس من هذ الاب الفظ العجوز من الصداقة والعطف ما بعث الثقة فى نفسه ..

وتساءل انتونى العجوز :

ـ « لم لا تخطبها .. ؟ انها ستندفع اليك ، فلديك المال والوجه الحسن ، وانت شاب مهذب ، ويداك طاهرتان ، وليس

---

(١) من كبار اصحاب رءوس الاموال وتجار الفراء فى امريكا فى القرن الثامن عشر

عليهما من صابون اريكا اثر ، ثم انك متعلم تعليما عاليا، وما اظنها تضع ذلك فى الحساب » .

قال **رينشارد** : « لم تتح لى فرصة لخطبتها .. »

قال **انتونى** : « عليك أن تخلق الفرصة . خذها الى نزهة فى حديقة ، اوعلى عربة قش ، أو تمش معها من الكنيسة الى البيت .. فرصة .. ! هه .. ! »

ـ « انك قد لاتعرف الطاحونة الاجتماعية يا أبى ، انها جزء من مجرى الماء الذى يحركها . ان كل ساعة وكل دقيقة من وقتها تخضع لنظام مقرر قبل ايام . يجب أن انال هذه الفتاة يا أبى ، أو تصبح هذه المدينة فى عينى مستنقع وحول الى الابد ! وحتى الكتابة اليها لا قبل لى بها .. ! »

قال **العجوز** : « أتريد ان تقول لى أنك ، مع كل ما أملكه من مال لا تستطيع أن تحصل لنفسك على ساعة أو ساعتين من وقت فتاة .. ؟

ـ « لقد أهملت الامر مدة طويلة ، وهى تزمع السفر الى اوروبا ظهر بعد غد ، لتقيم هناك سنتين . ولن اراها لبضع دقائق فى الغد ، فهى الآن عند عمتها فى لارشمونت ، ولا استطيع الذهاب اليها هناك ، ولكنهم سمحوا لى أن أنتظرها بعربة فى المحطة المركزية الكبرى ، مساء غد فى قطار الثامنة والنصف ، فنسير خببا فى شارع برودواى الى مسرح والاك ، حيث تكون أمها فى انتظارنا بردهة المسرح ، هى وجماعة يرافقونها الى مقصورة . أفتظن أنها تصغى الى اذا أعلنت لها حبى فى ست دقائق أو ثمان تحت مثل هذه الظروف .. ؟ كلا .. وأية فرصة أستطيع خلقها فى المسرح أو فيما بعده .. ؟ لا شىء .. كلا يا أبى ، هذه عقدة لايستطيع حلها مالك . محال أن نشترى دقيقة واحدة من الزمن بالمال ، والا فلو أمكن ذلك لكان الاغنياء أطول الناس أعمارا . ان الامل مقطوع فى انتحدث الى مس لانترى قبل ان تبحر .. »

قال **انتونى** العجوز فى بشر :

« ليكن يا ولدى .. تستطيع أن تذهب الآن الى ناديك ، وانى لسعيد انه ليس كبدك مايضنيك ، ولكن لاتنس أن تحرق بعض أعواد من الصندل فى هيكل الاله العظيم « **مازوما** » بين الحين والحين . انك تقول ان المـال لا يشـــترى الزمن . وانت لا تستطيع بالبداهة أيا كان الثمن أن تامر تاجر الخلود أن يرسله اليك على عنوانك فى علبة ، بيدانى رأيت الوقت ـ هـذا الاب العجوز ـ تصاب أعقابه برضوض شنيعة وهو يمشى بين حفائر الذهب .. ! »

وفى تلك الليلة جاءت **العمة ايلين** ، بـكل رقتهـا وعواطفهـا وتجاعيدها وتنهداتها وضيقها بما تحمل من كنوز المـــال ، جاءت الى بيت اخيها **أنتونى** ، فوجدته يقرأ جريدته المسائية ، وبدآ يتباحثان فى موضوع متاعب المحبين .

قال الاخ **أنتونى** وهو يتثاءب :

ـ « لقد قال لى كل شىء فأنبأته ان رصيدى كله تحت أمره .. ولكنه راح يحتقر **المـال** ، وقال انه لا يغنى ، وان قواعد المجتمع لا يمكن زحزحتها مترا بفـريق مـكون من عشرة من **أصحاب الملايين** .. »

وتنهدت العمة **ايلين** وهى تقول :

ـ « **انتونى** .. ليتك تقل من هذا التفكير الشديد فى المال .. ان الثروة تنعدم قيمتها عندما توضع مع الحب الاكيـد فى الميزان . فالحب أقوى الاقوياء . لو انه فقط بكر فى مفاتحتها بالامر ، لما استطاعت أن ترفض ولدنا **ريتشارد** ، ولكنى أخشى الآن ان يكون الوقت قد فات ، فانه لن يجد فرصة لخطبتها ، ولن يستطيع ذهبك كله ان يجلب السعادة لولدك .. »

وفى الثامنة من مساء اليوم التالى اخذت العمة **ايلين** خاتما ذهبيا قديما غريب الشـكل من كيس نخره العث ، وأعطتـه لريتشارد ، قائلة فى توسل :

ـ « البسه الليلة يا ابن اخى ، فقد اعطتنى أمك اياه ، قائلة انه يجلب الحظ السعيد فى الحب ، وسألتنى أن أسلمه اليك يوم تجد الفتاة التى تصادف هواك .. »

وتناوول روكوول الشـاب الخـاتم باحترام ، وحاول أن يلبسه فى خنصره فانزلق عليـه حتى المفصل الثانى ووقف ، فخلعه ووضعه فى جيب صداره ، فعل الرجل الرشيد ، ثم طلب عربته بالتليفون .

وفى الثامنة والثانية والثلاثين ، استخلص مس لانترى من وسط الزحام المتدفق فى المحطة وقالت له :

ـ « يجب الا نترك امى والآخرين ينتظرون »

فقال ريتشارد للسائق فى اخلاص :

ـ « الى مسرح والاك بأسرع ما تستطيع .. ! »

وانسابوا كالريح فى الشارع الثانى والاربعين الى برودواى ، ومنها الى منعطف يتلألأ بالانوار ، يفصل بين مجالى الليل الهادىء ومغانى الفجر الوضاح ..

وفى الشارع الثالث والاربعين فتح ريتشارد أكرة البـاب بسرعة ، وطلب من السائق الوقوف ، وقال معتذراً وهـو يقفز الى الشارع :

ـ « لقد وقع منى خاتم هو خاتم أمى وأكره أن أضيعه ، ولن أعوقك أكثر من دقيقة .. فقد رأيت أين وقع .. »

وفى اقل من الدقيقة عاد الى العربة ومعه الخاتم .

ولكن خلال هذه الدقيقة ، وقفت أمام العربة سيارة أوتوبيس ، وحاول السائق أن يمرق من يسارها ، فوجد عربة نقل كبيرة تقطع عليه الطريق ، وعالج اليمين ولكن عربة نقل اثاث لم يكن لها محل هنـاك ، أعادته الى حيث كان . وحاول أن يتقهقـر فلم يجد مجـالا ، فالقى الأعنة من يديه ، وادى من اللعنات مايمليه عليه الواجب ، عندما وجد نفسه محاصراً بعـدد لا أول له ولا آخر من العربات والخيول .

ان انسـداد الطريق على هـذه الوتيرة يحدث احيانا فى المدينة الكبيرة فيشل الحركة والتجارة .

وقالت مس لانترى بصبر نافد :

ـ « لماذا لاتسير .. ؟ اننا سنتأخر .. »

ووقف ريتشارد فى العربة ،وادار عينيه فوجد سيلا هائلا من العربات وعربات النقل وسيارات الاوتوبيس تملأ الفضاء الشاسع الذى يلتقى فيه الافينو السادس ببرودواى والشارع الثالث والاربعون ، وتزحمه بنفس الطريقة التى تزحم بها فتاة قطرها خمسة وستون سنتيمترا مشدا لا يزيد على خمسين . ومن كل الشوارع الجانبية كانت العربات ماضية باقصى سرعتها وجعجعة عجلاتها ،لتلقى بنفسها فى هذا البحر المتلاطم من العجل المشلول .. وتضاعف الضجيج بلعنات السائقين . ويبدا ان حركة المرور فى مانهاتان قد وقفت تماما من هول الزحام ، ولاحظ اكبر معمر من سكان نيويورك ، الذين شهدوا الانسداد من منعطفات الطرق ، انه لم ير مثيلا له من قبل .

وقال ريتشارد وهو يعود الى الجلوس :

ـ « انى آسف أشد الاسف ، ويبدو لى أننا انزرعنا هنا ، فلن ينفض هذا الزحام قبل ساعة ، انها غلطتى ، فلولم يقع منى الخاتم لـ ... »

قالت مس لانترى : « دعنى ارى هذا الخاتم ما دام لا حيلة لنا فيما كان ، وما يهمنى الامر ، فانى اظن المسارح سخيفة على اى حال .. »

وفى الساعة الحادية عشرة من هذا المساء قرع شخص ما باب انتونى روكوول قرعا خفيفا ...

وكان انتونى يرتدى قباء احمر ويقرا كتابا عن مغامرات القرصان ، فصاح : « أدخل »

وكان الشخص هو العمة ايلين ، وقد بدت كملاك أشيب ، تخلف خطأ على وجه الارض،وقالت فى حنان :

ـ « لقد انتهى الامر يا أنتونى واصبحا خطيبين ، وقد وعدت أن تتزوج من ولدنا ريتشارد . وقد حدث وهما ذاهبان الى المسرح ان انسد الطريق ،فلم يخرجا منه الا بعد ساعتين

.. فلا تعد الى الزهو بقوة المال مرة أخرى يا أخي .. ! ان تميمة صغيرة من تمائم الحب الاكيد ـ خاتما صغيرا يرمز الى المحبة القدسية الخالدة ـ كان مفتاح السعادة لولدنا ريتشارد .. فقد وقع منه فى الطريق ، وخرج يلتمسه ، وقبل أن يستأنفا المسير حدث الانسداد ، وكلم حبيبته ، وظفر بها فى الوقت الذى انسد فيه الطريق . ان المال يا انتونى اذا قورن بالحب اصبح هباء » !!

قال انتونى العجوز :

ـ « حسنا .. انى سعيد بحصول الولد على ما اراد .. ولقد قلت له انى لن أبخل بالمال مهما بلغ فى سبيل ... »

ـ « ولكن اى خير يا أخى كان يرتجى من مالك .. ؟ »

قال انتوني روكوول :

ـ « اسمعي يا أختى .. انى تركت القرصان فى ورطة شنيعة ، فقد تخرقت سفينته ، وهو فى قوة ادراكه لقيمة المال لا يريد أن يدعها تغرق ، فأرجوك أن تتركينى أكمل قراءة هذا الفصل » !

***

ولقد كان ينبغى أن تنتهى القصة عند هذا الحد ، وان شوقى الى انهائها هنا يعادل شوقكم أيها القراء ، ولكن يجب قبل ذلك أن نغوص الى قرار البئر بحثا عن الحقيقة .

ففى اليوم التالى جاء شخص أحمر اليدين ، بربطة عنق زرقاء ذات نقط بيضاء ، يسمى نفسه كيلى يطلب مقابلة انتونى روكوول ، فقابله فى المكتبة فى الحال ..

وقال انتونى ويده تمتد الى دفتر الشيكات :

ـ « حسنا .. لقد كانت معجنة صابون اصيلة ، فدعنا نتحاسب ، لقد وصلك خمسة آلاف ريال .. ؟ »

قال كيلى :

ـ « وقد دفعت ثلثمائة فوقها من مالى الخاص ، وقد اضطررت اضطرارا الى مجاوزة الاعتماد . وقد استأجرت

معظم عربات النقل وعربات الركوب بخمسة ريالات للواحدة ، ولكن العربات الكبرى أخذت كل منها عشرة ريالات . وقد اصرت السيارات على عشرة والعربات ذوات الزوجين من الخيول على عشرين او خمسة وعشرين . وقد ابتهجت لان وليم برادى لم يشهد هذا الزحام ، والا لتمزق قلبه حسدا وكمدا ، وتصور ان هذا كله يحدث دون «بروفات» وان كل سائق يلتزم موعده الى كسر الثانية .. ولو ان ثعبانا شاء أن يزحف الى قاعدة التمثال القائم فى الميدان لاقتضاه ذلك ساعتين » ..

قال أنتونى وهو يفصل الشبك :

ــ « اليك الفا وثلثمائة دولار يا كيلى ، الالف الذى لك ، والثلثمائة التى دفعتها .. انك لا تحتقر المال يا كيلى .. اليس كذلك .. ؟ »

قال كيلى : « انا .. ؟ انى لو رايت الرجل الذى اخترع الفقر لعلوته بالسوط » .

وعندما وصل كيلى الى الباب ناداه أنتونى قائلا :

ــ « هل رايت خلال الزحام ، فى اى مكان منه غلاما بدينا ، لا يرتدى ثيابا ما ، فى يده قوس يريش منه السهام .. ؟ »

قال كيلى فى حيرة :

ــ « كلا لم ار احدا على هذه الصورة ، ولئن كان كما تصف ، فلعل شرطيا قبض عليه قبل وصولى » ..

وقهقه أنتونى وهو يقول :

ــ « كنت واثقا ان الوغد الصغير لن يكون هناك ، وداعا يا كيلى .. ! »

ربيع تحت الطلب



« ان جولييت لو رأت شارات حبها تبتذل على هذه الصورة ، لاستعجلت الحصول على السم من تاجر عقاقيرها الطيب ! »

ربيع تحت الطلب

كان هذا في يوم من أيام مارس •

ولم توجد قط بداية لقصة أسوأ من هذه البداية ، فاياك اياك أن تبدأ قصة تكتبها بمثل هذا الاستهلال ، فانه استهلال مائع ، جاف ، مجرد من سبحات الخيال ، خليق ألا ينطوى على أكثر من الهواء • غير أنه في قصتنا هذه مسموح به ، فان الفقرة التالية التى كان يجب أن تكون فاتحة القصة ، من الاغراق في الغرابة ، واستحالة التصور ، بحيث لايليق أن يواجه بها القارىء دون تمهيد !!

***

كانت **سارة** تبكي فوق البطاقة التى تعطيها الحق فى الحصول على القوت ! وتصور **فتاة نيويوركية** تسكب دموعها على قائمة طعام •

وتصور **فتاة نيويوركية** تسكب دموعها على قائمة طعام •

ولتعليل ذلك سيباح لك أن تفترض أن الجنبرى نفد كله ، فبكت عليه ، أو أنها كانت نذرت الصوم عن المثلجات فى الصيام الاكبر ، أو أنها طلبت بصلا فآذاها ، أو أنها قادمة من فورها من الحفلة النهارية فى **مسرح هاكيت** • فأما وهذه الفروض كلها ضلال فى ضلال ، فتفضل ودع القصة تجرى فى مجراها !

***

ان السيد الذى زعم الدنيا صدفة وأنه سيشقها بسيفه ، نال من الشهرة ما لم يستحق ، فان شق الصدفة بسيف أمر يسير • ولكن أعرفت يوما ما أحدا فلق محارة المعمورة بآلة كاتبة ؟

لقد استطاعت **سارة** أن تفتح شقى المحارة بسلاحها هذا الكليل ، الى الحد الذى أتاح لها أن تقضم من لحم الحياة الطيب الثاوى بداخلها قضمة • انها ما كانت تعرف عن الاختزال ، أكثر مما يعرف عنه خريج مدرسة تجارة متوسطة أطلق على العالم لتوه ، ولعجزها هذا استحال عليها أن تقتحم ذلك الفلك الوضاء للكتاب الموهوبين ،

وبقيت كاتبة غشيمة على الآلة الكاتبة ، تتصيد عملا من أعمال النسخ من هنا وعملا من هناك .

وكان الانتصار الاكبر الذى توج كل انتصارات سارا فى نضالها مع الحياة هو الاتفاق الذى عقدته مع مطعم شولنبرج الصغير ، وكان هذا المطعم مجاورا لبناء الآجر الاحمر الذى كانت غرفتها فيه . وقد حدث ذات ليلة بعد أن انتهت سارا من عشائها الرخيص بالمطعم أن حملت معها قائمة الطعام . وكانت مكتوبة بخط يد لا يقرأ ولا يعرف منه ان كان مكتوبا بالانجليزية أو الالمانية ، ومن الفوضى فى ترتيب ألوان الطعام بحيث اذا لم تكن حريصا فقد تبدأ من حيث لا تشعر بأعواد تسليك الاسنان ثم بالحلوى ثم تختم بالحساء وتاريخ اليوم الذى تأكل فيه من الاسبوع !!

وفى اليوم التالى أرت سارا صاحب المطعم - شولنبرج - قائمة طعام أنيقة كتبت بالخط الآلى الجميل ، ونسقت فيها ألوان الطعام تنسيقا مغريا ، تحت عناوين لائقة تبدأ من « المشهيات » الى « المحل غير مسئول عن المعاطف والمظلات » !

وأخذ شولنبرج بجمال القائمة ، وقبل أن تبارح سارا المطعم تعاقد معها طائعا مختارا على أن تكتب له احدى وعشرين قائمة عشاء ، بعدد موائد المطعم كل يوم ، ثم احدى وعشرين قائمة فطور وغداء ، تتجدد كلما تغيرت ألوان الطعام ، أو استدعى تغييرها طول الاستعمال !

وفى مقابل ذلك كان على شولنبرج أن يرسل كل يوم ثلاث أكلات الى حجرة سارا ، على يد خادم - يشترط أن يكون مهذبا ما أمكن - وأن يمدها كل أصيل بمسودة مكتوبة بالقلم الرصاص ، يبين عليها ما تختزنه المقادير لعملاء شولنبرج فى اليوم التالى .

وقوبل الاتفاق بالرضى المشترك من الطرفين ، وكان من نتائجه أن قصاد شولنبرج أصبحوا يدركون اسم الطعام الذى يزدردونه حتى ولو غمض عليهم كنهه فى بعض الاحيان ، وان سارا ضمنت قوتها خلال شتاء كئيب مرير ، وكان هذا أهم ما تصبو اليه .

ثم كذب التقويم ، وأعلن عن مقدم الربيع الذى لا يأتى الا عندما يريد .. لقد كانت ثلوج الشتاء ما فتئت تجلل مسالك المدينة

بطبقة من الجليد في صلابة الحجر، وكانت الموسيقى اليدوية الجوالة مازالت تعزف أنشودة «في الصيف الحلو الذي ولى» بنفس بهجتها وطلاوتها في قلب الشتاء • وراح الرجال يوصون على ثياب عيد الفصح بمهلة أيام ثلاثين ، وبدأ القوامون على المنازل يوقفون البخار في المدافيء • وعندما تحدث هذه الاشياء ، فقد يدرك المرء أن المدينة مازالت تئن تحت سنابك الشتاء!

وحدث ذات أصيل أن أحست سارا قشعريرة البرد في حجرتها ذات التدفئة المحلية ، والنظافة المثلى ، والمرافق الكاملة •• وما راء كمن سمع ! وما كان لديها عمل تعمله خلا بطاقات شولنبرج، فجلست في كرسيها الهزاز الصارخ ، وراحت تنظر من النافذة ، والتقويم المعلق على الحائط يهتف بها دائبا : «الربيع هنا ياسارا، أؤكد لك أن الربيع على الابواب• أنظري الى ترى صوري قد اصطبغت بألوان الربيع ، وأن لك أنت صورة حلوة يا سارا ، صورة خلابة كأطياف الربيع ، فلماذا تنظرين الى النافذة بهذا الوجه الحزين ؟ »

كانت غرفة سارا في مؤخرة البيت ، وكانت نظرتها من النافذة تقع على الجدار الأصم الذي يكون ظهر مصنع الصناديق الواقع على الشارع المتاخم ، ولكن الجدار كان مصنوعا من البلور الصافي، ووقعت عينها على ممشى مغطى بالحشائش ، ومظلل بأشجار الكريز والتوت والورود •

ان بشائر الربيع الحقيقية شديدة الختل للعيون والآذان ، فمن الناس من لايفتح أحضانه ليعانق الربيع المقبل الا اذا رأى أزهارا بعينها تتفتح ، أو أشجارا بذاتها تورق ، أو طيورا خاصة تغرد ، أو ألوانا معينة من الطعام تنسحب مودعة من الوجود – ويا له من نذير – فان الارض التي تعرس للربيع كل عام تتلقى من الزوج المنتظر رسالة رقيقة ، يعلن فيها أن بني العلات (١) لا مكان لهم في البيت الجديد ، الا أن يختاروا هم أنفسهم البقاء فيه !

وكانت سارا في الصيف الماضي قد ذهبت الى الريف وأحبت فلاحا هناك •

---

(١) العلة الضرة ، وبنو العلات بنوامهات شتى من رجل واحد •

(واياك وأنت تكتب قصتك أن تنكص هكذا على عقبيك ، فان في ذلك مساءة للفن ومضيعة للتشويق ، ولكن دع القصة تسير في انسجام ، الى الامام !)

ومكثت سارا أسبوعين في مزرعة سني بروك ، تعلمت خلالهما كيف تغرم بوولتر ابن فرانكلين الفلاح العجوز • ولقد عرف عن الفلاح من قديم أنه يحب ويتزوج ويستحيل الى مداس في وقت أقصر ، ولكن وولتر فرانكلين الشاب كان زراعيا حديثا ، له في حظيرة بقره تليفون ، ويستطيع أن يتكهن بغاية الدقة عن مدى تأثير محصول القمح القادم بكندا في محصوله هو من البطاطس المزروعة والقمر في المحاق •

ولقد غازلها وولتر وسبى فؤادها في ذلك الممشى المظلل بأشجار الكريز ، حيث جلسا معا يضفران لشعرها اكليلا من الهندبا ، وهو يتغزل بسخاء في موقع زهره الاصفر من جدائلها العسلية ، وقد تركت الاكليل هناك وعادت الى البيت ترقص دميتها على يديها !

وكانا على أن يتزوجا في الربيع ، عند أول باكورة من بواكيره كما قال وولتر ، وعادت سارا من المزرعة لتطقطق على آلتها الكاتبة !

وسمعت نقرة على الباب بعثرت في خيال سارا أحلام ذلك اليوم السعيد ، فقد جاء خادم من خدم المطعم بمسودة قائمة اليوم التالى في مطعم شولنبرج •••

وجلست سارا الى العمل ، ووضعت ورقة بين شقى الجهاز ، وكانت خفيفة الحركة في عملها ، تنتهى عادة من كتابة القوائم الاحدى والعشرين في ساعة ونصف !

ولكنها اليوم وجدت تحويرا في قوائم الطعام أكثر من المعتاد ، فقد كانت أنواع الحساء أقل ، وحذف لحم الخنزير ، واستعيض عنه باللفت على الطريقة الروسية وبدا أن روح الربيع الحلوة تدب في أعطاف القائمة ، فاختلط لحم الضأن (١) الذى كان يطفو

---

(١) يعتبر لحم الضأن في امريكا من ارخص واردأ انواع اللحوم •

منذ قليل على المروج الخضراء ، بالصلصـــلة التى أحيت ذكرى طفراته هناك ، وعلى أن الجنبرى لم يخرس ، فان صوته خفت ، وتخلفت المقلاة في كسل وراء الأسيـاخ الطيبة للمشواة (١) ، وتضخم نصيب الفطائر واختفت الحلواء ، واختال المبار في الاطباق .

وتراقصت أصابع **سارا** على الأحرف ، تراقص الطير على صفحة غدير ، وما زالت تنتقل من لون الى لون من أصناف الطعام ، واضعة كلا منها بدقة فى موضعه الصحيح من حيث الطول والقصر

وقبل أن تصل الى الحلوى أتت على الخضر من الجزر والبازلاء الى الاسباراجاس بالخبز القديد ، الى الطمـاطم فى غير الأوان ، والفريك ، والفول ، والكرنب ثم ...

ان **سارا** كانت تبكى الآن على قائمة الطعـام ، فقد انبثقت من أعماق قلبها اليائس عبرات تجمعت فى عينيها ، وتهاوى رأسها على قائم الآلة الكاتبة ، واستجابت الأحرف بطقطقتها الجافة لتنهداتها الرطاب .

فهى منذ أسبوعين لم تتلق من **وولتر** رسائل ، وكانت الهندباء بالبيض هى الصنف التالى من أصناف الطعـام ، ولا عليك من البيض الآن ، فان الهندباء هى التي ضـفر وولتر من زهـورها الذهبية الاكليل الذى جعلها به ملكة فؤاده ، وعروسه المستقبلة ، وهى بشائر الربيع التى أصبحت تاج أحزانها وتذكار أسعد أيامها الخوالى .

***

أيتها السيدة القارئة : اضحكي ما شئت الى أن تكابدى هـذا الامتحان ! دعى الورد الذى أهداه اليك خطيبــك يوم وهب لك حبه ، يقدم اليك «سلطة» تحت سمعك وبصرك فى مطعم كمطعم **شولنبرج** الوضيع . ان جولييت لو رأت شارات حبها تبتذل على هذه الصورة لاستعجلت الحصول على السم من تاجر عقـاقيرها الطيب .

ولكن يا له من ساحر ذلك الربيع .. !

---

(١) عنـدما يدفأ الجو نوعا لا تـكون الحاجة الى قلى اللحوم فى الدهن شديدة كما كانت فى الشتاء .

ان رسالة ما يجب أن ترسل الى قلب المدينـــة المدرع بالحجر والحديد ، ولـكن ما من رسول يحملها سوى هذا الرسول الباسل الصغير النـابت فى الحقول ، بعطفه الاخضر وأريجه الهادىء • انه جندى من جنود الاقدار ذلك الزهر المسمى بأسنـان الاسـد (الهندباء) ، فهو عندما يزهر يصبح على رءوس العذارى دلال غرام ، وهو قبل أن يزهر يمكن أن يصبح فى طبق الطعام سفيرا للهوى بين المحبين •

***

وما هو الا قليل حتى كفكفت سارا دموعها قسرا ، فان البطاقات يجب أن تكتب على أى حال ، بيد أن خيالها كان لا يزال سـابحا فى أحلام الهنـدباء ، وهى تدق على الأحرف بلا وعى لحظـة من الزمان ، تاركة قلبها وعقلها يتجولان فى المروج مع حبيبها الفلاح • ولكن سرعان ماجرفها الواقع على عجل الى صخور مانهاتان ، وراحت أحـرف الآلة تطقطق وتتواثب كسيارة قديمة !

وأتى لها الخادم بعشائها فى السـادسة ، وأخذ منهـا قوائم الطعام • وبعد ان اكلت سارا تنهدت وهى تنحى جانبـا طبق الهندباء بما فيه • وكما استحالت هذه الكتلة السوداء من الزهور اليانعة الممهورة بالحب الى طبق مشين من الخضر المأكولة ، ذوت كذلك آمال الصيف فى قلبها ،وذهبت هباء ، وعلى أن الهوى كما يقول شكسبير قد يأكل بعضه بعضا ، فان سـارا لم يطاوعها قلبها على أن تأكل الهندباء التى وشت يوما ما أول وليمة غرام حقيقية دعى اليها قلبها الكسير!

وفى الساعة السابعة والنصف بدأ جاراها الزوجان يتعاركان ، وأخذ الساكن الذى فوقها يعزف أعلى صوت على النـاى ، وخبت بعض الشىء قوة النور ، وراحت ثلاث عربات من عربات الفـحم تلقى شحنتها على الباب بصوت هو الصوت الوحيد الذى يغـار منه الحاكى ، وارتفع مواء القطط على الاسوار الخلفية للبناء ، وأدركت سارا من كل هذه الآيات أن وقت القراءة قد أزف ، فانتقت كتابا كان أقل كتب الشهر انتشارا ،وأسندت قدميهـا الى حقيبتها ، وراحت تسرح مع المؤلف •

ودق جرس الباب الخارجي ، وفتحته قيمة البيت ، وتركت سارا الكتاب وأنصتت ، وكذلك كنت تفعل لو كنت فى مكانها .

وسمع من الردهة السفلى صوت قوى ، فقفزت سارا الى الباب تاركة كتابها على الارض •

ولعلك تكهنت بما حدث ، فقد وصلت الى بسطة السلم العليا فى نفس اللحظة التى وصلها فيها فلاحها الحبيب صاعدا السلم ثلاثا ثلاثا ، وألفت نفسها بين أحضانه •

وصاحت سارا :

ــ لماذا لم تكتب ؟ لماذا ؟ لماذا ؟

قال وولتر :

ــ ان نيويورك مدينة ضخمة ، وقد أتيت اليك فى عنوانك القديم منذ أسبوع ، فوجدتك قد انتقلت منه فى يوم الخميس •

وعزانى هذا بعض الشيء ، فقد وقانى من الشك المحتمل فى نحس أيام الجمع ، وان كان لم يمنعنى من البحث عنك بكل الوسائل الممكنة منذ ذلك اليوم ، حتى بوساطة الشرطة •

قالت سارا بحدة :

ــ لقد كتبت لك ••

ــ لم يصلنى شيء قط ••

ــ فكيف وجدتنى اذن ؟

وتبسم الفلاح الشاب ابتسامة مصطبغة بألوان الربيع ، ثم قال :

ــ لقد وقعت الليلة عفوا على المطعم الصغير المجاور ، ومايهمنى أن يعرف ذلك عنى أحد ، فانى أحب نوعا معينا من الخضر فى هذا الموسم من العام ، فأجريت عينى على قائمة الطعام الجميلة باحثا عنه ، فلم آكد أنتقل من الكرنب حتى قلبت مقعدى وأنا أنادى على صاحب المطعم ، وقد أخبرنى أين تسكنين •

قالت سارا فى بشر :

ــ أجل • أتذكر أن الكرنب أعقبته الهندباء ؟

قال وولتر :

ـ ان الواو التى يكتبها جهـازك مرتفعـة على السـطر تدلنى عليك أينما كنت من أقطارالعالم ؟

فقالت **سارا** مندهشة :

ـ ولكن أين الواو فى كلمة الهندباء ؟

فأخرج الشـاب القائمة من جيبه ، وأشار الى سطر فيها ..

وعرفت سارا في البطاقة أول‌قائمة كتبتها فى ذلك الاصيل.. فقد كان أثر العبرة التى سالت‌على ركنها الأيمن ما زال ظاهرا هناك . ولكن حيث كان ينبغي ان يظهر اسم الهنـدباء ، فان الذكرى‌المراودة لزهورها الذهبية‌جعلت اناملها تقع من‌اللوحة على أحرف غريبة فى‌مجموعها على قائمة الطعام .

فبين الكرنب ، ومحشى‌الفلفل‌الاخضر ، ظهرت فى القائمة هذه الـكلمات : « **حبيبى وولتر بالبيض المسلوق !** »

إضاعة الأناقة



« كان اليوم يوم عيده ، وقد صمم على أن يعتصر منه كل قطرة من الرحيق . »

أضاعته الاناقة

كان مستر **تاورز تشاندلر** يكوى بدلة سهرته فى غرفتـــه المتواضعة ، واضعا مكواةتسخن على نار الموقد الغازى ، ومتكئـا على الأخرى بقوة وهى تروح وتجىء على البنطلون ، لتحدث فيه الثنية التى سنراها فيما بعد بين حذائه وصدارم كالخط المستقيم ٠٠ ولن نخوض أكثر من ذلك فى زينة المستر تشاندلر ، ولن نراه بعـــد ذلك الا وهو يهبط درج السلم فى البيت الذى يسكنه ، هادئا ، أنيقا ، واثقـا بنفسه ،منسجم الهندام ، يوحى مظهره بأنه شاب نيويوركى من رواد الاندية ، يبدأ مباهجه الليلية فى قليل من الضجر ٠

كان مرتب **تشـــاندلر** فى الاسبوع ثمانية عشر ريالا ، وكان يعمل فى مكتب مهندس معمارى،وكان فى الثانيـــة والعشرين من العمر ، وله رأى فى المعمار أنه فن خالص ، وأن هندسة الكاتدرائية الكبرى فى ميلان اسمى وأروع من هندسة ناطحات السحاب فى نيويورك ، ولكنه لم يكن يجرؤ على أن يجاهر بذلك ٠

وكان تشاندلر يدخر من دخله ريالا كل أسبوع ، فيتجمع لديه كل عشرة أسابيع رصيد ، يشترى به ليلة ممتعة من تاجر الزمن الشحيح ، فيرتدى من الحلل مايرتديه النبلاء وأصحاب الملايين، ويرتاد من الاحياء ما تتبرج فيـــه الحياة وتتألق ، حيث يتعشى كما يتعشى المترفـــون ، وأن المرء ليستطيع بعشرة ريالات أن يمثل دور العـــاطل الثرى ولو لبضع ساعات ، فان المبلغ يتسع لاكلة شهية ، ولزجاجة شراب طيب ،ولمنحة الندل ، وللسيجـــار ، والعربة ، ومايتبع ذلك من الملحقات ٠

وكان هذا المساء البهيج المقتطف من شقاء سبعين ليلة ،مصدر سعادة تتجدد لتشـــاندلر على الدوام ٠ ان كل زهرة من زهور المجتمع تتفتح مرة واحدة ، وهذا الازدهار الواحـــد تظل ذكراه الحلوة ناضرة فى خيالها حتى يدركها المشيب ، ولكن **تشـــاندلر**

كانت له كل عشرة أسابيع فرحة، لها جدة الفرحة الاولى ونشوتها، وأى شىء أبهج فى الحياة من أن تجلس بين السعداء، تحت النخيل، مغرقا فى دوامة من الموسيقى الشجية، يتطلع اليك نزلاء هذا الفردوس كما كنت تتطلع اليهم؟ ان سعادة الفتاة بقبلتها الاولى، وبثوب زفافها الناصع، هيهات ان تضارع هذه السعادة .

وتاجه **تشاندلر** صوب **برودواى** فى هذه المظاهرة من الاناقة وجمال الهندام، فالليلة ليلته فى نظر الناس اليه كما كان ينظر اليهم، وستعقبها تسع وستون ليلة، يرتدى فيهــــا الثوب الرخيص، ويتعشى حيثما اتفق، ويقف فى غمرة الزحام ليحصل على غداء، ويقتات فى بيتــــه المتواضع على الجعة والشطائر . وماكان يكره ذلك، فقد كان ابنا مخلصا لفوضى المدينة الكبرى، وكانت الليلة التى يقضــــيها فى الضوء تغنيه عن لياليه الطويلة فى الظلام .

واتاد **تشــاندلر** فى مشيته حتى أتى الاحياء الساطعــــة فى المدينة، لان الليل كان فى بدايته، ولان المرء اذا كانت لاتتاح له السعادة الا ليلة كل سبعين ليلة، كان حريا أن يؤجل متعته ما اســـتطاع . وراحت الاعين تنتاشه ما بين براقة، وشريرة، ومستطلعة، ومعجبة، ومغرية، وفاتنة، لان ثيابه وهندامه نما عليه كمستسلم لنوازع المتعــــة والسرور .

وأتى ناصية من نواصى الطريق وقف عندها بغتة، يفكر فى أن يعود القهقرى الى مطعم أنيق فخم سبق له ان تعشى فيــه فى بعض أعياده الماضية، وحدث فى نفس اللحظة، ان ظهرت **فتـــاة** من ركن الطريق، فزلت قدمهــا على قطعة من الجليد، فخرت هاوية على الطوار .

ونفر **تشــاندلر** لنجدتها فى جزع واحترام حتى أعانها عــلى الوقوف، ومشت الفتاة تظلع حتى اتت الجدار فاستندت اليه، وشكرته فى احتشام، ثم قالت:

— « أظن كعبى قد حدث به رض، فقد التوى وأنا أقع ».

وتساءل **تشاندلر** :

« هل يوجعك كثيرا ؟»

فقالت :

« كلا الا اذا ركزت ثقلى عليه،وأحسبنى قادرة على استئناف المشى فى دقيقة أو دقيقتين »

وقال الشاب :

« هل من خدمة أستطيع أن أؤديها ؟ هل أنادى عربة أو ..»

قالت الفتاة فى لطف وحرارة:

« شكرا ، ولا داعى لهذا التعب ، لقد كان ما كان سخفا منى ، فان أعقاب حذائى أوطأ ما تكون ، ولا أستطيع لومها على ما كان »

ونظر تشاندلر الى الفتاة ، فارتد اليه البصر وهو مشوق ، فقد كانت على جمال مهذب ،وكانت عينها تشع بالرفق والحبور ، وكانت ترتدى ثوبا بسيطا أسود ، من النوع الذى ترتديه العاملات ، وقبعة رخيصة من القش الاسود ، ليس عليها من أثر الزينة الا شريط معقود من المخمل ، تبدو من تحتها غدائر شعرها العسلى اللماع .وكأنها مثل طيب لعاملة تحترم نفسها بوجه عام .

ونبتت فكرة مفاجئة فى خاطر المعمارى الشاب . ماذا لو سأل هذه الفتاة أن تشاطره العشاء؟أنها عنصر كان ينقص أعياده الدورية الفخمة . وما من شك أن صحبة سيدة ، ستضاعف متعته ببهجة هذه الاعياد القصار.وهذه الفتاة سيدة ولا ريب ، ينم على جوهرها سلوكها وأسلوبها فى الحديث . وقد أيقن انه على الرغم من بساطة ثيابها سيستمتع بمشاطرتها اياه العشاء .

مرت هذه الخواطر بفكره فى لمحة ، فقرر أن يدعوها ، وكان ذلك بالبداهة خرقا للتقاليد ،ولكن العاملة التى تحصل على قوتها من عرق الجبين خليقة أن تتغاضى أحيانا عن صوت التقاليد فى مثل هذه الامور . انهن فى العادة أذكياء فى حكمهن على الرجال ، وقد نلن بحكومتهن هذه من الخير مالم ينلن بالتقاليد

العقيمة . والعشرة الدولارات التى معه اذا أنفقها بحكمة يمكن أن تكفل عشاء طيبا لاثنين .وسيكون هذا العشاء لا محالة تجربة جديدة باهرة للفتاة فيحياتها الخاملة ، وسيضاعف من ظفره ومتعته ، تقديرها العظيم لما أسبغ عليها من آلاء .

وقال لها فى وقار :

ـ « أظن قدمك ستحتاج الىراحة أطول مما تقدرين . وهأنذا أعرض عليك حلا يكفل لها ذلك ،ويولينى منك فضلا فى نفس الوقت . لقد كنت فى طريقى الىالعشاء وحيدا ، عندما عثرت قدمك على ركن الطريق ، فتعالىمعى نتعشسويا ، عشاءشهيا ، ونتجاذب أطراف الحديث حتىيزول عن كعبك مايضنيه » .

ونظرت الفتاة نظرة خاطفةالى وجه تشاندلرالسمح اللطيف، فبرقت فى عينها بارقة ، وشاعتفى ثغرها ابتسامة صريحة ، ثم قالت مستريبة :

ـ « ولكننا لم نكد نتعارف ،وما أظن ذلك من الحكمة ، أترى أنت غير ذلك ؟ »

قال الشاب فى حماسة :

ـ « لا حرج البتة ، ودعينىأقدم لك نفسى : مستر **تاورز تشاندلر** . واذا فرغنامن عشائناالذى سأحاول جهدى أن أجعله ممتعا ، سأتمنى لك ليلة سعيدة،أو أصحبك الى بابك ، أيهما تختارين ؟ »

وقالت الفتاة وهى تلقى نظرةعلى ثياب تشاندلر المبرأة من العيب :

ـ « ولكن ماذا أصنع بهذهالقبعة والثوب القديم ؟ »

قال تشاندلر فى ابتهاج :

ـ « لاعليك من ذلك ، وانىلاجزم أنك فيهما أفتن من أى امرأة نلقاها فى أبهى ما أعدتلسهرتها من زينة »

وقالت الفتاة وهى تتعارج :

ـ « ان كعبى مازال يؤلمنى ،وسأقبل دعوتك ، وتستطيع أن تنادينى : **مس ماريان** » .

وقال المعمارى الشاب فى فرح وقور :

ـ « اذن فهيابنا يامس ماريان، ولن تمشى طويلا ، ففى المبنى التالى مطعم فاخر محترم ،واعتمدى على ذراعى ، أجل هكذا ، واتئدى فى خطاك • ان عشــاء المرء وهو وحيد مدعاة للضجر،وانى لسعيد نوعا ما ــ بتعثــرك فى قطعـــةالجليد » •

وعنــدما استقر الاثنــان على مائدة مختارة ، تحوم عليها نادلة واعـدة ، بدأ تشــــاندلر يحس نشوة الفرح الاصيل ،الذى تمده به أعياده المنتظمة على الدوام •

ولم يكن المطعم فى أناقة أو فخامة ذلك المطعم الذى كان يختــاره لاعياده فى برودواى ، ولكنه مع ذلك لم يكن أدنى منه كثيرا ، فقد كانت الموائد عامرة بالآكلين يرفلون فى ثياب العز ، والموسيقى شجية لاتعكر بهدوئها متعــة الحــديث ،والطهى والخــدمة فوق النقــد والشبهات • وصاحبته ــحتى فى ثوبها وقبعتها الرخيصين ــ تبدو فى مظهر ممتاز ، يضاعف ماأتسم به وجههــا وســـمتها من جمال أصيل • ومن المؤكد انهــا كانت تنظر الى تشــاندلر ، فى مرحه المشرب بضبط النفس،وفى عيونه الصريحة ، الزرقاء ، نظرة تدانى نظرة الاعجاب ، تشيع فى وجهها الفاتن الخلاب •

وسيطرت نشوة الغرور والفرح على فؤاد تشاندلر ، فى هــذا الجو المغرق فى الفخامة والانس ،وتطلع الاعين الجميلة اليه، فراودته نفسه أن يمثل على مسرح هــذه المهزلة ــ ولو لليلة واحدة ــ دور الثرى العاطل المفتون ، وأعانتــه ثيابه على تمثيــله ، وعجـــز كل حراســـه من المــلائكة الابرار أن يثنوه عن تمثيل هذا الدور •

وراح يثرثر لمس ماريان عن الاندية ،وحفلات الشاى ، وملاعب الجولف ، وحلبــات الســـباق ،وحظائر الكلاب ،وبهجة المراقص، ومغانى الســـياحة فى العـــالم ،ويشير من طرف خفى ،الى وجود يخت ينتظره فى الميناء • ورآها تســتغرق فى الانصات لحــديثه الغـــامض ، فالح فى تزييف الاكاذيب عن ثروته ، وراح يذكر بلا كلفة أسماء بعض أصحــاب رءوس الاموال المعروفين بين سواد العمال • لقد كان اليوم لتشاندلر يوم عيد ،وقد صمم على أن يعتصر منه كل قطرة من الرحيق • ومع ذلك فقـــد لمح مرة أو مرتين

بريق تبر الذهب الحر فى وجه هذه الفتاة ، يتألق خلال الضباب الذى حجبت به أنانيته وغروره عن نظره كل شىء .

وقالت الفتاة :

ــ « ألا ترى ان هذه الحياة التى تتحدث عنها لا نفع فيها ، ولا ترجى من ورائها غاية ؟ أما لك من عمل تؤديه فى الحياة يمنحك سرورا أكبر ؟ »

فصاح متعجبا :

ــ « عمل ؟ ياعزيزتى مس مار يان ، أى عمل أشق من ارتداء ملابس السهرة كل مساء ، والقيام بست زيارات كل أصيل ، ووقوع شرطى المرور على سيارتك فى كل مفرق طريق ، ليأخذك الى المحكمة ، اذا أنت تجاوزت سرعة حمار يجر عربة !! اننا نحن العاطلين ، نقوم بأشق عمل فى هذا البلد » .

وانتهى العشاء ، وأعطيت النادلة منحة كريمة ، وعاد الاثنان الى حيث التقيا فى ناصية الطريق ، وكانت مس **ماريان** تجيد مشيتها الآن ، لايكاد عرجها يبين ، وقالت بمخلصة :

ــ « أشكرك على ماأتحت لى من ساعات لطيفة ، فعلى أن أعود الى بيتى الآن ، ولقد سعدت كثيرا بهذا العشاء يامستر تشاندلر »

وصافحها وعلى فمه ابتسامة وقور ، وأشار الى انه ذاهب الى مباراة بريدج فى ناديه ، وراح يرقبها لحظة وهى منصرفة عنه فى خطو سريع ، ثم ركب عربة تعود به الى البيت .

وفى غرفته الباردة خلع **تشاندلر** ملابس السهرة ، ومنحها أجازة التسعة والستين يوما المعتادة ، وراح يفكر فى ليلته ويحدث نفسه فيقول :

ــ « يالها من فتاة مدهشة ، وانها لمهذبة كذلك ، ويحزننى أن أراها تعمل لتعيش ، ولعلنى لو قلت لها الحق عن نفسى بدلا من هذه الاكاذيب لكنا .. ولكن سحقا لذلك ، لقد كان على أن أمثل الدور الذى يتطلبه ما أرتدى من الثياب » .

وكذلك حدث نفسه ذلك الرجل الشجاع ، الذى ولد وترعرع فى أحضان مانهاتان .

أما **الفتاة** فانهــا لم تكدتغادرصاحبهــا حتى سارت مسرعة الى قصر هادىء فخم فى الحى المواجه لاله المال ومن ورائه من الآلهة المســاعدين ، فاقتحمت بابه على عجل ، وصــعدت الى غرفة بهــا **فتاة رشيقة** ، ترتدى معطفا بيتياجميلا ، وتنظر فى قلق من النافذة الى عرض الطريق •

وصاحت هــذه الفتــاة الاكبرسنا عنــدما رأت الاخرى تدخــل الغرفة :

ـ « أين كنت أيتها الطائشة؟متى تكفين عن ترويعنا على هــذا المنوال ؟ ان لك ساعتــين منــذ تسربت من البيت بقبعــة مارى وثوبك القديم • وقد جزعت لذلك أمنــا جزعا شــديد ، وأرسلت السائق بالسيارة ليبحث عنك• •• انك لشريرة حمقاء بلا عقل ولا تفكير ! » •

ودقت **الفتاة الكبرى** جرسا ،فأتت خادم فى لحظة ، فقالت لها :

ـ « مارى قولى لامى ان ماريان قد عادت » •

وقالت الصغرى :

ـ « لا تقسى على يا أختى ،لقدذهبت الى الخيــاطة لاطلب منها أن تبدل الوشى الوردى بآخر بنفسجى ، ولم أكن بحاجة الى ثيــاب أكثر من قبعة مارى وهــذا الثوب القــديم • وقد حســبنى كل من رآنى عاملة فى متجر على ما أظن »

ـ « لقد فاتك العشاء يا عزيزتى » •

ـ « أعرف ذلك ، فقــد عثرت فى الطريق ، والتــوى كعبى ، فشق على السير ، فطلعت الى مطعم قريب ، وجلست هناك أستريح ، ومن أجل ذلك تأخرت » •

وجلست الاختــان على كنبــة بجوار النــافذة تنظران الى أنوار الطريق ، وسيل العربات المتدفق فيه ، ودفنت الصغرى رأسها فى حجر أختهــا ، وقالت وكأنها فى غيابة حلم :

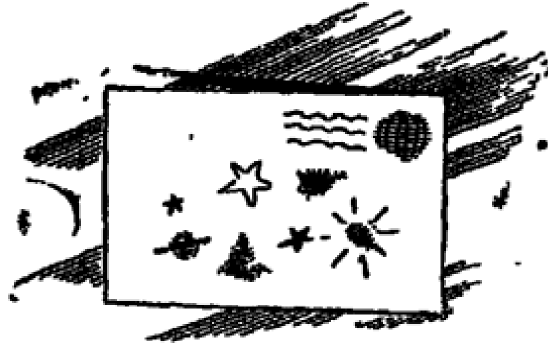
ـ « ســنتزوج يوما ما بطبيعة الحــال ، وان لدينــا من المــال ما يحول بيننا وبين مضايقة الناس ! أقول لك أى نمط من الرجال أصبو اليه يا أختاه ؟ »

وقالت الاخرى ضاحكة :

ـ « افعلى أيتها الخرقاء » .

ـ ان الرجل الذى أصبو اليه يجب أن تكون له عيون عطوف زرقاء ، وأن يعامل الفتيات الفقيرات برقة واحترام ، وأن يكون أنيقا ، وطيبا يعف عن الغزل والتشبيب . ولكننى لن أحبه الا اذا كان له هدف وعمل ومطمح فى الحياة . وما يهمنى أن يكون أفقر ما يكون ، ما دمت أستطيع أن آخذ بيده فى معراج المعالى . ولكن الرجل الذى نلتقى به ياأختاه هو دائما الرجل الثرى العاطل الذى يحيى حياة خاملة بين الاندية والمحافل ، ولن يتفتح قلبى لمثل هذا الرجل حتى لو كانت عيونه زرقاء ، وكان أرق مايكون لمن يصادفهن فى الطريق من الفتيات الفقيرات » .

عالم في مقهى



« تستطيع أن تعنون رسالة باسم : ا . رشمور كوجلان المحترم ، بالكرة الارضية ، المجموعة الشمسية، الكون... ثم تضعها في البريد وأنت واثق تمام الثقة أن الكتاب واصل اليه لامحالة ! »

عالمي في مقهى

كان المقهى مكتظا في منتصف الليل ، وشاءت مصادفة ما أن تخفي المائدة التي كنت أجلس اليها عن أعين الداخلين ، فبقي عليها مقعدان خاليان ، يمدان أذرعهما في حفاوة مريبة الى سيل العملاء ٠

وما هو الا قليل حتى اقتعد احدهما **مواطن عالمي** ، فطربت لذلك ، لاني كنت اعتقد ان الارض لم تعرف مواطنا عالميا أصيلا منذ آدم وحواء ٠ اننا نسمع بهم ونرى بطاقات اجنبية على أمتعة كثيرة ، ولكننا نجد سياحا لا مواطنين عالميين ٠

وها هو ذا منظر المقهى أطرحه تحت انظاركم : الموائد ذات القمم الرخامية ، صفوف المقاعد المكسوة بالجلد والملتصقة بالجدران ، الجماعة المرحة ، السيدات في ازيائهن نصف المتأنقة ، يتكلمن في جلبة ملحوظة عن الذوق او الاقتصاد او الثراء او الفنون ، الندل في دؤوبهم وغرامهم بجمع الهبات ، الموسيقى التي توزع البهجة بعدالة بين الجميع ، من سطواتها على المؤلفين ، مزيج الاحاديث والضحكات وان شئتم فالجعة السمراء في كؤوسها المخروطية المائلة على الشفاه ، كالكريز اليانع مهتزا على الاغصان أمام منقار الطائر المتلصص ٠ ولقد قال لي أحد المثالين أن المنظر كله كان باريسيا بحق ٠

كان اسم هذا المواطن العالمي أ ٠ **وشمور كوجلان** ، وستراه مدينة الملاهي في الصيف المقبل (وان لم يذهب) فقد اسر الي انه يزمع انشاء لعبة جديدة هناك تصلح لتسلية الملوك ، ثم راح بعد ذلك يقرع بسنابك حديثه خطوط الطول والعرض من شرق العالم الى غربه ، وكأنما وضع كرة الارض الضخمة في راحة يده ، ببساطة واستصغار ، حتى بدت فيها أصغر من بذرة كريز صغيرة في كأس عظيمة من عصير البرتقال ٠ وتحدث عن خط الاستواء بلا كلفة ، وأخذ يثب من قارة الى قارة ، ويسخر من الاقاليم ، ويجفف بفوطة يده المحيطات ٠ وقد يتحدث اليك

مطوحا بيده عن سوق معينة فيحيدر آباد ، ثم هوب! ترى نفسك محمولا معه على زلاجة في لايلند بشمال النرويج ، ثم اذا بك فو ! ... راكبا معه أعراف الموج المزبد المتكسر على سواحل هاواي . ثم اذا هو يجرك وراءه في مستنقع من مستنقعات اركنساس ، تاركا اياك لحظة تجفف نفسك على السهول الملحية في مزرعته بولاية ايداهو ، ثم لا يلبث أن يرف بك الى مجتمع النبلاء في فيينا ، ثم لا يفتأ حتى يخبرك عن برد أصابه في شيكاغو من نسيم بحيرة ميشجان ، وكيف أن اسكاميلا العجوز من سكان بونس ايرس شفته بمنقوع عشبة الشوشولا الساخن . وقد تستطيع في كلمة أن تعنون رسالة بهذا الاسم ! **رشمور كوجلان المحترم** .. بالكرة الارضية ، بالمجموعة الشمسية .. الكون ، ثم تضعها في البريد ، وأنت واثق تمام الثقة أن الكتاب واصل اليه لا محالة .

وأيقنت أني وقعت في النهاية على المواطن العالمي الاصيل منذ آدم ، وأصغيت الى حديثه الطاوي للعالم بأسره ، مشفقا أن أعثر فيه على لمحة وطنية محلية لمجرد شخص جواب آفاق ، ولكن آراءه لم تختلج ولم تهن قط ، وتنزهت عن التحيز للمدن والامم والقارات، شأنها شأن الريح والجاذبية الارضية سواء بسواء .

وبينما أ . **رشمور كوجلان** يثرثر عن كوكبه الصغير ، رحت أفكر بفرح في رجل آخر كاد يكون مواطنا عالميا عظيما ، كتب للعالم أجمع ، وأهدى ماكتب الى بومباي (١) وقال من قصيدة له : « ان ثمة تفاخرا وتنافسا بين مدن الارض بعضها وبعض ، وان من بين أبنائها من يذرع العالم شمالا وجنوبا ، ولكنه يتعلق بمسقط رأسه كما يتعلق الطفل بذيل أمه ،واذا مامشى في الشوارع الصاخبة المجهولة تذكر وطنه ، باخلاص وحمق وحنين ، واتخذ من مجرد اللفظ باسمه غلا جديدا يضيفه الى مايربطه به من أغلال» وزاد من سروري اني ضبطت كبلنج الجديد مغفيا في سنة من النوم . فقلت لنفسي لقد عثرت برجل ليس مخلوقا من التراب ، رجل لايزهو ذلك الزهو الاخرق بمسقط رأس أو وطن ، رجل اذا

---

(١) يعني الشاعر الانجليزي رديارد كوبلنج .

تفاخر ــ وهيهات ــ فانما يفاخر بكرة الارض سكان القمر وأهل المريخ !!

واذا كانت هذه الامور في حاجة الى توضيح فقد قام بهذا التوضيح أ • وشمور كوجلان بايعاز من شخص آخر شغل المقعد الثالث في مائدتنا ، وسيأتي ذكره بعد قليل • وبينما كان كوجلان يصف لي التخطيط المفصل للبقعة من الارض التي تمر فيها سكة حديد سيبريا ، كانت الموسيقى تصدح بخليط من الالحان ، وكان ختامها لحن « ديكسي » وهو نشيد وطني ثوري معروف في الجنوب ، فلم تكد أنغامه تقرع الاسماع حتى طغت عليها عاصفة من التصفيق هبت من كل مائدة على التقريب •

ومما يستحق التنويه به في نبذة خاصة أن هذا المنظر العجيب يمكن أن يشاهد كل ليلة في كثير من مقاهي نيويورك ، ولطالما استنفدت فيها أطنان من الجعة على مناقشة مثل هذه النظريات • ويظن البعض أن الجنوبيين في المدينة يسوقون أنفسهم سوقا الى المقاهي اذا جن الليل • وقد يغمض قليلا تعليل هذا الاقبال على مثل هذا الجو المتمرد • بيد أن هذا الغموض غير مستحيل الايضاح ، فان الحرب مع أسبانيا بسنواتها الطويلة ذات المحاصيل السخية في النعناع والبطيخ ، وبطولاتها القليلة في الرماية الطويلة بسباق نيواورليانز ، وولائمها الباهرة المقامة من سكان انديانا وكنساس الذين يتألف منهم مجتمع كارولينا الشمالية ، جعلت الجنوب أشبه مايكون بأسطورة في مانهاتان • ولقد تقول لك غادة المانيكور في لثغتها الحلوة ان سبابتك اليسرى تذكرها بسبابة سيد من ريشموند بفرجينيا ! ولكن مالنا ولهذا ، فكم من سيدة تحتم عليها أن تكسب قوتها بعرق الجبين ، انها الحرب كما تعلم !

وعندما كانت الموسيقى تعزف نشيد ديكسي ، قفز شاب فاحم الشعر من حيث لايدرى أحد ، وصاح صيحة الفدائيين في الحرب ، وأدار قبعته ذات الحافة الرخوة بهوس ، ثم انفتل خلال سحب الدخان الى حيث وقع على المقعد الشاغر في مائدتنا ، وقدم لنا سجائره •

وكانت السهرة قد بلغت الحد الذى يذوب عنده كل تحفظ ،

وطلب أحدنا من الساقي ثلاث كؤوس من الجعة ، وأقر الشاب الفاحم الشعر تضمينه في الطلب بابتسامة وانحناءة من رأسه ، وبادرت بتوجيه سؤال اليه ، وفي نفسي أن أختبر فيه نظريتي :

ـ « هل تتكرم باخباري عما اذا كنت من ... »

وردتني الى الصمت ، قبل أن أكمل سؤالي ، قبضة أ . رشمور كوجلان وهي تقرع المائدة بعنف ، وقوله :

ـ « معذرة فهذا سؤال لا أحب أن أسمعه يطرح أبدا . ماذا يهم أن يكون المرء من هنا أو من هناك؟ وهل من الحكمة أن تحكم على رجل من عنوانه في البريد ؟ لقد رأيت في حياتي كنتوكيين يبغضون الويسكي ، وفرجينيين لم ينحدروا من أصلاب نبلاء الهنود الحمر ، وأندياناني لم يؤلفوا روايات ، ومكسيكيين لا يرتدون السراويل المحلاة ثناياها بالدولارات الفضية ، ورأيت انجليز يضحكون ، وأمريكيين يبذرون ، وجنوبيين باردي الدم ، وغربيين ضيقي العقول ، ونيويوركيين ، بلغوا من الانهماك في العمل بحيث لا يقفون ساعة في الطريق يشاهدون صبي بدال يعبيء بذراعه الواحدة الزبيب في أكياس الورق . دعوا الرجل يكن رجلا بذاته ، ولا تعوقوه بدمغه بالانتماء الى مكان معين . »

قلت له :

ـ « عفوا .. فان استطلاعي لم يكن طيشا كله . ولكني أعرف الجنوب ، وعندما تعزف الموسيقى نشيد ديكسي أحب أن أرقب السامعين . ولقد أصبحت أومن أن الرجل الذي يصفق لهذا النشيد بعنف خاص واخلاص وطني ملحوظ : اما أن يكون قادما من سيكوكاس بولاية نيوجرسي ، أو من الحي الواقع على نهر هارلم بهذه المدينة ، ولقد كنت على أن أضع نظريتي هذه موضع الاختبار بسؤال هذا السيد ، عندما قاطعتني بنظريتك الأعم ، كما يجب أن أعترف » .

وعندئذ تحدث الى الشاب الفاحم الشعر ، وتبين أن عقله هو الآخر كان يشطح على هواه عندما قال في غموض :

ـ ليتني أمسخ حلزونا على ذروة واد من الوديان ، وأغني هناك كما أشاء !

ولقد كان من الواضح ان قوله ممعن فى الغموض ، فالتفت الى **كوجلان** من جديد فالفيته يقول:

ـ «لقد طفت حول العالم اثنتى عشـرة مرة ، وعرفت فردا من الاسكيمو يشترى ربطات عنقه من سنسنـاتى ، ورأيت مربى ماشية فى أوروجواى يكسب جائزمن حل الغاز علب الطعام المحفوظ . وها أنذا أؤجر غرفة فى القاهرة بمصر وأخرى فى يوكوهاما على مدار العام . وثمة «شباشب» تنتظرنى بمقهى فى شنغهاى . ولست محتاجا لالقاء اى تعليمات عن تسوية البيض فى ريوجا نيرو أوواشنطن ... انها دنيا متناهية فى الصغر ، فما فائدة اللغط بكونك من الشمال او من الجنوب ، او من كوخ فى الريف او قصر بالمدينة او من اى مكان ؟ انه ليكون عالما افضل لوانصرفنا عن هذا التحامق حول الانتماء الى مدينة عفنة ، او عشرة افدنة من المستنقعات لا لشىء الا لان المصادفة شاءت أن نولد هناك .. »

وقلت فى اعجاب :

ـ « يبدو لى أنك **مواطن عالمى** أصيل ، ولكن من الواضح كذلك أنك تحتقر الوطنية ! »

قال كوجلان فى حرارة :

ـ « انها طلل من أطلال العصر الحجرى ، فنحن كلنـا أخوة ، الصينيون والانجـليز والزولو والبتاجونيون ، وأولئـك الذين يعيشون فى منعطف نهركو (الهنود الحمر) ، وسيفنى يوما ما هذا الزهو السخيف بمدينة ما ، أوولاية ما ، أو بقعة ما ، أوأمة من الامم ، وسنصبح كلنا يومئذ مواطنين عالميـين كما ينبغى أن نكون .. »

ومضيت فيما كنت أقول :

« ولكنك وأنت تجوب الآفاق ألا تثوب أفكارك الى مكان ما ، مكان عزيز عليك ، مكان ... »

وقاطعنى أ . ر . كوجلان فى اندفاع :

« مـالى مـن مـكان مثـل هذا قط ، فان وطنى هو هـذا

"الركام الفلكى الترابى الكروى المفلطح قليلاعند قطبيه، المعروف باسم الارض ٠

وكم قابلت فى الخارج كثيرامن عبيد الوطن من سكان هذه البلاد، وكم رأيت رجالا من شيكاغويركبون زوارق البندقية فى الليالى المقمرة ، فلايحلو لهم الكلام الاعن مجارى مدينتهم ٠ بل انى عرفت رجلا من الجنوب قدم على ملك انجلترا وصافحه دون أن يتكلف ارخاء جفنيه ، لعلمه أن عمة من عمات جد من أجداده لامه، كانت قد أصهرت الى أسرة بركنسيز التى تمت بصلة القربى الى الاسرة الملكية ، كما عرفت رجلا من نيويورك خطفته عصبة من قطاع الطرق فى أفغانستان بغية الفدية، فافتداه أهله ، فأعادته العصبة مع ممثلها الى كابول ٠ وقال له الاهالى عن طريق ترجمان : «ليست أفغانستان بالبلد الراكد٠ أولا تظن ذلك ؟ » فأجابهم : « لاأدرى » ثم مضى يحدثهم عن سائق عربة فى الشارع السادس وعن برودواى : ان هذه الاتجاهات لاتلائمنى ، ولاتوجد ثمة رابطة بينى وبين شىء ما يقل قطره عن ثمانية آلاف ميل، فاعتبرنى أ ٠ رشمور كوجلان مواطن الكرة الارضية ليس الا » ٠٠٠

***

وغادرنى مواطنى العالمى بكلمة وداع سخية ، اذ خيل اليه أنه يرى بعض معارفه من خلال « الشيش » وسحب الدخان ، وكذلك تركنى وحيدا مع حلزون المستقبل الذى سلبته نشوة الجعة كل قدرة على التعبير عن أمانيه فى التغنى على ذروة واد من الوديان ٠

وجلست أتأمل فى مواطنى العالمى الذى لاريب فيه! وأعجب كيف ضل عنه الشاعر **كبلنج**٠ لقد اكتشفته وآمنت به ٠ على رغم ماقال ذلك الشاعر : « وان من بين أبنائها من يذرع العالم شمالا وجنوبا ، ولكنه يتعلق بمسقط رأسه كما يتعلق الطفل بذيل أمه » — !

ان أ ٠ **رشمور كوجلان** لم يكن واحدا من هؤلاء ، فالدنيا كلها تحت أخمص قدميه ٠

وقطعت تأملاتى ضوضاء عنيفة، وشجار فى ركن من أركان

المقهى ، ورأيت من فوق رؤوس الرواد الجالسين أ • رشمور كوجلان مع رجل آخر أجهله ، في معركة حامية الوطيس • لقد كانا يتلاكمان بين الموائد كالعمالقة • وتحطمت كؤوس ، وهوت أجساد وأصحابها يتهيأون للخروج ، وصاحت غادة سمراء تستغيث ، وراحت غادة أخرى شقراء تغني أغنية لاتعاكسني !!

وكان مواطني العالمي يمكن لكبرياء الارض وسمعتها عندما أطبق الخدم على المتناضلين معا بمهارتهم المعروفة في رمي الاثقال ، فقذفوا بهما الى الخارج وهما عاكفان على النضال •

وناديت ماكارثي ، وهو أحد الندل الفرنسيين ، فسألته عن علة هذا الشجار ، فقال :

ــ « ان الرجل ذا ربطة العنق الحمراء (مواطني العالمي) غضب لشوارع بلاده ومياه شربها عندما اتهمها زميله بالقذارة » !

وقلت مبهوتا :

ــ « ولكن كيف والرجل مواطن عالمي ، وطنه المعمورة ، و ••• »

فقال ماكارثي :

ــ « لقد قال انه في الاصل من **ماتاووم كياج** في ولاية **مين** ، وانه لايمكن أن يحتمل اهانة توجه الى هذا المكان ! »

قصة لم تكمل



« كان الجنرال كتشنر يشخص اليها بعينيه الساحرتين من الاطار المذهب على ظهر الصوان ، ومن صورته الرشـــيقة ذات القامة المنتصبة ، وعلى وجهه الحـزين الجميل نظرة تأنيب » ..

قصــة لم تكمــل

لم نعد نجزع أو نحثو عـلى رءوسنا التراب عندما تذكرأمامنا نيران الجحيم، فان الوعاظ أنفسهم أصبحوا يتحدثون عن الراديوم والاثير وسواهما من المكتشفات العلمية كما يتحدثون عن الله ، ولعل من بينهم من أصبح يقـول ان أخشى مانخشاه بعد الموت ـ نحن البشر الخطأة ـ هو التحلل الى هباء • ولقد يسرنا هـــذا الرأى وان كانت أرواحنا مازال يخالجها أثر من ذلك الفزع القديم مما وراء الحياة •

ان ثمة موضوعين اثنين نستطيع أن نطلق لخيالنا العنان فى التحدث عنهما بمنجاة من الجدل :أولهما التحدث عن أحلامنـا ، والثانى رواية ماتقول الببغاء • فمجـال القول فيهما ذو سعة ، لأن آله النوم والطائر المسكين ، كلاهما شاهد لايصلح للشهادة ،وهيهات أن يجد السامع فى حديثك عنهما مطعنا فيما تقول ! ومن أجل ذلك اخــترت أن أجعــل من الرؤيا وتهاويلها الزائفة مادة لهذه القصة، وأستغفر الببغاء اللطيف نادما على اهماله لضيق مجـال حديثـه المحدود ••

***

رأيت فيما يرى النائم حلما يتعالى على النقد والجدل ، لانه يتصل بالحشر والحسـاب رأيت قوما من رجال المـال المحترفين يرتدون السـواد الحالك ، والبنائق ذوات الازرار والعرى الخلفية ، وقد نحوا جانبا ، وكانما ثمة بعض المتاعب فى تحديد منازلهم فى الآخرة ، وبدا أننا كلنا عن الجنة مبعدون •

ووقع عـلى **شرطى** مجنح من شرطة الملائكة، فقبض على جناحى، وأشار الى ثلة أخرى من الارواح كانت تبدو عليهم مظاهر العز ، وكانوا ينتظرون هم كذلك دورهم فى الحساب ، ثم تساءل :

ـ « ألك بهذه الطغمة صلة؟ »

وكان جوابى : « من هم هؤلاء ... ؟ »

قال : « انهم ••• »

ولكن مالي وهذا اللغو غير الملائم الذى يشغل حيزا كان يجب أن يخصص للقصة •

ان **دالسى** كانت تعمل فى محل تجارى ، تبيع المبار أو الفلفل المحشو أو السيارات ؟؟ أو غير ذلك من التحف الصغيرة التى تباع عادة فى الحوانيت • وكانت تتقاضى ستة ريالات فى الاسبوع من أجرها ، ويحتفظ لها بالباقى مفيدا فى حساب شخص آخر ، شخص معنوى سمه اذا شئت بالطاقة المهيمنة •

وخلال العام الاول من عملها فى هذا المتجر ، كانت **دالسى** تتقاضى خمسة ريالات فى الاسبوع ••ولقد يفيد كثيرا لو عرفنا كيف كانت تعيش على هذا الدخل ،ولكن لاتلق بالا الى ذلك ،فلعلك لاتعنى الا بحساب الدخل الكبير•وقد كبر دخلها فعلا عندما أصبحت الخمسة الريالات ستة •وسأصف لك كيف عاشت على ستة ريالات فى الاسبوع •

حدث فى الساعة السادسة ذات مساء ان قالت دالسى لصديقتها **سادى** العاملة كنادلة فى مطعم ،وهى تشبك قبعتها فى شعرها بدبوس ، كان بين سنه وبين مخها أقل من ثلاثة سنتيمترات:

ـ « لقد واعدت **بيجى** على العشاء الليلة ، فماذا تقولين ؟ »

وصاحت سادى فى اعجاب :

« يالك من محظوظة ! انها فرصة لم تتح لك من قبل ، وان بيجى لشاب عظيم ، وهو لايذهب برفيقته الا الى الاماكن العظيمة ، فقد أخذ **بلانش** ذات ليلة الى مطعم **هوفمان** ، حيث الموسيقى عظيمة ، وحيث ترين طائفة من العظماء ! اؤكد لك **يا دالسى** انك ستستمتعين بوقت عظيم »

وأسرعت **دالسى** الى البيت ،وعيناها تتالقان ، وفى وجنتيها أثر من ذلك الشفق الوردى المبشر بفجر الحياة • وكان اليوم يوم جمعة ، ولم يبق معها من أجر الاسبوع السابق أكثر من نصف ريال •

وكانت الشوارع تزخر بجموع هائلة من الناس ، فى أشد الساعات احتشادا ، وهى ساعة خروج العمال • وكانت أنوار برودواى الكهربائية ساطعة تجتذب الفراش من مئات الاميال فى الظلام المحيط ، تدعوها أن تكوى أجنحتها على زجاج المصابيح،وكان رجال مهندمو الثياب ، لهم وجوه كوجوه الصور التى ترسمها أملاح البحر على الصخور الحمراء فى مساكن الصيادين ، يتلفتون نحو

دالسي ، ويحملقون فيها ، وهي تمر بهم مسرعة لايعنيها من أمرهم شيء • ان مانهاتان ـ زهرة الليل الناضرة ـ كانت شارعة في تفتيح غلائلها الناصعة البياض ذات العطر الفواح •

ووقفت دالسي على حانوت يبيع السلع الرخيصة ، فاشترت وشاحا مطرزا بالوشي الزائف ، بالخمسين دانقا التي كانت تملكها • والتي كان مقدرا لها أن تنفق بأسلوب آخر: خمسة عشر للعشاء وعشرة للفطور وعشرة للغداء ، وعشرة تضيفها الى مدخراتها التافهة ، وتبدد الخمسة الباقية في شراء قطعة من حلوى عرق السوس ، تلك الحلوى التي تورم خدك كأنك مصاب بخراج في ضرس ، وتدوم في فمك دوام هذا الخراج • ان حلوى عرق السوس كانت بالنسبة لها بذخا وسرفها ، وأقرب ماتكون الى القصف • ولكن ماهي الحياة اذا خلت من الملذات ؟

وكانت دالسي تسكن غرفة مفروشة ، وثمة فرق بين غرفة مفروشة في بيت ، وبين نظيرتها في نزل ، وذلك ان السكنى في الاولى لاتتيح للناس الفرصة لان يعرفوا انك جوعان •

وصعدت دالس الى حجرتها ، في الجزء الخلفي من الطابق الثالث ، في منزل بسيط • فأوقدت مصباح الغاز • ويقول لنا العلماء ان الماس أصلب المواد المعروفة ، وهذا ضلال • فان ربات البيوت يعرفن مادة يعتبر الماس بجوارها عجينا ، وهن يضعنها في أفواه المصابيح الغازية ، فيصعد الساكن على مقعد يجاهد في سبيل اخراجها فتحمر أصابعه وتدمى ، ولكن دون طائل • ودبوس الشعر تستعصي عليه كذلك ، ومن أجل ذلك دعونا نسم هذه المادة بالمادة الراسخة •

وكذلك أوقدت دالسي المصباح ، ولنلق نظرة على الغرفة في ضوئه الذى لايتجاوز ربع شمعة •

سرير صغير ، وصوان للملابس ومنضدة ، ومغسل وكرسى ، وتهمة تملك هذه الاشياء توجه الى ربة البيت • فأما ماعداها ، فكان ملكا خالصا لدالسي ، فعلى الصوان صفت ذخائرها وهي عبارة عن أصيص من الصيني المموج بالذهب مهدي اليها من سادي ، وتقويم صادر عن معمل طرشي ، وكتاب في تفسير الاحلام ، وبضع ثمار من الكريز الصناعي مربوطة بشريط وردي •

وأمام المرآة المتجعدة وضعت صورة للجنرال كتشنر وأخرى لوليم مالدون ، وثالثة للدوقة مارلبرو ورابعة لبنفنيوتوسليني وعلى الجدار علقت لوحة من الجبس لشخص يدعى أو • كالاهان

يرتدى فوق رأسه خوذة رومانية • وعلى مقربة منها لوحة زيتية ذات الوان صارخة لطفل مصفر الوجه ، يعاكس فراشة ثائرة ..

وكانت هذه الصور واللوحات هي اسمي ما يصل اليه الفن في رأى دالسي ، وما من شيء أو نقد كان يستطيع زعزعة هذا الايمان •

وكان بيجي على أن يمر عليها في السابعة • فلنتركها تتهيأ للخروج ، ونواجه ناحية أخرى وتمائم أخرى ولكن دون تجريح.

ان **دالسي** كانت تدفع فى غرفتها ريالين كل أسبوع • وكانت تفطر فى أيام العمل بعشرة دوانق تكفى لعمل فنجان من القهوة وسلق بيضة ، على لهب المصباح ،وهى ترتدى ثيابها • وفى صباح يوم الاحد كانت تولم وليمة ملكية فى مطعم قريب على شرائح اللحم والاناناس تكلفها خمسة وعشرين دانقا مضافا اليها عشرة دوانق تنفح بها الخدم • ولما كانت نيويورك تزخر بالفتن التى تغرى بالبذخ والاسراف ، فانها وقت نفسها من هذه الفتن بالتغدى فى مقصف الحانوت كل أيام الاسبوع ، حيث لا يكلف الغداء أكثر من ستين دانقا (ولا يكلف العشاء ا لاريالا وخمسة دوانق)وكانت تنفق على صحف المساء ــ وأرونى واحدا من سكان نيويورك لايقرأ صحيفة يومية ــ ستة دوانق ،وتشترى اثنتين من صحف الاحد بعشرة دوانق ، تطلع فى احداها على نهر الخصوصيات ، وتقرأ الاخرى ، ومجموع ذلك كله أربعة ريالات وستة وسبعون دانقا . ولما كان على المرء أن يشترى ثيابا •••

انى أقر بالعجز عن متابعة هذا الحساب ، ولئن كنت أسمع عن صفقات ملائمة فى الثياب ،ومعجزات تصنع من الخيط والابر ، فانى أشك فيها جميعا •وهأنذا أشرع قلمى عبثا لاضيف الى حياة دالسى شيئا من المباهج التى تمنحها للمرأة كل القوانين المقدسة ، الطبيعية ، غير المكتوبة ، غير المعمول بها ، التى شرعتها عدالة السماء . نعم أن دالسى ذهبت الى مدينة الملاهى مرتين ركبت فيهما الجياد الخشبية ،ولكن بؤسا لحياة تعد مسراتها بمواسم الصيف بدلا من عدها بالساعات •

ولن يحتاج **بيجي** لأكثر من كلمات • ان الفتيات عندما يذكرنه ، كن يصمن السلالة النبيلة للخنزير بوصمة لايستحقها المسكين . وكانت الكلمات المتقطعة التى كان الاطفال يتعلمون فيها التهجى فى كتب الهجاء القديمة تلخص تاريخ حياته كله :

سمين ، فأر ، خفاش ، قط ... فقد كانت له من الفأر روحه ، ومن الخفاش عاداته ، ومن القط نخوته . وكان يرتدى أفخر الثياب ، وله خبرة عجيبة بمعرفة آيات الجوع والحرمان . ولقد ينظر الى الفتاة العاملة نظرة واحدة ، فيحدد لك بالساعة كم مر عليها من الوقت لم تتزود بغير الخبز والشاى . وكان يتسكع فى الاحياء التجارية ، ويتجول فى الحوانيت ، ومعه دعواته المعدة للعشاء ، محتقرا من أولئك الذين يسيرون فى الشوارع وفى أيديهم أعنة كلابهم ، فقد كان يمثل نمطا بعينه من الناس ، ولن البث معه طويلا فان قلمى ليس من النوع الذى يصلح له ، فوق انى لست بنجار .

وفى الساعة السابعة الا عشر دقائق كانت دالسى مستعدة ، ونظرت الى نفسها فى المرآة المتجعدة ، فرضيت عن طيفها .. ان ثوبها الازرق المنسجم على جسدها دون غضون ، والقبعة بريشتها السوداء ، والقفازات النظيفة الا من شيات قليلة ، كانت كلها تتسق ونكرانها اللذات حتى للطعام .

ومرت لحظة نسيت فيها **دالسى** كل شىء الا انها جيلة ، وأن الحياة توشك أن ترفع لها ركنا من قناعها الغامض لترى من ورائه ما تنطوى عليه من عجائب . انها أول مرة يدعوها فيها رجل ، وهاهى ذى مقبلة على لحظة قصيرة من لحظات التجلى والاشراق .

لقد سمعت الفتيات يقلن عن **بيجى** انه متلاف ، فهى اذن على موعد مع عشاء فخم ، وموسيقى شجية ، ورؤية سيدات يخطرن فى ثياب العز ، وألوان من الطعام طالما رأت أفواه الروايات تتلمظ وهن يتحدثن عنها ، وما من شك أن هذه الدعوة ستتكرر .

انها رأت ذات يوم فى معرض حانوت تعرفه حلة حريرية زرقاء ، ولو انها وفرت عشرين دانقا فى الاسبوع بدلا من عشرة ... دعونا نحسب ! أن شراءها يستغرق سنين ، بيد أن ثمة حانوتا لبيع الملابس المستعملة حيث يمكن ...

وسمعت قرعا على الباب ، ففتحته ، فألفت قيمة البيت واقفة تبتسم ابتسامة متكلفة ، وهى تتنسم رائحة الغاز المسروق ، فى تحضير القهوة على **زبالة** المصباح ، وتقول :

ــ « يوجد تحت سيد يريد أن يراك ، يدعى مستر **ويجنس** »

وبهذا الاسم كان بيجى معروفا بين أولئك التعيسات اللائى نظرن اليه نظرة الجد ، فخدعن فيه .

ورجعت دالسى الى الصوان لتأخذ منديلا ، ولكنها وقفت هناك كالصنم ، تعض شفتها السفلى • ونظرت الى المرآة فوجدت دنيا من الاحلام ، رات فيها نفسها أميرة تصحو لتوها من نوم طويل • ونسيت شخصا كان يرقبها بأعين عابسة حزينة جميلة ، شخصا كان هو الوحيد الذى له حق الرضا أو السخط على كل ما تفعل ، فقد كان **الجنرال كتشنر** يشخص اليها بعينيه الساحرتين ، من الاطار المذهب على ظهر الصوان ، ومن صورته الرشيقة ذات القامة الطويلة المنتصبة ، وعلى وجهه الحزين الجميل نظرة تأنيب •

ودارت **دالسى** على عقبيها الى ربة البيت كأنها دمية تتحرك بزنبرك ، وقالت لها بكآبة :

ــ « قولى له اننى لن أذهب ، قولى انى مريضة ، أو قولى ما تشائين ، اخبريه اننى لن أخرج »

وبعد أن أغلقت الباب بالمفتاح ، استلقت على الفراش ، ساحقة قبعتها ذات الريشة السوداء ، وبكت عشر دقائق • ان **كتشنر** كان صديقها الوحيد ، وكان مثلها الاعلى لشهامة الفرسان ، وقد بدأ على وجهه حزن دفين ، وبدا شاربه الجميل كأنه حلم من الاحلام ، واشفقت من تلك النظرة العابسة فى عينيه وان لم تخل من عطف • وكثيرا ما كانت تتخيل انه سيمر بالبيت يوما ما ، سائلا عنها ، وغمد سيفه يقرع حذاءه العالى ، وقد فتحت نافذتها يوما وتطلعت منها عندما سمعت صليل سلسلة حديدية . كان غلام يقرع بها عامود مصباح النور • ولكن أى جدوى وهى تعلم أن كتشنر بعيد عنها فى اليابان يقود جيشه يحارب الاتراك المتوحشين .. ! وتوقن انه لن يخرج اليها من اطاره المذهب ، ومع ذلك فان نظرة واحدة منه ألوت ببيجى هذه الليلة • أجل هذه الليلة ليس الا •

وعندما فرغت **دالسى** من البكاء نهضت وخلعت ابهى حللها وارتدت قميصها الازرق القديم • وعزفت عن الطعام ، وتغنت بأغنيتين ، ثم شغلت بهنة حمراء وجدتها على جانب أنفها ، فلما فرغت منها ، جرت مقعدا الى المنضدة الكسيحة ، وجلست تستطلع حظها فى مجموعة من ورق اللعب القديم •

وقالت فى صوت مسموع : « هذ الشبح الفظيع السليط .. وما نظرت اليه أو نطقت أمامه بكلمة تجعله يفكر فيما ذهب اليه ! »

وفى التاسعة اخرجت **دالسى** من حقيبتهـا علبـة بسـكوت، وزجاجة صغيرة من المربى ، واقامت لنفسها وليمة ، وعرضت على **كتشنر** قطعة من البسكوت عليها قليل من المربى ، ولكنه لم **يفعل** شيئا أكثر من النظر اليها نظرةابىالهول الىفراشة تحوم حوله لو ان الفراش عاشفى الصحراء .

وقالت **دالسى** :

ـ لاتذقها اذا لم تصادفهواك ، ولا تتكلف كل هذا التكلف ، ولا تزجرنى هكذا بعينيك .. أأتراك كنت تتعالى كما تتعـالى اليوم وتصعر خدك كما تفعل ،لو انك كنت تتقاضى ستة ريالات فى الاسبوع ؟ »

واذا أغلظتدالسى القول **لكتشنر** كان هذا نذيرا بالشر ، فلم تلبث حتى بطحت **بنفنيوتوسليني** على وجهه وفىوجهها عبوس شديد ، ولكن عملها هذا لم يكنفوق المعاذير ، فانها كانت تتمثل فيه دائما **هنرى الثامن** ، ولا تنظراليه باعجاب .

وفى منتصف التاسعة ألقت دالسى نظرة أخيرة على مجموعة الصور ، وأطفأت النور ، وأوتالى الفراش،وانها لمحنة أن يأوى المرء الى فراشـه ، فلا يجد منيتمنى له الاحلام الطيبة سـوى الجنرال **كتشنر** ، **ووليام مولدونوالدوقة مارلبرو** ، **وبنفينيـوتو سليني** .

***

ان هذه القصة لم تكتمل ، وستحدث نهايتها بعد ، عنـدما يعود **بيجى** فيدعو **دالسى** الى العشـاء مرة أخرى ، وتكون هى شاعرة بمرارة الوحدة ، ويكونكتشـنر منصرفا عنها بنظراته مصادفة ، وعندئذ ...

لقد رأيت فيما يرى النائم كمـا قلت من قبـل ، انى كنت أقف بجوار ثلة من الملائكة تبدوعليهم سمات العز ، فقبض على جناحى شرطى ، وسألنى ان كنتمن هذه الطغمة ؟

وسألتـه بدورى : « من همهؤلاء ؟ »

فقال : « الا تعلم ؟ انهم أولئك الرجال الذين كانوا يأجرون الفتاة العاملة بخمسة أو ستة ريالات فى الاسبوع ، لتعيش عليها ، فهل أنت من هذه الطغمة ؟ »

قلت : « أنا ؟ كلا وحق خلودك · انى لم ارتكب فى حياتى جرما أشنع من ايقاد النار فى ملجأ للايتام ، وقتل رجل ضرير ، لاغتصب ما كان معه من نقود » ··· !

فى خدمة الحب



« اذا أحب المرء فنه ، فقلما
يشق عليه عمل فيه . »

فى خدمة الحب

اذا أحب المرء فنه فقلما يشق عليه عمل فيه •

هذه مقدمة لقضية منطقية ، وستستخلص منها هـذه القصة نتيجة ، وستثبت فى نفس الوقت أن هذه المقدمة باطلة ، وهو شيء جديد فى المنطق ، ولكنه براعة مألوفة فى التأليف القصصى قد تكون أعرق فى القدم من سور الصين الكبير •

نزح جو لارابى من مستنقعات الغرب الاوسط ، ينبض بالعبقرية فى فن التصوير ، فقد قام وهو فى السادسة بعمل لوحة لمضخة الماء بالقرية يغذ السير على مقربة منها أحـد القرويين ، ووضع اللوحة فى اطار ، وعرض الاطار فى معرض حانوت بقال ، الى جوار « كـوز » من الذرة لم تتـزاوج صفوف الحب فيه كالمعتاد • وفى العشرين سافر الى نيويورك بربطة عنق منتفشـة ، ورصيد مالى ملموم •

وكانت ديليا كاروثرز من اهل قرية عامرة بأحراش الصنوبر ، من قرى الجنوب ، تبهـر أقاربها بما تسويه من هوائل فى الموسيقى ، فتعاونوا على أن يجمعوا لها صبابة من المـال ، لتنزح الى الشـمال وتستكمل هذا النبوغ ، بيد أنهم لم يقدر لهم أن يروا نبوغها يكد ••• ولكن صبرا فهـذا جوهر القصة •

تلاقى جو وديليا فى متحف ضم طائفـة من طلاب الفن والموسيقى ، يتجاذبون الحـديث عن تبـادل الاضـواء والظلال فى الصور ، وعن وجنر ، والموسيقى وأعمال رامبراندت ، واللوحات ، ووالدتتوفل ، وورق الجـدران الملون ، وشوبان وأولنج •

وتحاب جو وديليا ، أو قل اذا شئت أحب كل منهما الآخر ، وتزوجا فى وقت قصير ، فانه ـ كما قرأت فى مطلع القصة ـ اذا أحب المرء فنه ، فمـا من عمل يشق عليه فيه•

وبدأ آل لارابى حياتهما الزووجية فى شقة (١) ••• شـقة منعزلة انعزال المفتاح الصارخ فى أقصى اليسار من لوحة البيان • وكانا سعيدين ، فلكل منهما فنه ، ولكل منهما صاحبـه ، وانى

---

(١) الشقة ـ القطعة المشقوقة من شيء ، وقد استعملت هنا ترجمة للكلمة Apartement

لأهيب بكل شاب ثرى ، أن يبيع ما يملك ، ويتصدق به على الفقراء ويحظى بالسكنى فى شقة مثل هذه مع فنه وديلياه .

ان كل نزلاء هذه المساكن يعززون رأيي ان سعادتهم هي السعادة الحقيقية الوحيدة ، فالبيت السعيد ولو كان جحرا لا يضيق بساكنيه . دع خزائن الملابس تنقلب فيه موائد للبليارد، وطنف الموقد يستحيل الى آلة للتجديف ، والمائدة ذات الاجنحة المتحركة الى غرفة نوم احتياطية ، وحوض الغسيل الى بيان « على الواقف » ودع الجدران الاربعة تتعانق ـ اذا استطاعت ـ فانك ودليليا بين احضانها سعيدان . اما اذا كان البيت على النمط الآخر ، فليتسع وليمتد ماشاء ، وليكن مدخله الجولدن جيت «١» وليكن مشجب القبعات فيه رأس هاتيراس ، ومشجب المعاطف رأس الرجاء الصالح ، وليكن بابه الخلفى شبه جزيرة لبرادور .

وتتلمذ **جو** فى التصوير على **ماجستر** العظيم ـ ولعلك تعرف ماله من ذيوع الصيت . انه يتقاضى أجورا طنانة على دروس جوفاء ، ومن هذا الطنين الاجوف ملأ صيته الآفاق . وكانت **ديليا** تتتلمذ على **روزنستوك** ولا بدانك تعرف شهرته كمقلق أعظم لمفاتيح البيان .

كانا سعيدين سعادة ضافية ، طالت ما بقى معهما فضلة المال . ككل الـ ... ولكنى لن أعمد الى السخرية . ان أهدافهما كانت محددة وواضحة غاية الوضوح . فجو كان عليه أن يصبح قادرا فى أقصر وقت على اخراج لوحات يتلاءم فى مرسمه على الحظوة بشرائها السادة العجائز أصحاب الشوارب الرفيعة والمحافظ المنتفخة . وكانت ديليا على أن تحذق الموسيقى ، وتكبر عليها الى الحد الذى يسمح لها ، بالزوغان من المسرح اذا وجدت المقاصير ومقاعد الصفوف الاولى خالية ، والمضى بزورها الموجع الى مطعم منعزل تتعشى على الجنبرى فيه .

بيد أن أجمل شيء على ما أعتقد كان حياتهما المنزلية فى الشقة الصغيرة ، وتلاغيهما الفياض بالمحبة ، والتبسط بعد الفراغ من دروس النهار ، والعشاء اللطيف والفطور الطرى الخفيف ، وتقارض المطامع التى يشترط فيها الجمع بينهما ، أو لا توضع موضع

---

(١) الجولدن جيت (الباب الذهبى) مضيق فى سان فرانسسكو . وراس هاتيراس رأس ناتىء فى جزيرة تواجه ساحل كارولينا الشمالى .

الاعتبار ، وتبادل العون والالهام ، و ـ وعفوا عن قلة الذوق ـ شطائر الجبن والزيتون المحشو ، في الحادية عشرة من كل صباح •

ولكن الفن لم يلبث أن نكس (١) وهو خليق أن يفعل أحيانا ، ولو لم ينكس رايته ديدبان • كل شيء يذهب وما من شيء يجيء كما يقول الناس •

واعوزتهما اجور السيدماجستر والهر روزنستوك ، ولما كان المحب لفنه لا يشق عليه شيء ، فقد قالت ديليا انها ترى لزاما عليها أن تقوم بإعطاء دروس في الموسيقى حتى يظل الزيت ينش في المقلاة .

وبقيت يومين أو ثلاثة تتصيد تلاميذ ، وذات مساء عادت الى البيت مزهوة ، وقالت في ابتهاج : « لقد وجدت تلميذة يا عزيزي جو . انها ابنة الجنرال ا • ب • بكني في الشارع الحادي والسبعين

ويا له من بيت فخم ، يجدر بك أن ترى بابه الامامي يا جو ، وأحسبك ستسميه بيرنطي الطراز ، أما داخله ، فآها يا جو ، ان عيني لم تقع له قط على نظير »

« تلميذتي هي ابنته كليمنتينا ، وقد شغفتني حبا مذ رأيتها • انها تذوب رقة ، وتلبس البياض على الدوام ، وترف سجاياها بساطة وحلاوة • وهي في الثامنة عشرة لاأكثر • وسأعطيها ثلاثة دروس في الاسبوع • وتصور يا جو ••• عن كل درس خمسة ريالات • وما يهمني الامر البتة ، فعندما أستزيد تلميذاتي اثنتين أو ثلاثة أخريات ، سأستأنف دروسي مع الهر روزنستوك • والآن حل عنك هذا القطوب ياعزيزي ودعنا نستمتع بالعشاء »

قال جو وهو يغزو علبة البازلاء المحفوظة بسكين نحت ومطرقة :

ـ « لابأس في هذا من ناحيتك ، ولكن ماذا يكون من أمري أنا ، هل تحسبينني أتركك تجاهدين للقوت وأنا أحلق لاهيا في سماء الفن ؟ كلا وعظام بنفنيوتوسليني ! أظنني قادرا على كسب ريال أو ريالين كل يوم من بيع الصحف أو رصف الطريق • »

فقامت ديليا فتعلقت بعنقه قائلة :

ـ « جو ياحبيبي انك أحمق • يجب أن تظل في مرسمك • لا تحسبني سأهجر موسيقاي وأشتغل في عمل آخر ، ولكني سأتعلم وأنا أعلم • انني مع موسيقاي على الدوام ، وسنستطيع

---

(١) نكس ـ بالمبني للمجهول ضعف وعجز •

أن نعيش فى بحبوحة أصحاب الملايين على خمسة عشر ريالا فى الاسبوع ، فلا تفكر فى ترك السيد ماجستير • »

قال **جو** وهو يتناول صحن الجنبرى والخضر : « ليكن وان كنت أكره لك اعطاء الدروس ، فما فيه من فن ، وهذا لا يمنع أن عملك هذا آية فى اللطف والشهامة » !

قالت **ديليا** : « اذا أحب المرء فنه فما من عمل يشق عليه فيه •

وقال **جو** : « ان ماجستير قد أثنى على ألوان السماء فى تلك اللوحة التى رسمتها فى المتنزه العام • وقد رخص لى **تنكل** أن أعلق لوحتين فى معرضه ، وقد أبيع واحدة منهما ، اذا رآها أبله ثرى من النوع المناسب » !

قالت **ديليا** بنعومة : « ذلك ما أنا على يقين منه ، فدعنا الآن نقم بواجب الشكر للجنرال بكنى وشواء الكندوز » !

وخلال أيام الاسبوع التالى كلها بكر **آل لارابى** فى الافطار ، فقد كان جو متلهفا على رسم بعض مناظر الصبح بالمتنزه الكبير ، وكان على ديليا أن تهيئه للخروج فى السابعة ، بطينا مدللا مغمورا بالثناء والقبلات • وكانت السابعة فى المساء موعد عودته فى أكثر الايام •

وفى نهاية الاسبوع رمت **ديليا** رمية الظافر ، وبشىء من الزهو الحلو المشوب بالوهن ، ثلاث أوراق مالية من فئة الخمسة الريالات ، على المائدة ذات الثمانى البوصات فى العشر ، والقائمة فى وسط البهو العارى ذى الثمانية الاقدام فى العشرة • ثم قالت فى كلال :

— « ان **كليمنتينا** تضنينى أحيانا ، وأخشى أن تكون قليلة التمرن ، فانى أضطر الى اعادة نفس الشىء لها عدة مرات ، ثم هى لا تفتأ تلبس الابيض من الفرع الى القدم ، فيؤدى ذلك الى ملالة الشىء الرتيب • بيد أن **الجنرال بكنى** ألطف عجوز ، وكم أود لو أنك عرفته **يا جو** ، انه يوافينا أحيانا ونحن على البيان — وهو أرمل كما تعلم — فيقف بجوارنا يشد **عثنونه** الابيض ، ويتساءل على الدوام : وكيف حال النغمات والارباع والاثمان ؟ »

« وليتك ترى هذا الكنار الخشبى فى غرفة الاستقبال ياجو والستائر الاستراخانية على الابواب • ان كليمنتينا تسعل سعلة رقيقة مضحكة ، وآمل أن تكون أقوى مما تبدو • لقد بدأت فى الحق أتعلق بها ، فانها الرقة مجسمة والتربية فى أسمى طراز • ولقد كان أخو الجنرال بكنى يوما ما سفيرا لبوليفيا ! »

وأخرج جو من جيبه أربع ورقات مالية غضة أصيلة ، واحدة بعشرة ، والثانية بخمســة، والثالثة بريالين والرابعة بريال ، أخرجها كما لو أنه **الكونتمونت كريستو** ،وضعها بجــوار أوراق ديليـا وقال فى حماسة : « لقدبعت لوحة المسلة ذات الالوان المائية لرجل من **بيوريا** » .

قالت **ديليا** : « لا تسخر منى . لايمكن أن يكون من بيوريا ! »

ـ « منها من الرأس الى القدم . ليتك رأيته يا ديل . رجل بدين بوشاح من الصوف ، ودبابيس أسنان من الريش . رأى اللوحة فى معرض تنكل ، وظنها لأول وهلة طاحونة هواء ، ومع ذلك فقد أقدم واشتراها على أية حال، وطلب منى أن أرسم له لوحة زيتية أخرى لمخازن لاكوانا الجمركية ، ليأخذها معه وهو عائد الى وطنه ... دروس موسيقية ! هيه ! أظن الفن ما زال خفــاق اللواء ؟ »

قالت **ديليا** فى اخلاص : كم أنا فرحــة بمضيك قدما ، انك لخليق بالفوز أيها الحبيب . ثلاثة وثلاثون ريالا . هذه ثروة لم نملك مثلها من قبل . سنأكل الليلة الجندوفلى !

قال **جو** : وفليتو بالشمبنيون . أين ملقاط الزيتون ؟

***

وفى مساء السبت التالى سبقها جو فى الوصول الى البيت ، فنشر ريالاته الثمانية عشر على المائدة، وغسل مابدا على يديه كمقــدار هائل من الصباغ الاسود .

ووصلت **ديليا** بعد نصف ساعة ، ويدها اليمنى ملفــوفة فى حزمة من الخرق والاربطة .

وسألها جو بعد التحية المألوفة : ماذا حدث ؟

فضحكت **ديليـا** ولكن دون ابتهاج كبير ثم أجابت :

ـ لقد صممت **كليمنتينـا** على أن تأكل قرصا بالجبن مقلية بعد الدرس . انها لفتاة غريبة الاطوار . قرص مقلية فى الخامسـة بعد الظهر . وكان الجنرال هناك، وليتك رأيته يا جو وهو يهرع الى المقــلاة كأن البيت ليس فيه خادم واحــد . وكنت أعرف أن كليمنتينا متوعكة مستوفزة الأعصاب . وبينما أقدم لها القرص أراقت على يدى ومعصمى مقدارا كبيرا من الزيت وهو فى درجة الغليان . وأى ألم أحسسته ياجو ! لقد عبرت الفتــاة الغالية

عن أسفها الشديد ! ولكن الجنرال بكني ، هذا الشيخ العجوز ، لقد كاد يصاب بذهول ، وهبط السلم قفزا فأرسل أحدا ما قيل أنه الفران ، أو لعله شخص آخر في الطابق الارضى ، الى صيدلية ليحضر بعض الزيت وأدوات للتضميد ، وقد هدأ ألم الحرق نوعا ما الآن .

وأمسك **جو** يدها برفق ، وأخذ ينسل بعض الخيوط البيضاء من تحت الضماد ، ثم قال : « ما هذا ؟ »

قالت ديليا : « هذا شيء ناعم نقع في الزيت » ورأت المال على المائدة فقالت : « هل بعت لوحة أخرى يا جو ؟ »

قال جو : « أتظنين ؟ سلي الرجل القادم من بيوريا ، لقد حصل على مخزنه الجمركي اليوم ، وكان مترددا في طلب لوحة أخرى لمنظر على نهر الهدسون . متى حرقت يدك بعد ظهر اليوم يا ديليا؟ »

قالت ديليا في شجن : « أظن الساعة كانت الخامسة . ان المكواة — أعني القرص المقلية خرجت من النار حول ذلك الوقت . ليتك رأيت الجنرال بكني ياجو وهو ... »

قال جو : « اجلسي هنا هنيهة يا ديل » وأجلسها على الكنبة ، وجلس بجوارها ، محيطا كتفيها بذراعه ثم سأل :

— ما الذى كنت تصنعين في الاسبوعين الماضيين يا ديل ؟

وواجهت السؤال بشجاعة لحظة أو لحظتين ، وبعين ممتلئة بالحب والكلال ، وغمغمت جملة أو جملتين عن **الجنرال بكني** ، ولكنها سرعان ما طأطأت رأسها ، وانفجرت من فمها وعينيها الحقيقة والدموع .

وراحت **تعترف** : « لم أستطع أن أحصل على تلاميذ ، ولم أطق أن أراك تتخلى عن دروسك ، فحصلت على عمل لكى القمصان في تلك المغسلة الضخمة بالشارع الرابع والعشرين ، وأحسبنى نجحت في اختراع **الجنرال بكني** وكليمنتينا . ألا تظن ذلك ياجو؟ وعندما وضعت فتاة في المغسلة مكواة محماة على يدى بعد ظهر اليوم ، قضيت الطريق كله في عودتى أزيف قصة القرص المقلية !! أنك لست غاضبا منى ياجو ؟ أليس كذلك ؟ انى لو لم أحصل على هذا العمل فلربما كنت فشلت أنت في بيع لوحاتك لهذا الرجل القادم من بيوريا . »

قال جو في تؤدة :

— انه لم يكن من بيوريا !

ــ وماذا يهم من أين جاء ؟ ما أذكاك يا جو ! قبلنى ، وقل لى ماذا أرابك من دروسى الموسيقية لكيمنتينا ؟

وأجاب جو :

ــ ماخامرنى شك سوى الليلة، ولقد كنت حريا ألا أشك فى شىء ، لولا أننى أنا الذى أرسلت هذه النفايات من القطن والزيت، من غرفة الآلات هذا الأصيل ،لفتاة فى طابق علوى حرقت يدها مكواة . لقد كنت وقادا لهذه الآلات خلال الاسبوعين الماضيين!

ــ كأنك لم ...؟

ــ ان عميلى القادم من بيوريا، هو والجنرال بكنى ، كلاهما مبتكرات لفن واحد ، ومن العسير أن تلحقى هذا الفن بالموسيقى أو بالتصوير !!

وضحك كلاهما ثم قال جو : عندما يهوى المرء فنه فمامن..؟

ولكن ديليا أوقفت بيدها مجرى الالفاظ من شفتيه وقالت :

ــ كلا ... لا يحدث ذلك الا فى الحب »

أحكام الطبيعة



« ان مللى فى قيامها كالغابة البكر الشاسعة من غابات الصنوبر ، كانت خليقة ان تسبى عين قاطع أخشاب »

احكام الطبيعة

رايت فى احد المعارض اول من أمس صورة بيعت بخمسة آلاف ريال . وكان مصورها شابا تافهـا قدم من الغـرب ، يدعى **كرافت** ، له طعام مختار ونظرية محبـوبة : فأما طعامه فايمان طاغ بأن للطبيعـة احكاما فنيالا يخطىء ، وأما نظريته فتدور حول اللحـم المملح بالبطاطس والبيض المسلوق . وكان وراء هذه الصورة قصة ، فعدت الى البيت ، وتركتها تقطر من القلم . ان كرافت هو صاحب الفكرة .. ولكن هذا ليس بداية القصة :

***

منذ ثلاثة أعوام كنا ــ **كرافت وبل جادكنز الشاعر وانا** ــ نأكل كل أكلاتنا فى مطعم سايفر بالشارع الثامن ، فاذا كان معنا نقود «**ابتزها**» منا **سايفر كما** كان يحلو له أن يقـول ، والا دخلنا وطلبنا الطعام وأكلنـا ودفعنا أو لم ندفع . وعلى الرغم من ثقتنا بفظاظة سايفر ، وشدته المتناهية، فقد كنا نؤمن بأن فى قرارة نفسه واحدا من ثلاثة : أميرا ، أو مجنونا ، أو فنانا!. كان يجلس الى درج خشـبى مسوس مغطى بأكوام من فواتير الخدم القديمة، اعتقد أن السفلى منها لابد أن تكون فاتورة الجنبرى الذى أكله **هنريك هدسون** ودفع ثمنه. وكانت لسايفر قدرة، يشاطر فيهـا نابليون الثالث والسمك ذا المنظار ، على تغشية عينيه بغشـاء قاتم يحول بين نافذتى روحه وبين النور. وحدث ذات مرة أن أكلنا وتركنا له تلامن الاعذار بدل النقود ، وتلفت خلفى فوجدته يترنح من ضحك لايسمع خلف نظارته السوداء. بيد اننا كنا ندفع بين الحين والحين مايتراكم علينا من ديون.

على أن الشيء الجوهرى فى مطعم سايفر كان « **مللى** » . وكانت مللى نادلة فى المطعم ، تعد مثلا رائعا على نظرية كرافت فى الاحكام الفني للطبيعة ، فقد خلقت لهذه المهنة ، كما خلقت **منيرفا** لفن الحرب، **وفينوس** لعلم الغزل العنيف . ولو انها صبت من برونز ووضعت على قاعدة تمثال ، لوقفت مرفـوعة الرأس بجوار اشد اخواتها البطلات عراقة رمزا « للكبد ولحم الخنزير فى خدمة العـالم » . وقد خلقت لمطعم سايفر دون سواه ، **وانك**

أتوقع رؤية شبحها الفخم فى كل لحظة يشرق من بين سحب البخار المتصاعد من مقالى الزيت، كما تتوقع رؤية الصخور على ضفاف نهر الهدسون من خلال سحب الضباب ، وبين قتار الخضر وبخار أطنان من لحم الخنزير وما يصحبه ، وصليل الشوك والملاعق والسكاكين ، وصياح الطلبات، وصراخ الجياع، وصخب الناس الكريه وهم يأكلون ، ومايحيط بذلك من طنين الوحوش المجنحة التى ورثناها عن الفراعين، كانت مللى تشق طريقها الرائع كباخرة عظيمة تمخر العباب بين زوارق المتوحشين الصارخين .

كانت آلهتنا هذه ــ الهة الطعام ــ مخلوقة على طراز من الروعة والفخامة ، دون محاكاته أهوال . وكانت تشمر أكمامها الى ما فوق مرفقيها على الدوام . وكان باستطاعتها أن تمسك بنا نحن الفرسان الثلاثة فى يديها ، وتقذف بنا من النافذة الى عرض الطريق . وبرغم أنها كانت تصغرنا جميعا فى السن، فقد كانت من البساطة والانونة بحيث عاملتنا كأم منذ البداية. ومخازن القوت عند سايفر صبت علينا ميازيبها بسخاء ملكى لا يكترث بثمن أو مقدار ، كأن بيديها قرن الخصب الذى لايعرف الفناء . وكان صوتها يرن كجرس فضى عظيم ، وابتساماتها المتواترة تنجلى عن عدد كبير من الاسنان ، وكأنها مطلع الشمس على قمم الجبال، وما رأيتها مرة قط الا ذكرت وادى اليوسوميت فى كاليفورنيا، ولكننى مع ذلك ولامر ما لم أكن أستطيع أن أتصورها الا فى مطعم سايفر، لايمكن أن تحيا فى أى مكان سواه . أن الطبيعة زرعتها هناك ، فثبت أصلها فى الارض ، وشمخت فروعها فى السماء . ولقد بدت عليها السعادة حتى لتقبض دولاراتها القلائل مساء السبت من كل أسبوع بابتهاج الطفل الذى يتلقى هبة لم تكن له فى حساب .

وكان كرافت أول من عبر عن الخوف الكامن الذى خامرنا جميعا منذ حين ، وجاء هذا التعبير عفوا بالطبع خلال حديث كنا نتجاذب أطرافه فى عالم الفنون ، وقارن واحد منا انسجام سيمفونية هايدن مع «دندرمة» القشدة والفستق بالانسجام العجيب الكائن بين مللى ومطعم سايفر .

وقال كرافت :

« ان ثمة قدرا ما معلقا فوق رأس مللى ، فاذا وقع عليها فقد ضاعت منا ومن سايفر ! »

وتساءل جادكنز في خوف !

« أتراها تسمن ؟ »

وقاطعت في قلق :

« ألعلها تذهب الى مدرسة ليليـــة فتتثقف وتســـمو على حياتها الحاضرة ؟ »

قال كرافت وهو يلعب بسبابته في بركة من القوة المراقة :

« الذى أعنيه ما يأتى : لقد ابتلى قيصر ببروتس ، والقطن بالدودة ، والمغنية بالخمر ، ومطلع الصيف بمنبت العشب السام، والبطولة بنوط كارنيجى، والفن بمورجان، والورد ب.. »

وقاطعته بقلق أشد :

« تكلم .. لعلك لا تعنى أن مللى ستبدأ في التطريز ؟ »

وقال كرافت بهدوء :

« سيأتى يوما ما الى سايفرقاطع اخشاب من أصحاب الملايين في ويسكونسن يطلب طبقا من الفول ، وسيتزوج مللى »

وصحنا جادكنز وأنا في فزع : « محال ! »

وأعاد كرافت في جفوة : « قاطع أخشاب »

وتنهدت يائسا : « وقاطع أخشاب من أصحاب الملايين ! »

وزمجر جادكنز : « ومن ويسكونسن .. ! »

واتفقنا جميعا على أن هذا القدر المرعب يهددها ، وقل من الاشياء ما كان أدنى من ذلك الى الاحتمـــال . فان مللى في قيامها كالغابةالبكر الشاسعة من غابات الصنوبر ، خليقـــة بأن تسبى عين قاطع أخشاب . ثم نحن لم تكن نجهل عادات هؤلاء الوحوش عندما ينهل عليهم الثراء . انهم يطفرون رأســا الى نيـــويورك ، فيضعون كل ما يملكون تحت أقدام أول فتـــاة تقدم لهم الطبق في مطعم فول ! ولم لا ، وصحف الاحـــد لم تضع عناوينها الكبرى الا لأمثالهم :

« مضيفة حسناء تظفـــر بقاطع أخشاب مليونير »

وظللنا حينا نشعر بأن مللى على وشك الضياع منا .

وكان يؤجج فينا هذا الشعور حبنا للطبيعة واحكامها الفنى الذى لا يخطىء ، فما كان في اســـــتطاعتنا أن تنزل عن مللى لخشاب ملعون لعنتين : لعنة الغنى ، ولعنة الجهـــالة ! وكنا

نحس رعدة كلما تصورناها فى صوتها العذب، وأكمامها المرسلة، تصب الشــاى فى خيمة قاطع أشــجار ، كلا ! انهـ نتمى الى سايفر والى قتار اللحم ، وعطر الكرنب، والالحان الشجية الفخمة لرنين الاطباق ، وصليل السكاكين ، وجلجلة الموائد .

وكأنما كانت مخاوفنا من مخاوف الانبياء ، ففى تلك الليلة بالذات قذفت علينا البرارى **الرجل** الذى حسبنا المقادير عينته لمصادرة مللى ، اى لمصادرة نظرياتنا فى الاحكام والنظام ، وان كانت آلسكا هى التى تحملت عن ويسكونسن عبء توريد الزائر!

وكنا نتعشى على اللحم والتفاح المجفف عندما خب الى القاعة، كأنه يجرى فى اعقاب صف من الــكلاب ، فيتعثر بمائدتنا ، ثم يقرع آذاننا بحرية ساكن الخيام، زاعما أنه عرف رجالا ضاعوا فى بيوت من الطين . واحتفينا به حفاوتنا بنموذج فذ ، وفى خلال ثلاث دقائق أصبحنا كأعز الاصدقاء .

كان فظا ملتحيــا مغضن الوجه ، وقد وصـــــل لتــوه من القطار كما قال ، وتصورت كأنى أرى أفواج ثلج آلسكا مازالت على منكبيه . ثم راح يغطى المائدة بقطع من الكعك والطير المحنط، وعقود الخرز وجلد عجل البحر، ويلغط بملايينه، التى قدرها «بمليوتين» يضاف اليها كل يوم الف من حصيلة الزمامات . ثم قال :

ــ « والآن اريد بعضا من اللحم والخوخ المحفوظ . اننى لم ابرح القطار منذ بدأت رحلتى، وقد عضنى الجوع، فان الطعام الذى يقدمه لك الزنوج فى البولمان لا يسمن من جوع ، اطلبوا أيها الســادة ما يحلو لكم من الطعام » ...

واشرقت طلعة **مللى** وعلى ذراعها العارى الوف من الاطباق . اشرقت فى ضخامة ، وبيــاض بحمرة ، وفخامة كفخامة جبل **القديس الياس** ، وابتســـــامة كمطلع الفجر فى واد عميق .

ورمى الرجل ما كان بيده من التحف والجـلود كأنهــا زبالة ، ودلى فكه وحملق فيهــا حتى كدنا نتخيل تيجان الالماس على جبين **مللى** ، ونراها ترفل فى حلل الديباج الباريسية الموشاة!!

وفى النهــاية غزت الدودة القطن ، وزحفت فروع العشب السام (على مطلع الصيف) ،وكاد المليونير **الخشاب** ــ المتنكر فى ثياب صاحب منجم فى آلسكا ــ يلتهم **مللى** ، ويقلب الاحكام الطبيعى رأسا على عقب .

وكان كرافت أول من شرع فى اتخاذ اجراءات ، فقد نهض ، وصفق ظهر الرجل ، وصاح :

ـ « تعال ، ولنشرب .. أشرب أولا ثم كل بعد ذلك »

وامسك جادكنز بأحدذراعيه وأمسكت بالآخر ، وسقناه فى مرح ، وصخب ، وبلا فرصة للمقاومة ، كالاصدقاء الحميمين المبتهجين ، من المطعم الى مقهى ، بعد أن ملأنا جيوبه بطيوره المحنطة وكعكه الذى لا يهضم .

وراح يهدر محتجا ولكن فى روح طيبة ، ويقول :

« هذه هى الفتاة التى تليق بغناى ! سادعها تأكل من مقلاتى ما عاشت . ولم لا وعينى لم تقع على أجمل منهـا من قبل ! سأعود واطلب يدها للزواج ، واظنها لن تعود الى حمل هذا الغثاء عندما ترى ما امتلك من أكوام التبر . »

وقال كرافت مغـريا اياه بابتسامة شيطان :

« خذ كأسا أخـرى من الويسكى باللبن! لقد كنت أحسبكم أهل الريف أعمق روحا رياضية »

ونفد فى البار ما كان مع كرافت من مال ضـئيل ، فراح يرسل الى والى جادكنز من عينيه اشارات اسـتغاثة ، حتى انفقنا آخر دانق معنا فى تساقى الانخاب مع الضيف .

وعندما فرغت ذخيرتنا ، ورأينا الرجل ما فتىء ممتلكا بعض وعيه ، لاغطا بمللى من جديد ، همس كرافت فى أذنه بسبة مسمومة مهذبة لاولئك البخـلاء الذين يكتنزون أموالهم بشح ، فراح الرجل يقذف حفنة بعد حفنة من الفضة والورق ، ويطلب كل ما فى الدنيا من خمور ، حتى يدفع عن نفسه هذا الاتهام .

وتم المراد ، واستطعنا بسلاحه هو أن نطرده من الميدان ، ثم بعثناه محمولا على عربة الى فندق بعيـد ، حيث ألقى فى السرير مع كعكه ، وتحفه المصنوعة من جلد عجل البحر الصغير!

وقال كرافت :

« انه لن يعرف طريقه الى سايفر مرة أخرى ، وسيخطب غدا أول فوطة بيضاء تقع عليها عينـه ، فى أى مطعم لبن . وهكذا تنجو مللى . . أعنى احكام الطبيعة ! »

وعدنا الى سايفر نحن الثـلاثة ، ورأينا قلة الرواد ، فشبكنا

أيدينا فى حلقة ، جعلنا مللى مركزها ، ورحنا نرقص رقصة هندية .

حدث هذا كله كما قلت آنفا منذ ثلاثة أعوام . وحوالى هذا الوقت هبت علينا نحن الثلاثة نسمة من الحظ الطيب ، واستطعنا أن نأكل طعاما أغلى من طعام سايفر وان كان أقل جودة ، وضرب بيننا الدهر ، فلم أعد أرى كرافت البتة ، ولم أعد أرى جادكنز الا لماما .

ولكنى رأيت بالامس كماقلت من قبل صورة بيعت بخمسة آلاف ريال ، وكان عنوانها « الملكة الثائرة » ، وكان المنظر الذى أخذت فيه الصورة فى الخلاء . ولكن من بين كل المعجبين الذين وقفوا أمام الصورة مفتتنين بها ، أعتقد انى كنت الوحيد الذى شاقه أن تقفز الملكة الثائرة من اطارها وتحضر لى طبقا من اللحم والبطاطس والبيض المسلوق .

وحثثت خطاى نحو كرافت ، فوجدت أعينه الشيطانية ما فتئت كما كانت ، وشعره أشدتشعثا مما كان ، ولكن ثيابه خارجة من يدى خياط !!

وقلت له :

« ما كنت أعلم »

قال :

« لقد اشترينا بثمن الصورة بيتا فى برونكس ، وتستطيع ان تزورنا فى السابعة من أى مساء »

قلت :

« اذن لم يكن تأليبك لنا على قاطع الاخشاب الالاسكى ، لم يكن مرده كله الى الاحكام الفنى للطبيعة الذى لايخطىء ؟ »

قال كرافت فى عبوس :

« أجل لم يكن كله كذلك » !!

من مقعد السائق



« عروس تحتفل بليلة عرسها
في .. مركز الشرطة ! »

من مقعد السائق

ان « لعـربجي الحنطـور » وجهـة نظر ، لعلها أشـد من مثلها في أية مهنةأخرى ، وحدةفي الهدف ، فهو ينظر من مقعـده المتأرجح العالي الى اخـوانه في البشرية ، نظرته الى الهباءالمنثور، لاقيمة له الا بمقدار مايتسلط عليه من شهوات الطواف والانتقال.

انه سائق وانت بضاعة ليس الا ! لتـكن رئيس الجمهـورية أو صعلوكا من الصـعاليك ، فأنت لست في نظره الا حملا ، يتسلمك من مكان ثم يفرقع بسوطه ويدق عظامك ، ويسلمك الى آخر .

واذا جاء دور الدفع ، وبدر منك مايدل على معرفتك بتسعيرة الاجور ، أدركت المقصود من كلمات الزراية والاحتقار ، واذا وجدت في هذه الاحوال أنك نسيت دفترمذكراتك في العـربة ، وعـدت لتأخذه ، أشعرك بتفاهة خيال **دانتي** عن الجحيم ! !

وليس من النظريات السفيهة أن هذا السائق يستمد وحـدة الهدف وتركيز نظرته الى الحياة من التركيب الخاص للمركبة . **فديك الحظيرة** هذا يجلس كأنه أبو الآلهة في مقعد عال لايشاطره فيه أحد ، ممسكا بمصيرك بين عنانين من الجلد المتموج ، وتجلس أنت كالفأر الواقع في مصـيدة ، مضحكا ، سجينا ، معدوم الحيلة، مهتزا كملك الاراجوز . . . انت يامن كان الخدم يتزلفون اليك على الارض الصلبة ! ولكى تعلن عن رغباتك الهزيلة يجب أن تمد عنقك الى أعلى ، وتصرخ بما تريد خلال كوة ضـيقة في سـقف تابوتك الهـزاز .

فأنت في الحنطور لست نزيلا ولكنك مجـرد « **محتويات** ».. أنت شحنة في سفينة ، والمـلاك الجـالس في الاعالى ــ البحـار القدسى الاعظم ــ يعرف عنوانك عن ظهر قلب .

وحدث ذات ليلة أن تصاعدت أصوات القصف والمرح من العمارة الكبيرة ، المبنيـة بالآجـر ، التي لايفصلها الا باب واحد عن **مقهى ماك جراى للعائلات** . وبدا أن هذه الاصـوات كان مصـدرها مسكن **آل وولش** . وكان الطريق الجانبي الذى تطل عليه العمارة يعج بأشـتات ممن اسـتهواهم الحفل من الجيران ، يفتحون بينهم طريقا بين الحين والحين لرسول يحمل من بضـائع ماك جـراى

مايقتضيه المرح والسرور ، وكان أولئك المتجمهرون يتجاذبون أطراف الحديث دون أن يحاولوا استجلاء ماوراء هذه الوليمة من زفاف **نورا وولش** .

وفى الموعد المضروب تدفق المحتفلون الى الشارع ، فأحاط بهم الضيوف غير المدعوين وتخللوهم ، ومزقت سكينة الليل صيحات الفرح والتهانى والضحكات ، والجلبة المشوشة التى بعثتها قرابين ماك جراى فى هيكل الزفاف .

ووقفت بجوار الطوار عربة **جيرى اودونوفان** ، وكان يدعى بصقر الليل . وما من عربة قط فى مثل نظافة عربته ولمعانها ، غلقت أبوابها على طاقة بنفسج وعروس فى ثوب الزفاف . وحصان جيرى ، وياله من حصان ! اننى لا اتجاوز الواقع اذا قلت لكم انه كان متخوما بالقرطم الى الحد الذى لو رأته عجوز من أولئك العجائز اللائى يتركن أطباقهن دون غسيل ، ويهرعن الى الطريق ليغازلن صبيان المحال .. لابتسمت ، ابتسمت نعم ، عند رؤيتها اياه .

ومن خلال الحشد المتحرك النابض الصارخ ، كان يمكن رؤية قبعة **جيرى** العالية التى هلهلتها الرياح والامطار عدة سنين ، وأنفه الشبيه بجزرة تحيفها الرياضيون المتأنقون من ذرية أصحاب الملايين والمتمردون من الركاب . وسترته الخضراء ذات الازرار النحاسية التى كانت موضع اعجاب جيران **ماك جراى** . وكان من الواضح أن جيرى يتهيأ لممارسة مهنته ، وليحمل «**شحنة**» ، بل ان هذه الصورة يمكن التوسع فيها ، وتشبيه مركبته فى هذه الحالة بعربة خبز ، اذا قبلت شهادة ذلك الشاهد الشاب الذى قال ان جيرى كان « يحمل بلحة من بلح الشام » !

ومن بقعة ما وسط الزحام ، او من بين المشاة على حواشيه ، اندفعت فتاة شابة فوقفت بجوار المركبة ، فتنبهت أعين جيرى ــ **صقر الليل** ــ المدربة ، لهذه الحركة ، فأدار العربة ، دورة ، قلبت ثلاثة أو أربعة من النظارة ، وكاد ينقلب فيها هو نفسه ، لولا أن ثبت قدمه فى محبس صنبور حريق فى الجدار ، وصعد الى مقعده الرسمى زاحفا زحف الملاح على سارية سفينته فى بحر عاصف ، ولم يكد يستقر به ، حتى تحيرت فيه حميا ماك جراى ، فقد راح يتأرجح هادئا على مؤخرة زورقه كما يرفرف العلم الصاعد على ساريته فوق ناطحة سحاب . وقال **جيرى** وهو يقبض على أعنة جواده :

« ادخلى ياسيدتى »

ودخلت السيدة وانصفق عليها الباب ، وفرقع الصوت فى الهواء ، وتفرق الجمهور ، ومضت العربة فى طريقها قدما تذرع المدينة .

ولم يكد **الحصان** المتخوم بالقرطم يستجمع قواه للركض ، ويتغلب على حرونه الاول حتى فتح **جيرى** كوة العربة ، ونادى السيدة فى صوت كصوت مكبر الصوت المشروخ ، حاول أن يتلطف فيه ما يستطيع :

« الى أين تريدين الذهاب ؟ »

وجاء الجواب رخيما مشبعا بالرضى :

« حيثما شئت »

وقال **جيرى** لنفسه :

« انها نزهة اذن »

ثم اقترح عليها كأمر واقع :

« قومى بدورة حول المتنزه العام ياسيدتى ، واستمتعى بنسيمه البارد اللطيف »

وقالت الراكبة فى انشراح :

« كما تريد »

وسارت العربة نحو الافينو الخامس ، فقطعت هذا الطريق الجميل مسرعة ، **وجيرى** فى مقعده يتأرجح مزهوا ، ولكن حميا **ماك جراى** مالبثت أن تقلقت فى بطنه وأرسلت الى راسه مددا جديدا من الابخرة ، فراح يغنى أغنية قديمة ويلوح بسوطه كأنه عصا فنان .

وجلست الراكبة على وسائد المركبة منتصبة القامة ، ناظرة الى الابنية والمصابيح على اليمين والشمال ، وسطعت عيناها حتى داخل مركبة المظللة كنجمتين فى الشفق .

وعندما وصلا الى الشارع التاسع والخمسين كان رأس **جيرى** يدور ، وأعنته تسترخى ، ولكن الجواد لف ودخل باب المتنزه ، وبدأ طوافه الليلى المألوف ، وعندئذ استلقت **الراكبة** على مسند الظهر مفتونة ، وراحت تتنسم الاريج النقى الحلو المتصاعد من الاعشاب والاوراق والزهور . ولما كان الحيوان الحكيم المثبت فى عريش المركبة مدركا لالتزاماته ، فقد طامن من خطوه الى الحد المطلوب ، والتزم الجانب الايمن من الطريق .

وتغلب جيرى على ميله المتزايدللنعاس بقوة العادة ، وأزاحغطاء سفينته المترجرجة على أعراف الرياح ، وسأل السؤال الذى يسأله كل السائقين فى المتنزه :

ـ « أتحبين الوقوف لحظة على الكازينو ياسيدتى ؟ انك تجدين فيه الشراب المنعش ، وتسمعين الموسيقى • كل انسان يعرج عليه » •

قالت الراكبة :

ـ « أظنه يسرنى أن أفعل » •

ووقفوا على باب الكازينو ،وفتحت أبواب المركبة ، وقفزت الراكبة منها الى أرض الكازينو رأسا ، فألفت نفسها ، واقعة فى شباك موسيقى ساحرة ،مبهورة بمنظر خلاب من الاضواء والالوان • ووضع شخص ما فى يدها بطاقة صغيرة مربعةمطبوعة عليها رقم ٣٤ ،وألقت على ماحولهانظرة فوجدت مركبتها على بعد عشرين مترا تأخذ مكانها بين صف من المركبات والعربات والسيارات ، ورأت راقصا عارى الجذع يتقهقرنحوها ، ثم أخذت فأجلست الى مائدة صغيرة على سياج تسلقت عليه شجرة ياسمين •

وتجلى لها أن ثمة دعوة توجه اليها بلا كلمات لتطلب شيئا ما فاستفتت كيسا صغيرا معها بهمجموعة من العملات الصغيرة ، فرخص لها أن تطلب كوبا من الجعة ،وجلست تتنسم وتمتص كل شىء من هذه الحياة الجديدة الالوان والمناظر عليها ، فى هذا المكان الخيالى ، فى تلك الغابة المسحورة •

وجلس على خمسين مائدة أمراءوملكات ، يرتدون أبهى ما فى العالم من حرير ، ويتحلون بأجمل ما فيه من جواهر ، يلقى بعضهم نظرة فضول على عميلة جيرى بين الحين والحين ، فيرون فيها شبحا ساذجا يرتدى ثوباورديا من ذلك النوع من الحرير الذى يطلق عليه من باب الادب اسم الفولار ، ووجها ساذجا تشيع فيه نظرة حب للحياة حسدتها عليه الملكات •

ودار العقرب الكبير فى الساعة دورتين وهى جالسة ، وراح عدد الملكات يتضاءل فى عروشهن شيئا فشيئا ، منصرفات الى مركباتهن الفخمة ، تحملهن وتمضى مقعقعة مدوية على قارعة الطريق ، وتهاوت الآلات الموسيقية الى علبها المكسوة بالجلد المبطنة بالصوف ، وراح الخدم يزيلون مفارش الموائد من حولها ، وكأنما يقولون « اياك نعنى » للشبح الساذج الذى كاد يصبح وحيدا هناك •

ونهضت عميلة جيرى ،واقفة،وأمسكت ببطاقتها المرقومة وقالت فى بساطة :

« أثمة جديد وراء هذه البطاقة؟ »

وأخبرها خادم انها بطاقة مركبتها ، وان عليها أن تسلمها للرجل الواقف بالباب • وأخذها الرجل ونادى على الرقم ، وكان صف المركبات قد تضاءل الى ثلاث فذهب أحدهم وايقظ جيرى النائم فى المركبة ، فتدفقت اللعنات من فمه وصعد الى منظرة القبطان ، وحرك سفينته الى الميناء ودخلت عميلته وانسابت المركبة فى مسالك المتنزه الباردة متخذة أقصر طريق •

وعندما وصل جيرى الى باب المتنزه ، ومضت فى عقله بارقة ادراك على صورة شك مباغت طاف بوعيه الغائم • وخطر فى خاطره شيئان ، فأوقف الجواد ، ورفع غطاء الكوة ، ودلى صوته الآلى من فتحتها كأنه مطمار من الرصاص ، وقال :

ـ « أريد قبل أن أخطو خطوة أخرى أن أرى أربعة دولارات ، فهل معك النقود ؟ » وضحكت العميلة فى نعومة وقالت :

« أربعة دولارات ؟ .. كلا وا أسفاه ؟ كل مامعى دوانق لا تتجاوز ربع ريال » !

وأغلق جيرى باب الكوة وألهب ظهر جواده المتخوم بالسوط • ورغم أن وقع حوافر الحصان غطى على صوت عربدته فانه لم يفرقه تماما ، وراحت اللعنات تتدافع من فمه صارخة ، مزبدة حانقة ، نحو السماء المتلألئة بالنجوم ، وأخذ صوته ينهال على المركبات المارة بجواره فى لؤم ، وفمه يوزع الشتائم بذيئة مختلفة الألوان على كل شىء فى الطريق ، حتى دارى وجهه حياء سائق عربة نقل كان عائدا الى بيته ، فسمع بعض ما قال ، وكان جيرى يعرف الى أى ملاذ يلجأ فى هذه الأحوال ، فمضى اليه راكضا جواده ما استطاع •

ووقف عند بناء يجلل مدخله النور الاخضر ، وفتح باب المركبة على مصراعيه ، وتهاوى الى الارض فى تثاقل ، ثم صاح فى جفاء :

ـ « هيا انزلى .. انت ! »

وهبطت عميلته وما فتئت على وجهها الساذج تلك الابتسامة الحالمة التى أشرقت عليه فى الكازينو ، فقبض جيرى على ذراعها ، وقادها الى مركز الشرطة .. !!

وقال جيرى فى صوته الاجش العامر بأنغام الشكاة والاستشهاد

ـ « هذه يا شاويش راكبة لا •••• »

ثم توقف عن الكلام ومسح بيده معروقة حمراء على جبينه ، وراح الضباب المنبعث من حميا **ماكجراى** ينقشع من عقلـه رويدا رويدا ، فاستأنف في وجوم :

«هذه **واكبة** يا شاويش أريد أن أقدمها اليك ! انها **زوجتى** التى تزوجتها الليلـة فى بيت أبيهـا **وولش العجوز** ، وفى الحق أننا قضينا برهة من الوقت عجيبة ... صافحى الشاويش يا نورا ، وهيا نرجع الى البيت » .. !

وقبل أن تدخل نورا المركبـة تنهدت من أعماق قلبها ، وقالت:

ــ « جيرى ، كم كنت سـعيدة فى هذه الساعات ! »

الباب الأخضر



« ربما تهاوت الى اقدامنـــا
الورقة المكتوبة ، وفيها موعد مع
الحظ السعيد ! »

ألباب الاخضر

هب أنك كنت تتمشى في **برودواى** بعد العشاء ، ولديك عشر دقائق تستـــتغرقها فى تدخين سيجارك ، والمفاضلة بين شهود مأساة مضحكة أو فودفيل حزين، ثم شعرت بيد تقبض فجأة على ذراعك ، فتلفت ، فوقع بصرك على عينين فتانتــين فى وجه امرأة حسناء ، تتحلى بالماس المتـلألىء وتكتسى بالفراء الروسية ، ثم رأيتها تضع فى يدك كعكة ساخنة . وتنتضى مقصا صغيرا تقتطع به من معطفك زراره الاوسط، وتنطق بكلمة واحدة « **متوازى أضلاع** » ثم تهرول على عجل ، الى شارع جانبى ، متطلعة اليك من فوق أكتافها بنظرات رهيبة !

لاشك ان هذه تكون مغامرة صريحة ، فهل تتقبلها ؟ كلا ، فما مثلك من يتقبل مثل هذه المغامرات !! ولعل وجهك يحمر من الضيق ، وقد ترمى الكعكة من يدك خائفا، وتمضى قــدما فى بــرودواى ، تتحسس بخجــل موضع الزرار المقطوع !! ذلك ما ستصنعه ، مالم تكن واحدا من أولئك القــلائل الموهوبين ، الذين لم تمت فيهم بعد روح المغامرة الخالصة ٠

ان **المغامرين** الاصلاء لم يكونوا كثرة فى يوم من الأيام ، وأغلب من تقرأ عنهم على أنهم مغامرون ليسوا فى الأكثر الا رجال أعمال، وفقوا الى اختراع وسائل جديدة، لادراك ماكانوا يطمحون اليه من ذهب أو تصوف أو حب أو كنوز أو تيجان أو جاه ٠ أما المغامر الاصيل فانه يمضى فى طريقــه بلا هدف ولا حساب ليلقى مصيره المجهول ، ويحييه ، ولعل أروع مثل له هو بطل هذه القصة ٠

وما أكثر انصــاف المغــامرين الذين يملأون العين شــجاعة ومهابة ، فهم منذ أيام الحروب الصليبية الى أيام رعاة البقر ، قد أخصبوا فنون التاريخ والقصص ؛ وتجارة الاساطير التاريخية، ولكن كلا منهم كانت له جائزة يجرى وراءها ، أو هدف يصيبه، أو « بلطة » يشحذها أو سباق يسهم فيه ، أو رقم قياسى يصبو اليه ، أو اسم يريد تخليده ، أو مشكل يطمع فى حله ٠٠ ومامن بينهم مغامر أصيل ٠

وفى هذه المدينة الكبرى قلما تجد الغرام والمغامرة التوأمين ،

الا خارجها باحثين عن عشاق أكفاء ، وان كانا لا يفتآن يرنوان الينا خفية ونحن نتجـول فى الطرق ، ويتحـــديان ارواحنـــا بشتى الاساليب .

نرفع أبصارنا فجاة ودون وعي الى نافذة ما ، فنجـد فيهـا وجها كأنه من الوجوه الحبيبة الينا ، أو نسمع في الزقاق النائم صرخة الالم والفـــزع من بيت موصد مهجـــور ، وبدلا من أن ينزلنا سائق المركبـة الى ملاذنا المألوف ، يقف بنا على باب غريب ، يفتحه لنا شخص يبتسم ويدعونا للدخول ، وربما تهاوت الى أقدامنا الورقة المكتوبة نجد فيها موعدا مع الحظ السعيد ، وقد نتبادل لغير ما سبب نظرات المقت او المحبة أو الذعر مع غرباء يسيرون في الزحام . ويسح المطرسحة فاذا تحت مظلتنا وجه ، كأن ابـدر أبوه ، وكأن بني عمه الحـــور والولدان . وفي كل مكان نجد المناديل الهاوية والانامل الداعية والاعين السابية ، وما اكثر آثار المغامرات التى تقـع فى أيدينا مهدرة ، أو موحشة ، أو مذهلة أو خفية ، أو مهلكة ! ولكن القليل منا من يقتنصها ويتبعها ، فقد بلد احساسنا ما يلهب ظهورنا من سياط التقاليد ، وتمر بنا الايام حتى نشرف على نهاية المطاف في حياة آســنة ، ونتلفت وراءنا فاذا كل نصيبنا من دنيا الغرام زواج كأب أو زواجان . وتذكار في شارة من حرير مخبأ في درج مقفل ، ونضال مع المدفأة البخارية يطول ما طالت الحياة .

***

كان **رودلف ســتاينر** مغامرا أصيلا ، وقلما مرت عليه ليلة لم يغادر فيها غرفته باحثا عمـــا يهول ولا يتوقع ، وكان يخيل اليه أن أجمل شيء في الحياة قد يطالعه من وراء أول منعطف في الطريق . وكثيرا ما قادته رغبته في مغازلة المقادير ، الى أغرب المسالك . قضي الليل كله في احدى المحطات مرتين ، وطالما وجـد نفسه ألعوبة في أيدي محتالين مرتزقة أذكياء ! وأضاع ذات مرة ساعته ونقوده في مجازفة شاقة ، ولكن حماسته لم تفتر قط في التقاط كل قفاز ترميه في طريقه المغامرات الحلوة .

وذات مساء كان **رودلف** يتمشى في طريق بحي من الاحياء القديمة بالمدينة ، وقد امتلأ الطـــواران بسيلين من الناس ، سيل العائدين الى منازلهم سراعا ، وذلك السيل القلق من تاركي منازلهم بحثـــا وراء الحفاوة الخداعة للمطاعـم الرخيصة المتوهجة بالنور .

كان المغامر الشاب في مظهره الرائع ، يتمشى بوقار وانتباه ،

ولقد كان يعمل نهاره بياعا فيمتجر للبيانو ، وكان يلبس ربطة عنق ، بدلا من أن يشبكها بدبوس احاطها بحلقة من الـكهرمان ، مكتب ذات مرة الى محرر مجلة يقول له ان كتاب « محنة جيونى الغرامية » كان الكتاب الذى أثر فى مجرى حياته !

وسمع من وراء صندوق زجاجي على الطوار صوت اسنان تصطك بعنف ، وخيل اليه لاول وهلة أن الصوت (الذى أحس له بغثيان فى نفسه) قادم من المطعم الذى وضع امامه الصندوق ، ولكن النظرة الثانية كشفت له عن الأحرف الكهربائية للافتة طبيب أسنان تعلو الباب التالى للمطعم ، وعن **زنجي عملاق** يرتدى معطفا أحمر موشى بصور غريبة ، وبنطلونا أصفر ، وقلنسوة عسكرية ، يوزع بطاقات على أولئك الذين يتقبلونها من الجمهور .

وكانت هذه الطريقة من طرق الاعلان عن **طبيب أسنان** مألوفة لرودلف ، وكثيرا مامر به دون أن ينقص شيئا من ذخيرته ، ولكن **الزنجي** فى هذه الليلة دس بطاقة فى يده بشىء من الدهاء لم يسعه معه الا أن يستبقى البطاقة ، ويبتسم لبراعة صاحبها فى التوزيع .

ولم يكد يسير بضع خطوات حتى نظر الى البطاقة دون اكتراث ، فدهش لها ، وقلبها بين يديه ، فوجد أحد وجهيها أبيض ، وعلى الوجه الآخر كلمتان مكتوبتان بالحبر : « **البـاب الاخضر** » ، وعندئذ وجد رودلف على بعد ثلاث خطوات أمامه رجلا يرمي البطاقة التى أعطاها الزنجي له وهو مار ، فالتقطها رودلف ، فوجد اسم طبيب الاسنان مطبوعا عليها ، هو وعنوانه ، والصيغة المألوفة عن عمل الاطقم ، وتركيب الجسور والتيجان ، والوعود الفخمة بخلع الاضراس دون آلام .

ووقف بياع البيانو المغامر عند الناصية لحظة يفكر ، ثم عبر الشارع ، وارتد مسافة بنـاء واجتاز الشارع من جديد ، ومشى فى غمرة الزحام حتى اتى الزنجي ، ودون أن يظهر أى مبالاة أخذ البطاقة التى قدمت اليه ، وراح يفحص عنها بعد عشر خطوات ، فوجد مكتوبا عليها بنفس الخط الذى كتبت به البطاقة الاولى : « الباب الاخضر » ، ووجد ثلاث بطاقات اواربعا مبعثرة على الطوار متخلفة عن مارة يسبقونه أو يلونه فى الطريق ، وكانت صفحاتها البيضـاء هى الظاهرة ، فقلبها رودلف ، فوجد على كل منهـا الاسطورة المطبوعة عن عيـادة طبيب الاسنان .

لقد كان من النادر ان تشير جنية المغامرة الداهية الى **رودلف** ستانير ، تابعها الاصيل ، مرتين ، ولكنها فى هذه المرة قد فعلت ذلك ، فبدأ البحث فى الحال .

عاد **رودلف** بطيء الخطا الى حيث وقف الزنجي العملاق ، بجوار الصندوق الذى ينبعث منه صوت اصطكاك الاسنان ، وفى هذه المرة لم يعطه الزنجي بطاقة . وعلى الرغم من الزى الصارخ المضحك الذى بدا فيه ، فقد تجلى على الزنجي ترفعه الغريزى وهو واقف حيث وقف يمنح بطاقاته بلطف لمن يشاء ، ويمنعها عمن يشاء ، مترنما كل نصف دقيقة بهمهمة تشبه همهمة قاطع تذاكر الاوتوبيس أو مغنى الاوبرا . وهو لم يضن على **رودلف** ببطاقة فى هذه المرة وحسب ، ولكن خيل لرودلف انه يتلقى من هذا المحيا اللامع الحالك السواد نظرة باردة من نظرات الازدراء .

وأحس المغامر لهذه النظرة بلسعة ، فقد قرأ فيها اتهاما صامتا بالعجز . لقد اصطفاه الزنجي من بين الجمع الزاخر مرتين لتلقى الرسالة التى تنطوى عليها البطاقتان ايا كانت معانيهما الخفية ، وهاهو ذا يحكم على زوحه وذكائه بالقصور عن حمل هذا اللغز .

ووقف الشاب بنجوة من الزحام يزن بنظرة سريعة البناء الذى أدرك أنه مثوى المغامرة المتوقعة ، فوجده يتعالى الى خمسة طباق ، فوق طابق أرضي يشغله مطعم صغير .

وبدا أن الطابق الاول ــ وكان مغلقا حينئذ ــ يحتله متجر لقبعات السيدات أو فرائهن ، وكان الطابق الثاني **عيادة طبيب الاسنان** ، كما بدا من الاحرف الكهربائية المضيئة . ومن فوق هذا الطابق ظهر خليط مشوش من اللوحات فى عدة لغات ، يعلن عن عرافين وخياطين وموسيقيين وأطباء ، وأعلى من ذلك ظهرت الستائر المزركشة وقوارير اللبن البيضاء على أعتاب النوافذ ، لتنبىء عن مواطن السكنى فى البناء .

وبعد أن انتهى **رودلف** من هذا التحرى اندفع الى السلم الحجرى يصعده وثبا الى داخل البناء ، ثم اجتاز طابقين على الدرج المكسو بالبساط ، ثم وقف على بسطة الثالث فوجد الممشى المؤدى الى الردهة ينيره قنديلان ضئيلان من قناديل الغاز ، احدهما وأبعدهما على يمينه وثانيهما وأقربهما على اليسار ، فتطلع نحو القنديل القريب ورأى تحت هالة نوره الشاحب **بابا أخضر** . وتردد لحظة خيل اليه فيها أنه يرى لمحة الاستهزاء الساخرة منه على وجه

الزنجي موزع البطاقات ، فاندفع الى الباب الاخضر ، ونقر عليه .

ومثل هذه اللحظات التى مرت عليه فى انتظار الجواب ، تحدد ماتنجاب عنه المغامرة الاصيلة من تدافع الانفـــاس ، فأى هـول يســـتحيل خلف هـذه الالواح الزجاجية الخضراء ؟ ألا يمكن أن يكون وراءها مقامرون يلعبون ، أو محتالون يتأنقون فى وضـع الطعم داخـــل . ل الختــل والخداع ، أو جمال تسبيه الشجاعة فيضع من الخطط ما يجذبهـــا اليه ، أو خطر ، أو موت ، أو غرام ، أو يأس ، أو سخرية ؟.. ان أى شىء من هذه الاشياء قد يستجيب لنقرة المجازف عـــلى الباب .

وسـمعت من وراء البـــاب خشخشة ضئيلة ، تلاها انفتاح الباب ببطء عن فتاة دون العشرين ، ممتقعة اللون ، متهالكة ، لم تلبث أن تراخت قبضتها على أكرة الباب ، وترنحت اعياء ، فمـدت احدى يديها تتلمس العـون ، وتلقاها رودلف ، وأرقدها عـلى كنبة رثة بجوار الجدار . ثم أغلق الباب ، والقى نظرة سريعة على الحجرة تحت ضـــوء ذبالة راقصة فى مصباح من مصابيح الغاز ، وارتد اليه بصره حاملا قصة فقر مدقع ، ولكنه نظيف .

ورقدت الفتاة هامدة كأنها فى غاشية اغماء ، وأجال رودلف بصره فى الغرفة بقلق باحثا عن برميل ، فان النـــاس يجب ان يدحرجوا فوق برميل اذا أصيبوا . . كلا ، كلا ، فانما يكون ذلك للغرقى من الناس . وراح يروح عليها بقبعتـــه ، فأفاد ذلك ، اذ انه أصاب أنفها بحافة القبعـــة الصلبة ، ففتحت عينيها ، ولم تكد تفعل حتى أحس الشاب ان وجهها كان هو الوجه الناقص فى متحف الصور الحبيبـــة بفؤاده الولهان . هذه العيون السنجابية الصريحة ، هذا الانف الصغـير الاذلف (١) ، هـــذا الشعر الكستنائى الذى تنعقص جدائله كمدادات الكروم ، هذا كله بدا له كأنه نهاية حلوة ومكافأة طيبة لكل مغامراته الساحرة :

ونظرت اليه الفتاة فى هدوء ثم ابتسمت ، وسألته فى اعياء :

ــ العلى أغمى علي؟ ومن ذا الذى لا يغمى عليه ؟ حاول أن تعيش ثلاثة أيام بلا قوت من أى نوع كان ، وانظر مايكون . ؟ »

وقفز رودلف من مجلسه وهو يقول : « انتظرى حتى أعود » .

واندفع من البـــاب الاخضر كالسهم ، ومنه الى السلم ، ولم يمض الا عشرون دقيقة حتى عاد ، يدق الباب ببوز حذائه لتفتح له .

---

(١) ذلف الانف صغر واستوت ارنبته .

وكان يحتضن بين ذراعيه مجموعة أشياء من المطعم والبدال ، وضعها على المنضدة ، من خبز الى زبدة ، الى لحوم باردة ، الى كعك الى فطائر ، الى مخللات ، الى جمبرى ، الى دجاجة مشوية ، الى زجاجة حليب الى أخرى ممتلئة بالشاى الساخن .

وقال **رودلف** هادرا :

« انه لمضحك ، أن تعيشى بلاطعام . يجب أن تكفى عن عمل رهانات اختيارية من هذا القبيل . هيا الى العشاء » !

وساعدها على الجـلوس فى مقعد بجوار المائدة ، وتساءل :

« أثمة كوب للشاى ؟ » فأجابت : « على الرف بجوار النافذة »

وعندما عاد بالكوب ألفـاها تقضم بشراهة قطعة من المخلل اصطفتها من الكيس بغريزة المرأة التى لا تخطىء ، فخطفها منهـا ضاحكا ، وملأ لها الكوب بالحليب ، وقال فى لهجة الآمر :

« اشربى هذا أولا ، ثم تشربين بعده قليلا من الشاى ، وتأكلين جناح الدجاجة . واذا سـلكت سلوكا حسنا فستحظين بقطعـة مخلل فى الغد ، والآن اسمحى لى أن أكون ضيفك وهيـا الى العشاء » !

وسحب كرسيا آخر وجلس عليه . وجلا الشاى أعين الفتاة وأعاد الى وجنتيها بعض الحمرة ، وراحت تأكل بالشراهة الفاتنـة التى تتجلى على وحش محروم . وبدا عليها انها تنظر الى وجود صاحبها الشاب وعونه اياها كشىء طبيعى ، لا تهوينا من شأن التقاليد ، ولكن عمل شخص يمنحه كربه الحق فى تنحية الزيف واطاعة الغريزة ، ولكن عندما عاودتها القوة والرضا ، عاودها معها رويدا رويدا شعورها بأمالى التقاليد ، فراحت تروى له قصتها الصغيرة ، قصة واحدة من آلاف تتثـاءب عنهن المدنية كل يوم ، **قصـة بائعة المتجر** ذات الأجر الطفيف ، الذى تهيض منـه الغـرامات ، لتزيد من أرباح صاحب المتجر ، والوقت الذى يعصف به المرض ، ثم فقدان الوظيفة ، وضيعة الامل ، ثم .. نقرة المغامر على الباب الاخضر .

لكن القصة بدت **لرودلف** فى روعة الالياذة ، أو « محنة جيونى الغرامية » ! فهتف بها :

ـ « لا أستطيع أن أتصور كيف احتملت كل هذا ! »

قالت الفتاة بهدوء : « لقد كان ذلك أمرا مروعا ! »

ــ « ومالك في المدينة من أقارب أو أصدقاء ؟ »

ــ « كلا على الاطلاق ! »

قال رودلف بعد صمت قصير:

ــ « انني كذلك وحيد » ..

وردت الفتاة على عجل : « ان ذلك يفرحني ! »

ولأمر ما اغتبط الشاب لسماعه منها أنها فرحة ليتمه في الحياة!

وتراخت أجفانها فجأة ، وتنهدت من أعماق قلبها ، وقالت :

« ان النوم يغلبني ، وإشعر أني في خير حال » ...

فنهض رودلف وتناول قبعته وقال :

« اذن أقول لك طاب ليلك ،فانك في حاجة الى نوم طويل ! »

ومد يده اليها فصافحتها وقالت :

ــ « سعدت مساء ! »

ولكن عينيها عبرتا بفصاحة وصراحة وضعف عن سـؤال ، أجابها هو عليه باللفظ فقال :

ــ « اجل . سأقدم اليك غدا لأرى كيف تصبحين .. ان تخلصك مني لن يكون من السهولة بمكان » !

وعندما وصل الى الباب سألته « كيف حدث أنك قرعت بابي؟» كما لو أن مجيئه كان أهم في نظرها من الوجه الذي عليه جاء!

وتطلع اليها برهة تذكر فيها البطاقات ، فأحس لذكراها بلذعة غيرة مباغتة ، وساءل نفسه :« ماذا لو حدث أن وقعت نفس البطاقات في يد لصاحبها من روح المغامرة ماله هو ؟

فقرر على عجل أن يخفي عنها الحقيقة ، وأن يتركها جاهلة الى الابد بادراكه لتلك الحيلة الغريبة التي دفعها اليها كربها الشديد ، فقال :

ــ « ان واحدا ممن نستخدمهم لضبط الاوتار يعيش في هذا البناء فطرقت بابك على أنه بابه » !

وكان آخر شيء رآه في الغرفة قبل أن يغلق عليها الباب الاخضر هو ابتسامتها .

ووقف عند رأس السلم ينظر حائرا الى ماحوله ، ثم قطع الممشى الى آخره ، وعاد فصعد في السلم الى الطابق التالي ليكمل دائرة بحثه الغامض ، فوجد كل باب مر به مطليا باللون الاخضر .

وهبط الى الشارع متحيرا فوجد الزنجي الغريب الزى واقفا حيث كان ، فوقف رودلف أمامه وبيده البطاقتان ، وسأله :

ـ « هل يمكن أن تخبرنى لماذا أعطيتنى هذه البطاقات ، وما هو المقصود منها ؟ »

قال الزنجي وهو يشير عبرالشارع :

ـ « هذا هو المقصود ياسيدى ، ولكن أظن الفصل الاول قد فاتك الآن ! »

وتلفت رودلف الى حيث أشارالزنجي ، فرأىفوق مدخلمسرح للتمثيل لوحة مكتوبا عليها اسمالرواية بأحرف من نور :«الباب الاخضر » .. !!

واستأنف الزنجي يقول :

« لقد قيل لى انها مسرحية راقصة منأبدعطراز.، وقد منحنى مخرجها ريالا لتوزيعبعضبطاقاتالاعلان عنها مع بطاقات الاعلان عن الطبيب . هل تريد ياسيدىبطاقة من بطاقات الطبيب ؟ »

ووقف رودلف عند قمة الشارع الذى يعيش فيه فشرب كوبا من الجعة فى مطعمواشترى سيجارا ، وخرج من المطعم بسيجاره المشتعل ، فزر معطفه،وأزاح قبعته الى قفاه ، وقال بجلال يخاطب قائم مصباح الشارع القريب :

ـ « أنا موقن مع ذلك أن يدالمقادير هى التى مهدت لى سبيلى اليها » ...

ومثل هذا القرار فى مثل هذهالظروف يعطى رودلف ستاينر الحق فى أن يسلك فى سلكالعشاق المغامرين عن يقين .

أخوات الرحمة



« أيتها الاقدار العزيزة ، لاتمنحينا مالا ، ولا شهرة ، ولا رياسة ، ولا شعرا جديدا فى رؤوسنا الصلعاء . وبدلا من أى منها ، اجعلينا نطوى الزمان القهقرى ونستعيد نتفة صغيرة من رحلة عرسنا فى شهر العسل »

اخوات الرحمة

كانت سيارة الرحلات ذات الطابقين على وشك القيام ، وركابها الاعلون المرحون قد بواهم مقاعدهم قيم السيارة المهذب ، وكان الشارع الجانبي الذي وقفت فيه السيارة يعج بهواة النزهة الذين وقفوا يتطلعون الى زملائهم ، مبرهنين على صواب القانون الطبيعي الذي يقول أن كل كائن حي على وجه الارض ، فريسة لكائن آخر .

ورفع الدليل المذياع ، أو قل آلة التعذيب ، وراح باطن السيارة يخب ويوضع كأنه قلب مدمن القهوة ! وأخذ الركاب الاعلون يلتصقون بمقاعدهم خشية السقوط ، وصرخت سيدة تطالب بأنزالها الى الارض . ولكن اليكم — قبل أن تقوم السيارة — ديباجة ستجلو لكم صفحة ممتعة من **رحلات الحياة** .

ان الرجل الابيض يتبين الرجل الابيض بغابات افريقيا في مثل لمح البصر ، والام ووليدها يتبادلان التحية الروحية في سرعة وثقة ، والكلب وسيده سرعان ما يتفاهمان عبر الخليج الضيق الذي يفصل بين الانسان والحيوان ! وما أوجز وأذكى تلك الرسائل الخاطفة التي يتبادلها العاشقان ! ولكن كل هذه المناسبات لاتبعث الا تيارا بطيئا متسكعا من التعاطف وتبادل الخواطر ، اذا قيست بمناسبة سترفع سيارة الرحلات عنها الستار ، فستعرف منها (ان لم تكن عرفت بعد) كيف يتواصل في مثل خطف البرق قلبان اثنان ، من بين قلوب أهل المعمورة ، جمعت بينهما المصادفة وجها لوجه .

***

دق الجرس ، وتحركت السيارة بعظمة ، نحو وجهتها التثقيفية المرسومة .

وجلس في المقعد الخلفي الاعلى **جيمس وليامز** — من ولاية ميسوري — هو وعروسه .

وأرجوك أيها القارىء أن تمسك بهذه الكلمة الاخيرة ، التي هي الكلمة العليا في ربيع الحب والحياة . فأن العروس هي عبير الزهر ، ومجاج النحل ، وأغرودة البلبل ، والقطرة الاولى من طل الربيع ،

وشذى قشدة الليمون على كوكتيل الوجود . ان الزوج تقدس ، والام توقر ، ورفيقة الصيف تستطاب ، ولكن الخطيبة هى بين هـــدايا الزفاف ، الشيك المضمون الذى ترسله السماء عندما يزف الرجل الى الفناء !

ومضت السيارة فى طريقها ، ووقف ربان هذه النســـافة الفخمة على مرقبه ، يصف لركابها مشاهد المدينة الكبيرة من خلال بوقه ، وراحوا يستمعون ، فاغرى الافواه ، مفتوحى الآذان ، لاوصافه وهى تهدر أمام ابصارهم هدير الصواعق ، ثم يستجيبون بأعينهم لتراتيل المذياع ، مذهولين ، حالمين ، مشوقين .

. . . .

ولكن دعونا نلقى نظــرة على **مسز جيمس وليامز** ، التى كانت تدعى قبل زفافها **هاتى تشالمرز** ، وكانت أجمل فتاة فى قريتها . فقد ارتدت ثوبا سماويا ، فزانتــه ، وأعارها الورد حمرة الوجنات ، أما البنفسج ، فشــكرا ... ان عينيها ليست فى حاجــة اليه .

وكان شريط من الحرير مربوطا تحت ذقنها ، كأنما يمسك القبعة فى مكانها ، ولكنك تعلم كما أعلم ، أن دبوس القبعة كان يؤدى هذه الوظيفة .

وعلى وجه **مسز جيمس وليامز** كانت ترتسم مكتبة صغيرة حافلة بأجمــل مافى الدنيا من خــواطر مكونة من ثلاثة مجلدات ، يحتوى المجلد الاول منها على اعتقادها فى أن **جيمس وليــامز** لابأس به ، والثانى على مقال عن الحياة كمكان ممتاز ، والثالث يعبر عن يقينها أنهما وهما يجلسان فى أعلى مقعد من هذه الســيارة الفخــمة كانا يقومان بسياحة تجل عن الادراك !!

ولعلك تكهنت بأن **جيمس ويليامز** كان فى الرابعة والعشرين ، وقد يسرك أن تعلم أن تقديرك قــد أصاب غاية الســداد ، فقد كان عمره ثلاثة وعشرين عاما ، وأحد عشر شهرا ، وتســعة وعشرين يوما ، بالتحديد ، وهو ربع القامة ، نشــط ، عريض الفــك ، دمث الطباع ، ناجح فى عمله ، وفى شهر العسـل ... !

***

أيتها الاقدار العزيزة : لاتمنحينا مالا ، ولا شهرة ، ولا رياسة ، ولا شعرا جديدا فى رؤوســـنا ، وبدلا من أى منها ، اجعلينا نطوى الزمان القهقرى ، ونستعد نتفة صغيرة من رحلة عرسنا فى شهر العسل ، ولو ساعة منها أيتهــا الاقدار ، لعلنا نتذكر منظر العشب

والشجر ، ونرى من جديد شريط القبعة الحريرى تحت ذقن العروس ، حتى لو كان مايمسك القبعة هو الدبوس . تقولين انك لا تستطيعين ؟ ليكن ! وحسبنا أن نتبع هذه السيارة اذن ...

***

كانت تجلس أمام **مسز جيمس ويليامز** فتاة ترتدى سترة فضفاضة حمراء ، وقبعة من القش محلاة بالاعناب والورود ، وما أقل مايتاح لنا الحصول على العنب والورد معا ، واأسفاه ، الا فى حوانيت قبعات السيدات وفى الاحلام . وكانت هذه **الفتاة** شاخصة الى المذيع بعيونها الواسعة الغريرة الزرقاء ، وهو يعلن بصوته الهادر عن رأيه فى أن أصحاب الملايين فئة يجب أن نهتم بأمرهم ، فأذا سكت لحظة عمدت الى نوع من الفلسفة فى شكل قطعة من اللبان ..

وجلس على يمين هذه الفتاة شاب يقارب الرابعة والعشرين ، ربع القامة ، نشط ، عريض الفك دمث الطباع . ولكن اياك وان تشابهت الصفات بينه وبين **جيمس وليامز** ، ان تظنه قرويا مثله ، فأن هذا الرجل ينتمى الى الشوارع الوعرة ، والنواصى المظلمة ، وينظر حواليه بعين متحفزة ، كأن بينه وبين الارض التى تطؤها أقدام المارة ثأرا ، وهو يتطلع اليها من مقعده الرفيع .

وبينما ينبح المذياع بما يصف المذيع من مشاهد ، دعونى أهمس فى آذانكم ، راجيا أن تستمسكوا جيدا بالمقاعد ، لان أمورا هامة توشك أن تحدث ، ثم تبتلعها المدينة الضخمة كأنها ورقة من شريط أخبار ذرتها الرياح !!

ان **الفتاة** ذات السترة الحمراء تلفتت خلفها لترى زملاءها الذين يشغلون المقعد الخلفى الاخير ، فقد فرغت من دراسة كل الركاب الآخرين .

تلاقت عيناها بعينى **مسز جيمس وليامز** ، وفى مثل ارتداد الطرف تبادلت الاثنتان كل مامر عليهما فى الحياة من تجارب ، وقصص، وآمال وأوهام. وتذكر أن ذلك كله حدث فى تجاوب النظرات لا اكثر ، أو دون ألفاظ ، وفى لمحة لاتسمح لرجلين أن يشهرا فيها سلاحيهما للمبارزة ، أو يستعير فيها أحدهما من الآخر عود ثقاب

وانحنت العروس على زميلتها، وتبادلتا سيلا متدفقا من الالفاظ، تحرك فيه اللسانان بسرعة لسانى حيتين — والتمثيل مع الفارق

بطبيعة الحال ــ واختتم الحديث بابتسامتين وعدة هــزات من الرؤوس .

وفى هذه اللحظة وقف **رجل أسود الثياب** امام السيارة فى الطـريق العام ، وقد رفع يده يستوقفها ، ولحق به من منعطف الطريق رجل آخـر . وسرعان ماقبضت **الفتاة** ذات القبعة المحلاة بالفاكهة على ذراع رفيقها ، وهمست همسة فى اذنيه ، فبرهن **الشاب** على قدرته على التصرف عفو الخاطر ، فقد تضاءل فى مقعده ، ثم انزلق على حافة السيارة ، وتعلق منها بخفة مقدار لحظة ، ثم اختفى . ورآه قرابة ستة أشخاص من ركاب الطابق الاعلى ، وهو يقوم بهذه الحركة ، فدهشوا ، ولكنهم لم يقولوا شيئا ، لانهم حسبوا من اللياقة الا يبدوا الدهشة مما لعله يكون طريقة عرفية للنزول من السيارة فى هذه المدينة المربكة .

وتستر السائح الآبق وراء عربة ، ثم اختفى كورقة جرفها التيار ، بين عربة أثاث ، وعربة زهـور .

وعادت **الفتاة** ذات السترة الحمراء فتلفتت نحو **مسز جيمس وليامز** ، ونظرت الى عينيها ، ثم اعتدلت فى مجلسها كأن لم يكن شيء ، فى الوقت الذى وقفت فيه السيارة عندما رأى السائق بريق شارة الشرطى ، يلمع تحت معطف الرجل الذى وقف فى الطـريق بملابسه المدنية .

وقال **المذيع** للشرطى : « ماوراءك ؟ » .

قال **الشرطى** آمرا : « أوقف السيارة دقيقة ، ان على ظهرها رجلا نطلبه ، وهو لص من فلادلفيا يدعى **بنكى ماكجواير** ، وها هو ذا على المقعد الخلفى » ثم التفت الى زميله قائلا : « عليك أن تذهب الى مؤخر السيارة ، **يادونوفان**»

ومضى **دونوفان** الى مؤخـر السيارة ، وثبت عينـه على **جيمس وليامز** . ثم قال فى انشراح : « هيا أيها المقامر العتيد ، لقد وضعنا أيدينا عليك ، هيا لتعود من حيث جئت ، انها فكرة لابأس بها أن تختبىء فى سيارة رحلات ، وسأتذكر هـذه الطـريقة فى المستقبل .. »

وقال **المذيع** من مذياعه فى صوت لطيف :

ــ من الخير لك أن تنزل ياسيدى لتشرح موقفك ، فأن على السيارة ان تمضى فى رحلتها » .

لقد كان **جيمس وليامز** عاقلا ، فأتخذ سبيله بين الركاب فى خطوة

وئيدة، حتى وصل الى مقدم السيارة فهبط السلم ، وتبعته عروسه ، ولكنها قبل ان تنزل ، تلفتت الى الخلف ورأت السائح الفار يتسلل! من خلف عربة الاثاث ، ويختفى وراء شجرة على حافة المتنزه الصغير وعلى بعد لا يزيد على عشرين مترا ...

وعندما هبط جيمس وليامز الى الارض واجه مطارديه بابتسامة وهو يفكر في القصة الطريفة التى سيقصها على أهل قريته ، عن الاشتباه فيه كلص ، وتريثت السيارة هنيهة واحتراما لرغبة ركابها ، الذين ماكان يمكن أن يشوقهم شيء أكثر من هذا المنظر!

وقال جيمس بهدوء حتى لا يكدر خواطرهم :

اسمى جيمس وليامز وأنا من كلوفرديل بولاية ميسورى ،ومعى رسائل تثبت أن ... »

وقال الرجل ذو الثياب المدنية:

ـ «تفضل بمرافقتنا فان أوصاف بنكى ماكجواير تنطبق عليك ؟ انطباق القميص الضيق . ولقد رآك مخبر على هذه السيارة فى المتنزه الكبير ، وطلب منا بالتليفون ان نحتجزك ، فان كان لديك دفاع فاحتفظ به حتى نصل الى المركز» .

وتطلعت اليه عروسه ـ عروسه التي لم يمض على زفافها اليه اسبوعان ـ وملء عينيها اشراق صاف عجيب ،وعلى وجنتيها حمرة لطيفة ، ثم قالت له وجها لوجه : « اتبعهما فى هدوء يابنكى ، ولعل ذلك يكون فى صالحك .»

وعندما تحركت السيارة ،تلفتت اليها ،وارسلت الى شخص ما فى مقعد من مقاعدها الخلفية قبلة فى الهواء ...

وقال دونوفان :

ـ« ان زوجتك تمحضك النصح ياماكجواير ، فهيا بنا الآن . »

وعندئذ جن جنون جيمس ويليامز ،فدفع قبعته الى آخر قفاه ، وقال فى غيظ وحنق : "

« ان زوجتي تحسبني لصا ،وما عرفت عنها الجنون قط ، فلا بد أن أكون الآن المجنون ! ولئن كنت كذلك فلن يصنعوا بى شيئا ان قتلتكما كليكما فى ثورة جنون ! »

ونشط الى مقاومة القبض عليه ولجأ الى العنف ،فانطلقت الصفافير تستغيث ، وتهاوى رجال الشرطة من كل مكان، بعضهم يقبض عليه والآخرون يفرقون الجمع الحاشد من المتفرجين .

وفي مركز الشرطة ، ســـأله الجاويش المنوب عن اسمه . وكان جوابه :

« ماك دودل الاحمر ، أو بنكي الشرير فقد نسيت بأيهما سميت، وتستطيع أن تثق بأني لص ،وإياك ان تنسى ، ويمكن أن تضيف ان القبض على بنكي قد تطلب خمسة من الشرطة ، فان لى رغبة خاصة فى أن تظهر هـــذه الحقيقة فى السجلات • ــ »

ولم تمض الا ساعة حتى جاءت مسز جيمس وليامز مع عمها توماس المقيم بأحـد الاحيـــاء الفخمة فى نيويورك ، يركبان سيـارة فاخرة ، ومعهما الادلة الدامغـة على براءة البطل ، فالعالم أجمع يحب أن يختتم الفصل الثالث من أمثال هذه المسرحيات العنيفـــة بسيارة فخمة على الدوام •

وبعد أن وبخ المحقق جيمس وليامز بشدة على تقليـده للصـ مسجل ،وأفرج عنه بأكرم اسلوب يمكن أن يتبع فى مركز ،أعادت مسز وليامز القبض عليه،وانتحت به جانبا ،فنظر اليها جيمس وليامز بعين واحدة ،فقد أغلق دونوفان الأخرى عندما تعلق احد الشرطة بذراعه اليمنى ، ومـا كان حتى اليوم قد وجه اليها كلمة زجر او وتأنيب • وقال لها فى حدة :

ــ « ألك أن تفسرى لى كيف••• »

فقاطعته قائلة : « استمع الى ياعزيزى ،انها ساعة ألم ومحنة لى ولك ،ولكنى صنعت ما صنعت من أجلها ،أعنى الفتاة التى كلمتنى فى الســـيارة . لقــد كنت من السعـادة بوجودى معك ياجيـم بحيث لم أجرؤ أن أضن بالسعادة على امرأة اخرى • جـيم انهمـا تزوجا هذا الصباح ،هذين الاثنين، ورغبت فى نجاته ، وعندما كان رجال الشرطة يتعاركون معك ،رأيته يتسلل من خلف الشجرة التى اختبأ وراءها ، ويركض عبر المتنزه على ملأ الانظار ، وهذا كل شىء ياعزيزى ، فلقد كان لزاما على أن صنع ما صنعت • »

***

وهكـذا تعـرف كل عروس أختها الواقفة فى مسقط الضوء الذى لا يسطع الا مرة فى حياة المرء ، ولوقت قصير ! ان الرجل منا لا يدرك أنه فى عرس الا عندما يرى اكليل الزفاف،ولكن العروس تعـرف أختها فى ومضة عـين ،فيسرى بينهما تيار من الرضـا والتفاهم ، بلغة لا يفقهها رجل ولا تدركها أرملة •

غرام سمسار



« فى عواصـــف البورصـــة
وانهياراتها وبراكينها ، خفق للحب
قلب سمسار . »

غرام سمسار

سمع بتشر كاتم الاسرار فى مكتب هارفى ماكسويل سمسار البورصة ، للمنحـــة من لمحات الاهتمام والدهشة ، أن تشيع فى محيـاه المجرد من كل تعبير ، عندما اقتحم مخدومه المكتب فى منتصف الســاعة التاســعة ، مصـحوباً بكاتبـــة الاختزال الشــابة ، واندفع ماكسويل الى مـكتبه كمن يريد أن يقفـز من فوقه ، وهو يقول فى اقتضـاب ظاهر :

ـ « صباح الخير يا بتشر ».

ثم ذاب فى تل الرسائل والبرقيات التى كانت فى انتظاره على المكتب.

لقد كانت السيدة الشـابة تشـغل وظيفة الـكاتبة المختزلة لماكسويل منذ عام ، وكانت جميلة جمـــالا لا صلة بينـــه وبين فن الاختزال بالتأكيد ! كلا ولم يكن مستمدا من أبهة الزينـــة أو التجميـل ! .كما كانت تتحـلى بقلائد أو أســاور أو أقراط • وما كان يبدو عليها هيئـــة من تتوقع قبول دعوة للغداء • وكان ثوبهـا الرمادى على بســاطته منسجما على جســـمها بدقة واخلاص • ومن قبعتها الانيقـة التى تشبه العمامة الســوداء ، انتشر جناح ببغـاء أخضر مشرب بلون الذهب • وكانت فى هـذا الصباح بالذات تشع اشــعاعا لطيفا بالنضرة والحياة ، وكانت عينـاها تبرقان بريق الاحلام ، ووجنتـاها مضرجتان بحمــرة الخوخ ، وكان محياها يعـبر عن سعادة تشوبها حلاوة الذكريات•

ولاحظ بتشر الذى لم يفارقه عجبه بعد ، خلافا بينهـــا اليوم وبينهـــا فى أى يوم آخر ، فهى بدلا من أن تمضى رأسا الى الحجرة المتصـلة بحجرته ، والتى كان فيها مكتبها ، ظلت تتبـاطأ فى الردهة ، مترددة ، بل انهـــا اقتربت من مكتب ماكسويل ، كمن تحاول أن تسـترعى نظره الى وجودها •

ولكن الرجل الذى جلس الى هذا المكتب ، لم يعد بشرا ، ولكنه استحال الى آلة دائرة مشغولة ، تئز عجلاتها دون توقف •

وسأل مكسويل بحدة :

« حسنا ••• ماذا تريدين ؟»

وبدت رسائله المفتوحة على المكتب الحافل كأنها جبل من الثلج الزائف على مسرح تمثيل •

وقالت كاتبة الاختزال ، وهي تنصرف عنه باسمه :

« لا شيء » !

واتجهت الى كاتم الاسرار تقول :

« مستر **بتشر** • هل ذكر مستر **ماكسويل** شيئا بالامس عن استخدام كاتبة جديدة للاختزال ؟ »

وأجاب **بتشر** :

« أجل لقد فعل ، أنه أمرني أن أحصل على كاتبة جديدة ، وقد اتصلت مساء البارحة بمكتب الاختزال ليرسل بعض نماذج من فتياته هذا الصباح • وها نحن أولاء الآن في العاشرة الا ربعا ، ولم تظهر قبعة نسائية بعد ، ولا طقطق فم بلبان الاناناس »

قالت **السيدة الشابة** :

« اذن أعمل اليوم كالعادة حتى تجيء بديلتي لتملأ الفراغ »

ومضت الى مكتبها فورا فعلقت على المشجب المألوف قبعتها ذات العمامة السوداء ، والريش الاخضر المذهب ، من جناح الببغاء •

وأولئك الذين لم يروا منظر **سمسار بورصة** مشغول في **مانهاتان** ، لا يمكن أن يزعموا أنهم علماء بالاجناس البشرية •• ان الشاعر يتغنى « بالساعة الحافلة في الحياة المجيدة » ، وساعة السمسار ليست حافلة فقط ، ولكن الدقائق والثواني نفسها لا يكون فيها مجال لأي عمل جديد •

وكان هذا اليوم أحفل أيام **هارفي ماكسويل** بالعمل ، وراح جهاز الاخبار ، ينفض بطقطقته المألوفة أشرطته المكتوبة ، وأصيب تليفون المكتب بأزيز مدمن ، وأخذ كثير من الناس يحتشدون في المكتب ، وينادون **هارفي** من خلف السياج أحيانا في مرح ، وأحيانا في حدة او خبث أو هياج • وطفق صبيان الرسائل يدخلون ويخرجون حاملين الرسائل أو البرقيات ، والكتبة يقفزون من هنا الى هناك كبحارة هبت عليهم عاصفة • وحتى **بتشر** تداعت في عضلات وجهه ملامح كملامح الاحياء •

وكانت البورصة زوابع ، وانهيارات ، وعواصف جليدية

وجبال ثلج وبراكين . وهـذه الظواهر كانت تنعكس بصـورة مصغرة على مكتب السمسار . وأسند **ماكسويل** ظهر مقعده الى الجدار ، وراح يدير الاعمـال بمهارة شخص يرقص على أطراف قدميه ، يثب من جهاز الاخبار الى التليفون ، ومن المـكتب الى الباب بخفة البهلوان .

وفي وسط هذا الخضم المتلاطم أحس **السمســار** فجأة أن على مقربة منه هالة من الشعر الذهبي المعقـوص تحت مظـلة مائلة من البنفسج وريش النعـام ، من تحتها معطف من جلد عجل البحر الزائف ، وعقد من خرز في حجم الجوز ، ينتهي بقلب من الفضـة يتدلى حتى يكاد يصل الى الارض ، ورأى فتاة شابة تائهة بين هذه الملحقـات ، يقـدمها له **بتشر** قائلا :

ــ « سيدة من مكتب الاختزال ، ترغب في الحصول على الوظيفة الشاغرة »

ودار **ماكسويل** في مقعـده نصف دورة ، ويداه ممتلئتـان بالاوراق وأشرطة الاخبـار ، ثم تساءل في عبوس :

ــ « أية وظيفة ؟ »

قال بتشر : « وظيفة كاتبـة الاختزال . لقد كلفتني بالامس أن أتصل بالمكتب ، وأطلب واحدة لمقابلتك هذا الصباح »

قال **ماكسويل** :

« ألعلك فقـدت صـوابك **يا بتشر** . لماذا أطلب منك هذا الطلب ؟ ان مس ليسـلي كانت ومازالت موضع رضـاي التـام طوال عملها هنـا منذ عام . والوظيفة وظيفتها ما رغبت في أن تحتفظ بها . ما من وظيفـة شاغرة هنا يا سيدتي . وأنت **يا بتشر** عليـك أن تسحب من المكتب هذا الطلب ، ولا تدخل على أحدا منهن بعد الآن »

وغادر **القلب الفضي** المـكتب ساخطا ، يتأود في مشـيته ، ويتخبط عامدا بـكل ما يمر به من أثاث . وقضى **بتشر** لحظـة يصف فيها لعامل الارشيف مدى ما وصـل اليه « **العجوز** » من فقدان للذاكرة ونسـيان يزداد على الايام .

وازداد العمل توترا وشـدة وعجلة ، وتبعـثرت على الارض عدة أسهم كان بعض **عمـلاء ماكسويل** قد اسـتثمروا كثيرا من أموالهم فيها ، وترددت أوامر الشراء والبيع رائحـة غادية من

المكتب واليــه ، تردد العصافير ، وكثير من أســـهمه هو تعرض للبوار ، فراح يعمل كآلة دقيقة قوية جبارة ، تدور في حزم ، وبلا تردد ، وبأقصى ما لها من طاقة ، وأشد ما تســـتطيعه من سرعة . يقول الكلمة في وقتها، ويبدى الرأى في أوانه ، ويعمل العمل في ابانه بدقة الساعة . أنها دنيا من المال تزخر بالاسهم والسـندات والرهون والقروض والضمانات والفروق ، دنيـــا لا مجال فيها لنزوات الطبيعة أو عواطف البشر .

وعندما اقترب موعد الغـداء كان الهـــدير قد بدأ يتطـامن هونا ما، وكان **ماكسويل** يقف بجوار مكتبه عامر اليـــدين بالمذكرات والبرقيات ، معلقا قلمه على أذنه اليمنى ، مغشى الجبين بخصلات من شعره المهـــوش ، والنافذة مفتوحة لان الربيع المحبوب كان قد بدأ يرسل نسيمه الدافىء الى مراصد الوجود .

ودخل عبر النافذة أريج حائر عطر يكاد يغنى شذاه ... أريج حلو رقيق مســـــتمد من زهر البنفسج ، ماكاد يشمه **السمسار** حتى وقف لا يتحرك ولا يريم ، فأن هذا العبق كان عطــــر **مس ليسلي** المفضل ، كأن عطرها هى من دون الناس .

وكأنما جسدها هذا الشــذى أمامه في كل نضرتها ، فلم تلبث دنيا المال أن استحالت في عينــه الى هباء ، وهى مع ذلك على بعد عشرين خطوة في الحجرة المجاورة .

وقال **ماكسويل** يخاطب نفسه في صوت مسموع :

« لقد آن الاوان ، وسأخطبها اليوم . ترى كيف لم أفعل ذلك من قبل ؟ »

واندفـــع بعنف الى الغــــرفة الداخلية فوقع على مكتب كاتبة الاختزال .

ونظرت اليه باسمة ، تضرج وجنتيها حمرة خفيفـــة ، وتمتلىء عيناها عطفا وصراحة . واســـند **ماكسويل** مرفقه على مـكتبها ، وما زالت يداه ممتلئتين بالورق، والقلم معلقا على أذنه .

وقال في عجلة :

ــ « **مس ليسلي** . ليس لدى الا لحظة أضيعها ، وأريد أن أقول لك شيئا في هــذه اللحظة . هــل تتزوجينني ؟ انني لم أجــد من وقتى فراغا أبادلك فيــــه الحب كما يفعل الناس ، ولكنى أحبك

عن يقين • أجيبى بسرعة أرجوك، فان أصحابنا يتألبون على سل الروح من شركة الاتحاد الباسيفيكى » •

وقالت **السيدة الشابة** مذهولة وهى تنهض من مجلسها وتحملق فيه : « ماهذا الذى تقول ؟ » •

قال **ماكسويل** فى حدة : « ألا تفهمين ؟ أريد أن أتزوج منك • انى أحبك **يا مس ليسلى** ، وقد كنت على أن أخبرك من قبل ، وها أنذا أسترق دقيقة من وقتى عندما هدأ سيل العمل قليلا • أنهم يدعوننى الى التليفون الآن • استمهلهم لحظة **يابتشر** • **مس** ليسلى ألا تتزوجيننى ؟ »

وسلكت **كاتبة الاختزال** سلوكا عجيبا • فقد بدا عليها أولا أنها غارقة فى الذهول ، ثم انهلت الدموع من عينيها الحائرتين ، ثم ابتسمت كما تبتسم الشمس من وراء السحاب ، ثم مدت ذراعا من ذراعيها فطوقت به عنق **السمسار** فى حنان ، ثم ترفقت به وهى تقول :

ــ « انى ادرك الآن ، انه ذلك العمل المضنى الذى ينزع من رأسك فى هذه اللحظة كل ماعداه • لقد أرعبتنى فى البداية ••• ألا تذكر **ياهارفى** أننا تزوجنا البارحة فى الساعة الثامنة من المساء فى الكنيسة الصغيرة القائمة على ناصية الشارع ؟ »

فضولى



« عنـــدما يدس أنفـه فيما
لايعنيه ، يستطيع أن يلقى دروسا
فى ذلك على الهرة والغراب ! »

فضولي

ثمة شيئان أو ثلاثة كنت أريدمعرفتها . ولما كنت لااكترث بالمغـــامرات ، فقد بدأت أتقصى كنه هذه الاشياء .

واستغرقت أسبوعين لمعرفة مايحمله **النســـاء** فى حقـائبهن ، ثم رحت أسال عن سبب استعمال **حشـــيتين** على السرير ، وقد قوبل هذا السؤال بالشك فى البداية ، لانه بدا كاحجيـة ، وعرفت فى النهاية أن مرد ذلك الى تخفيف حمل النسـاء اللائى يمددن الفراش . وبلغ من حمقى انني رحت الح ، راجيـا أن أعلم لـماذا ، مادام الامر كذلك ، لاتتساوى الحشيتان فى أكثر الاحيان ، فقوبل الحاحي بالاهمال ..

وكانت الجرعة الثالثة التى كانت نفسي ظمأى الى احتسائها من معين المعرفة ، هى معرفة المعنى المراد **بالفضـــولى** . ان هذه الشخصية نمط من انماط الناس يدق على فهمه . والواجب يحتم علينا أن تكون فكرة راسخة عن كل شيء ، حـتى لو كانت فكرة خيالية ، قبـل أن نقول اننا ادركناه .

ان فى ذهنى صورة واضحة حتى للاشخاص الرمزيين ، ولكن خيالى يخوننى عنـدما أروضه على تصور شخصية الفضولى ! وكل ما كنت أتخيله فيه أن له خـدا مصعرا وثيـابا أنيقـة . وسالت عنه مخبرا صحفيا ، فقال لى :

ـ « انه نمط من الناس بين السيد والصعلوك ، وبين رواد المحافل الاجتماعية ورواد حلبات المـلاكمة . انى حائر كيف أصفه لك بدقة ، ولـكنك تراه فى كل مكان يدس أنفه فى اى عمـل .. اجل انه نمـط قائم بذاته ، يغـير ثيـابه كل ليلة ، ويعرف سبيله على الدوام ، وينادى كل شرطى فى المدينـة ، وكل نادل فى المطعم باسمه ، ولكنك لا تراه عادة مع امراة ، وانما تراه وحيدا أو مـع رجل آخر .. »

وتركنى صديقى المخبر الصحفى ، ومضيت فى بحثى قدما .. وكانت أنوار **مسرح الريالتو** تتألق من ٣١٢٦ مصباحا كهربائيا .. وكان الناس يغدون ويروحون ، ولـكن لم يسـتوقف نظرى احد منهم . نعم ان عيونا مستهترة كانت تحملق فى ، ولكن دون ايذاء .

وكان الحشد المؤلف من ذاهبين الى العشاء أو الشراب ، ومن عاملات ، وقسس ، وشحاذين ، وممثلين ، ولصوص ، وأصحاب ملايين ، وغرباء ، يسيرون من حولي مسرعين ، أو متثاقلين ، أو متجسسين ، أو مترنحين ، أو منفلتين ، فلا القي اليهم بالا ، لانى أعرفهم جميعا بسيماهم ، واقرأ ما فى قلوبهم ، وليست لى بهم حاجة ، فقد كنت أبحث عن فضولي ، من هذا النمط الخاص ، واذا تاه منى فى الزحام ، كان هذا خطأ كبيرا ..

ولكن دعونا نجد فى البحث . ان رؤية اسرة تقرأ صحف الاحد شيء بسار ، وانك لترى أفراد الاسرة لكل منهم شأن ، فالاب يحملق فى الصفحة التى صورت فتاة تقوم برياضتها أمام نافذة مفتوحة ، وهي راكعة .. ولكن مالنا ولهذا .. ؟ والام مشغولة بايجاد الحروف المحذوفة فى كلمة نيو .. يو .. ك . والبنات الكبار يقرأن الصفحة المالية ، ليبحثن فيها عن أخبار شاب معين ، قيل فى صحف الاحد الماضى أنه نال حظا كبيرا فى احدى شركات شراء الاسهم والسندات . والابن الاكبر البالغ من العمر ثمانية عشر عاما والذى يتعلم فى احدى مدارس نيويورك الشعبية ، مغرق فى قراءة مقال اسبوعى عن طرق اصلاح القمصان القديمة ، لانه يطمع فى نيل جائزة الخياطة فى الامتحان النهائى ..

وكانت الجدة تقرأ فى الملحق الفكاهى للجريدة منذ ساعتين .. والرضيعة الحابية تتعثر بخير ما تلقاه من الاثاث . ولقد حاولت أن أطنب فى وصف هذا المشهد من القصة ، لأستعيض به عن اغفال مشهد آخر ، يستحسن اغفاله لعلاقته بالمسكرات .

فقد ذهبت الى حانة لا ... وعندما كانت تمزج ، سألت الرجل الذى يترصد للملعقة الصغيرة التى يقلب بها الويسكى ليدسها فى جيبه عندما تفرغ من أداء عملها .. سألته عما يفهم من كلمة فضولى من حيث الاسم والصفات ، والسمات ، فقال فى حذر :

ــ « انه شخص حازم يعرف كيف يقضى لياليه ! .. »

فشكرته وانصرفت ، حتى وجدت فتاة من فتيات جيش الخلاص ، تمس بصندوق التبرعات الذى حملته ، جيب صدارى ، فسألتها :

ــ « هل صادفك فضولى يوما ما اثناء طوافك .. ؟ »

فاجابت ضاحكة :

ـ « أظنني أعرف الشخصية التي تشير اليها ، فنحن نصادفها في نفس الامكنة ليلة بعد ليلة . ان هؤلاء الفضوليين هم حرس الشيطان ، ولو ان جنود اي جيش كان لهم من الحمية والاخلاص ما لهؤلاء ، لكان جيشا ممتازا . اننا نختلط بهم ، فنحول بعض دراهمهم من خدمة الشيطان الى خدمة الله . »

وهزت صندوقها ثانيا ، فوضعت به درهما .

ولقيت صديقا من أصدقائي يعمل ناقدا ، وهو يهبط من عربة على باب فندق كبير ، وبدا لي انه غير مستعجل ، فألقيت عليه السؤال ، فأجابني عنه بطلاقة كما توقعت ، اذ قال :

ـ « ما من شك أن ثمة نوعا من الفضوليين في نيويورك ، فان هذا الاسم مألوف لدي ، ولكن لم يطلب مني قط أن أقوم بتعريفه . ولقد يشق علي أن أصوره لك صورة كاملة . بيد أني أستطيع أن أقول لك بالبداهة انه حالة مستعصية من حالات مرض نيويوركي معين ، هو حب الاستطلاع . ان الحياة تبدأ عنده في الساعة السادسة من كل مساء . . وهو شديد الاهتمام بتقاليد اللباس والسلوك ، **وعندما يدس أنفه فيما لا يعنيه** ، يستطيع أن يلقي دروسا في ذلك على الهرة والغراب . وهو الرجل الذي تحدى البوهيميين أنفسهم من أقصى المدينة الى أقصاها ، فهو على الدوام يتنسم بأنفه اثر شيء جديد ، انه مزيج من حب الاستطلاع والقحة والوجود في كل مكان . من أجله صنعت العربات الانيقة ، ومن أجله خلق السيجار ذو الطوق المذهب ، ومن أجله وجدت محنة الموسيقى أثناء العشاء .. ولئن كان عدد المرضى بهذا المرض قلائل ، الا انهم يثبتون وجودهم بكل مكان ! »

« اني سعيد باثارتك لهذا الموضوع . فقد كنت أحس بأثر هذه الآفة الليلية في مدينتنا .. ولكني لم أفكر في تحليلها من قبل .. وقد كان من الواجب أن يوضع الفضولي في مكانه منذ زمن طويل . ان تجار الخمر والازياء يهتدون بهديه ، والموسيقيين يعزفون له من الالحان ما يشاء ، وهو يقوم بجولاته كل ليلة في حين انك انت وانا لا نرى الفيل الا مرة كل أسبوع .. وعندما يهاجم رجال الشرطة حانوت سجائر (١) ، يغمز بركن عينه الى الضابط

---

(١) يبدو ان القصة مكتوبة في الوقت الذي كانت الخمر محرمة فيه في امريكا ، وكانت حوانيت السجاير تستعمل لتهريبها .

عارفا بالارض التى تحت قدميه ، وينصرف بسلام ، فى حين انك أنت وأنا نبحث بين أسماءالـكبراء أو النجوم عن شخص يشفع لنا عند الشرطة » .

ووقف صديقى الناقد عند هذا الحد يلتقط أنفاسه ، ليبدأ سيلا جديدا من الصفات . فانتهزت الفـرصة ، وصحت فى فرح :

ــ « لقد وضعت الفضولى فىمكانه ، وقـد رسمت له صـورة حية فى متحف الانماط والشخصيات بهذه المدينة . ولـكنى أحب أن الاقيه وجها لوجه ، وأن اعرفه عندما تقععينى عليه ، فأين القاه ، وكيف أتبينه ؟ »

ومضى **الناقد** فيما كان يقول ، دون أن يبـدو على وجهه ما يفيد استماعه للسؤال ، وكان سائق العـربة التى جاء فيهـا ينتظره ليحصل على أجره .. :

ــ « انه مثـل اعلى لدس الانف فى كل شىء ، وهو الخلاصة النقية للمطاط ، وهو الروح الصافية التى لا يمـكن ردها ولا تجنبها لحب الاستطلاع . وأنأنفاسه لمفاجآت ، واذا أحاطت خبرته بموضعما ، بحث لها عنمجال جديد بلجاجة والحاح ! »

واعترضته قائلا :

ــ « عفوا .. اتستطيع ان تدلنى على واحد .. ؟ انه شىء جديد لدى ، ويجب أنادرسه ،وسأقلب المدينة راسا على عقب لأجده ، وأكبر ظنى أن**برودواى**هذه هى موطنه المختار . »

قال صديقى :

ــ « اننى سأتعشى هنا ، فتعال معى ، واذا وجدت فضوليا فسأدلك عليه ، فانى أعرف أكثر المترددين على هذا المكان . »

فقلت : « شكرا فلن أتعشى الآن ، انى سأجد فىاثر طريدتى ولو طفت فى كل ارجاء المدينة الليلة .. »

وتركت الفندق ، ومشيت فى برودواى ، أجد للحياة أريجا ، وللهواء الذى أتنسمه متعة ، فى هذا الطـراد لذلك النمط من الناس الذى ابحث عنه . وكنتأحس البهجة بوجودى فى مثـل هذه المدينة العظيمة ، المعقدة ،المتعددة الصور . وظللت أسير على مهل وفى شىءمن الخيـلاء... وقلبى مزهـــو بأننى ابن لنيويورك الفخمــة .. لى نصيبمن بهجتها وملذاتهـا ومكانتهـا ومجدها الاثيل .

وانعطفت لاجتاز الطريق ، فسمعت شيئا يطن فى أذنى طنين النحلة ، ثم رحت فى غيبوبة ، سبحت فيها مع الملائكة فى رحلة ممتعة . وعندما فتحت عيني خيل الى أنى أشم رائحة بنزين ، وقلت فى صوت مسموع :

ــ « اترى الرحلة انتهت ؟ »

ووضعت ممرضة كفها التى لم تكن شديدة النعومة على جبينى الذى لم يكن به أثر للحمى مطلقا ، ثم جاء الي طبيب شاب فوضع فى يدى صحيفة من صحف الصباح ، وقال متمتما فى مرح :

ــ « لعلك تريد أن تعرف كيف وقع الحادث ؟ »

وقرأت المقال ، وكان عنوانه يبدأ من حيث سمعت الطنين فى اذنى الليلة الماضية ، واختتم المقال بهذه الكلمات :

ــ « ... الى **مستشفى بلفى** حيث قيل أن اصابته ليست ذات بال . ويبدو انه مثل صريح لذلك النمط من الناس الذين نسميهم الفضوليين » .

بعد عشرين عامًا



« والمنايا رصـــد للفتى حيث سلك ! »
« كل شيء قاتل حين تلقى أجلك »

بعد عشرين عاما

كان **الشرطي** يتمشى فى دركه بخطو عنيف ، وماكان هذا العنف تظاهرا ، ولكنه عادة ، وما كانت به من حاجة للتظاهر ، والناس ندرة فى الطريق ، فقد كانت الساعة العاشرة مساء ، والشوارع تكاد تخلو من روادها تحت لفحات الريح الباردة ، وما فيها من بوادر المطر .

كان يختبر الابواب وهو يمر بها ، ويهز عصاه فى حركات لطيفة معقدة ، ثم يلقى نظرة واعية على الطريق الهادىء الحين والحين .. وكان بهيكله القوى واختياله الطفيف ، صورة بهرة لحراس الامن والسلام . وكان الحى كله من الاحياء التى لا تسهر ، ولقد ترى فيه بين الفينة والفينة نورا ينبعث من حانوت سجائر ، أو مطعم يعمل طول الليل ، ولكن معظم الابواب كانت أبواب متاجر او مكاتب ، مر عليها منذ اغلقت وقت طويل .

وعندما وصل الشرطي الى منتصف بناء معين اتأدت خطاه فجأة ، فقد وجد فى مدخل مظلم لمتجر حدائد ، رجلا يستند الى الجدار ، ويضع بين شفتيه سيجارا لم يشعل ، ولم يكد الشرطي يتجه نحوه حتى بادره الرجل بالحديث وقال له فى لهجة الواثق .

ــ « اطمئن يا شاويش ، انى انتظر صديقا **واعدته منذ عشرين عاما** على هذا اللقاء ، ولقد يبدو ذلك مضحكا كما ترى ، ولكنى مستعد للايضاح اذا شئت ان تطمئن الى أن كل شىء فى امان .. فمنذ ذلك الحين كان فى موضع هذا المتجر **مطعم** . »

قال **الشرطي** :

ــ « لقد أزيل منذ خمسة أعوام » .. !

وأوقد الرجل عود ثقاب ، أشعل منه سيجاره ، فبدا فى ضوئه وجه أصفر مربع الاشداق ، ذو عيون صارمة ، وندبة صغيرة بيضاء على مقربة من حاجبه الايمن ، وتألقت ماسة ضخمة من دبوس على ربطة عنقه فى وضع غريب ، **ثم قال** :

ــ « فى مثل هذه الليلة منذ عشرين عاما تعشيت فى ذلك المطعم مع **جيمى ويلز** اخلص أصدقائى ، وانبل رجل فى الوجود . ولقد نشأنا معا فى نيويورك ، وكنت فى الثامنة عشرة ، وكان

جيمى فى العشرين ، وكنت على أن أرحل فى صبح اليوم التالى مهاجرا الى الغرب ، باحثا عن الثروة ، أما جيمى فما كانت قوة تستطيع أن تزحزحه من نيويورك اذ كان يراها خير مكان على وجه البسيطة . وتعاهدنا فى تلك الليلة على أن نتلاقى بعد عشرين عاما فى نفس الوقت ونفس المكان ، أيا كانت ظروفنا ، ومن حيثما شطت بنا الديار . وتوقعنا أنناقى غضون العشرين عاما يكون كل منا قد قرر مصيره ، ونال حظه من الثراء ، كيفما كان هـذا الحظ والمصير .. »

وقال الشرطى :

« يا له من شيء مثير ، وان بدا لى ما بين اللقائين كأمد طويل! ألم تسمع قط عن صديقك منذ كان الفراق ؟ »

فقال الرجل :

« أجل لقد تراسلنا ولكن الى حين ، ولم يمض الا عام أو عامان حتى كان كل منا يجهل عن صاحبه كل شيء . فالغرب كما تعلم تيه هائل ، ظللت أخب جاهدا وأضع فيه ، ولكنى واثق أن جيمى سيلاقينى الليلة أن كان على قيد الحياة ، فقد كان دائما أخلص وأوفى صديق على وجه الحياة ، ولن ينسى ابدا . ولقد قطعت ألف ميل لأقف الليلة فى مدخل هذا الباب ، وما أبخسه من ثمن اذا جاء الصديق القديم .. »

وأخرج الرجل ساعة جميلة رصع غطاؤها بقطع صغيرة من الماس ، ثم قال :

ــ « انها الآن العاشرة الاثلاث دقائق ، ولقد كانت الساعة العاشرة بالدقيقة عندما افترقنا فى نفس هذا الموضع على باب المطعم ! »

وسأل الشرطى :

ــ « لعلك نجحت فى الغرب .. ؟ »

ــ « أجل ، وكل رجائى أن يكون جيمى قد نال ولو نصف مانلته من توفيق . انه على طيبته لم يكن من ذلك النوع المجاهد الطموح . وجمع الثروة ليس بالامر اليسير ، فقد كان على لاجمع ماجمعت منها ان أنافس قوما يتوقدون ذكاء . ان المرء ليضيع فى نيويورك ، فى حين انه يستطيع أن يقهر الغرب ولكن بحد السيف . »

وهز الشرطى عصاه وخطا خطوة أو خطوتين ثم قال :

ـ « سأمضي لشأني ، وآمل ان يوافيك صاحبك . أتراك ترحل أن لم يحافظ على موعده بالدقيقة ؟ »

فقال الآخر :

« ما اظن ذلك ، وسأنتظره نصف ساعة على الاقل ، واذا كان جيمي حيا في أي مكان على سطح الارض فلن يتأخر ، وداعا يا شاويش »

قال الشرطي وهو يستأنف جولته ، ويختبر اقفال الابواب كما كان يفعل :

ـ « طبت مساء ياسيدي .. »

وكان المطر الآن ينهل رذاذا ، والريح قد استحالت نفحاتها الباردة ، الى صرصر عاتية ، وحث المشاة القلائل في الحي خطاهم في صمت وكآبة ، رافعين بنائق معاطفهم ، ودافنين أيديهم في الجيوب ، وفي مدخل متجر الحدائد كان الرجل الذي قطع ألف ميل ليفي بوعد مع صديق صباه ، يكاد تحقيقه يستحيل ، واقفا يدخن سيجاره ، وينتظر .. !!

وطال انتظاره حوالى عشرين دقيقة ، ثم ظهر شخص مديد القامة يعبر الطريق مسرعا من الجانب الآخر ، ويرتدي معطفا طويلا رفع بنيقته حتى غطت أذنيه ، ويتجه راسا صوب الرجل المنتظر ، حتى اذا أتاه سأله في شيء من الشك :

ـ « أهذا انت يابوب ؟ »

وقال الرجل الواقف بمدخل الباب :

ـ « جيمي ويلز ؟ »

فصاح القادم الجديد في تعجب وهو يصافح صاحبه بكلتا يديه :

ـ « يالله ! انه بوب بعينه ، ماض كأنه سيف القضاء . لقد كنت موقنا انني سأجدك اذا كنت مازلت على قيد الحياة .. ماأطول حقبة عشرين عاما من عمر الزمان . لقد امحى المطعم القديم ، وكم كنت أود لو كان باقيا لنتعشى فيه من جديد يا بوب . ترى كيف عاملك الغرب أيها الخل العجوز ؟ »

ـ « خير مايستطيع ، لقد أعطاني كل ماسألته . لشد ماتغيرت يا جيمي . ماحسبتك قط بهذا الطول .. ! »

ـ « لقد ازداد طولي قليلا بعد العشرين »

ـ « وهل فقت في نيويورك ياجيمي ؟ »

ــ « نوعا ما . ان لى مركزا فى احدى مصالح المدينة . والآن هيا بنا يابوب ، وتعال معى الى مكان أعرفه ، فنستعيد هنــاك ذكرى الليالى الخوالى .. ! »

ومشى الرجــلان يتأبط كل منهما ذراع صاحبه ، وبدأ الرجل القادم من الغرب يروى قصة حياته ، مغرورا بما لقى من نجاح ، والرجل الآخر ينصت اليه وهو غاطس فى معطفه ، باهتمام .

وكان على ناصية الطريق مقهى يتلألأ بالانوار الكهربائية ، فما أن أتياه حتى حملق كل منهما فى وجه صاحبه ، وكأنهما فى هذه النظرة على ميعاد .

ووقف الرجل القادم من الغرب فى مكانه بغتــة ، ثم ســحب ذراعه من ذراع صاحبه ، وصاح :

ــ « انك لست جيمى ويلز . ولقد تكون العشرون عاما دهرا طويلا ، ولكنها مهما طالت لاتغير انفا رومانيا أشم الى هذا الانف المدبب الصغير .. »

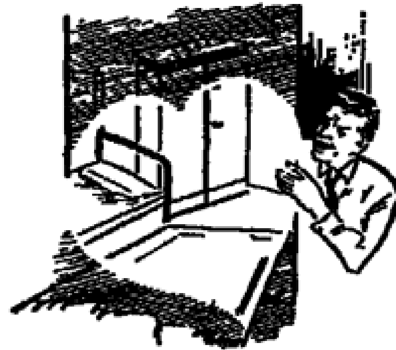
قال الرجل المديد القامة :

« بيد انها تكفى أحيانا لتحويل رجل طيب الى رجل شرير . انك مقبوض عليك منذ عشر دقائق يابوب ، وقد ابرقت لنا شيكاغو تقول انك ربما هبطت علينا ، ولها معك حساب . وأظنك ستمضى معى فى هدوء ؟ أليس كذلك ؟ ان من الحكمة أن تفعل ، ولكن قبل أن نذهب الى مركز الشــــرطة أحب أن أعطيك رسالة طلب منى أن أسلمها اليك . ولك أن تقرأها هنا فى ضوء هذه النافذة ، فأنها من الشرطى ويلز »

ونشر الرجل القادم من الغرب الورقة الصغيرة المطوية التى أعطيت له ، وكانت يده ثابتة عندما بدأ القــراءة ، ولكنه لم يكــد يفرغ من قراءتها حتى ارتعشت يده رعشــــة خفيفة . وكانت الرسالة قصيرة :

ــ « بوب : لقد كنت فى ملتقانا الموعود فى الوقت المحدد ، وعندما أوقدت عــود الثقاب لتشــعل ســيجارك ، رأيت فيك وجــه الرجل المطلوب فى شيكاغو ، ولامر ما عز على أن ألقى القبض عليك ، فانتحيت ناحية ، واستحضرت رجلا فى ثياب مدنية يحمل عنى هذا الحمل الكئيب » !!

الغرفة المفروشة



« ما اجمل ان يرى المرء نفسه ربا ولو لكوخ متواضع ، يكنسه ويحبه ، ويرعاه ! »

الغرفة المفروشة

كان أكثر سكان ذلك الحي الوضيع من أحياء (الوست اند) المبنى باللبن الاحمر ، مثل الزمان فى التقلب والقلق والادبار ، لابيوت لهم ، ومع ذلك فلكل منهم مائة بيت ، يهاجرون من غرفة مفروشة الى غرفة مفروشة ، موقوتى المأوى ، والحب ، والتفكير ، يتغنون «بالبيت ... البيت السعيد » ويضربون فى الارض يحملون فى صندوق من الورق المقوى مايملكون من قوت ومتاع .

ولما كان هذا الحى يقطنه ألف من الناس ، فينبغى أن تكون وراءهم ألف قصة ، وقد يكون اكثرها سخيفا ، وان كان من العجيب الا يخطر شبح أو آخر بين هذا الموكب من الرحل الهائمين .

وعندما ساد الظلام الحي ذات مساء ، كان احد الشبان يسير بين تلك «القصور الحمراء» يدق اجراسها واحدا بعد الآخر ، حتى أتى الباب الثانى عشر ، فتخفف من حقيبته الهزيلة ، وراح يزيل عن كفيه وجبهته ما علق بهما من غبار ، بينما كان رنين الجرس يسمع صداه الخافت قادما من مكان سحيق ، ولم يلبث حتى فتح الباب ، وظهرت ربة البيت ، فما أن وقع بصره عليها حتى خيل اليه انه امام دودة حقيرة منهومة فرغت لتوها من التهام قوقعة لم تبق منها غير الصدف ، ثم انسربت تبحث عن نزيل ميسور تملأ به ما بقى فى بطنها من فراغ .

وسألها عما اذا كان لديها غرفة للايجار .

فأجابت ربة البيت بصوت ينبعث من حنجرة مبطنة بالفرو : « توجد حجرة خلفية بالطابق الثالث ، خلت منذ اسبوع ، أفتريد ان تلقى عليها نظرة ؟ »

وتبعها الشاب فى السلم ، وكان به بصيص خافت من النور لا يعرف مصدره ، يطامن من ظلمة الردهات ، وعليه بساط بلغ به سوء الحال حتى لينكره النول الذى نسج عليه ، فقد بدا وبره كأنما استحال الى عشب . وكأنما بلى هذا العشب وتحلل ، وزحف منه العث والطحلب الى خشب السلم ، فاستحال الى مادة عضوية لزجة تغوص فيها الاقدام ، وعند كل منعطف فى السلم كانت توجد فجوة فى الجدار ، لعلها كانت تستعمل يوما ما قاعدة

لاصيص من أصص النبات ، ثم مات النبت في ذلك الجو الآسن العفن ، او لعلها كانت قواعد لتماثيل قديسين ، سطت عليهم الاشباح والشياطين ، فانتزعتهم من قواعدهم في حلك الظلام ، ورمتهم في قبو عفن مفروش . وقالت ربه البيت بصوتها المخملي :

« هذه هي الغرفة . انها لطيفة وقلما تخلو من نزيل ، وقد استأجرها بعض العلية في الصيف الماضي ، ولم يشعروا فيها بأية مضايقة على الاطلاق . وكان الدفع مقدما وفي اول دقيقة من أول كل شهر . وتجد دورة المياه في نهاية الردهة ، وقد أقامت بها سبراولز وموني طيلة ثلاثة أشهر وأقامابها عرضا موسيقيا فكاهيا، ولا بد انك سمعت بمس بريتا سبراولز ، فذلك هو اسمها في المحيط الفني . ومن فوق هذا الصوان كان عقد زواجهما معلقا في اطار . وهنا تجد الغاز ،وكما ترى توجد أكثر من خزانة في الجدار .. انها غرفة تنال اعجاب الجميع وقلما تخلو من ساكن .

وسألها الشاب :

— « هل يتردد على بيتك كثير من الممثلين .. ؟ »

فأجابت ربة البيت :

— انهم يذهبون ويجيئون . فأغلب عملائي ينتمون الى الوسط المسرحي . ولعل السيد يعلم ان هذا هو حي المسارح . والممثلون بطبيعتهم لايصبرون على بيت واحد ولا يمكثون في البيت الا لأمد قصير . ولا شك انني استفيد من ذلك . . نعم انهم يذهبون ويجيئون .

ورضي الشاب عن الغرفة ودفع مقدما ايجار اسبوع ، ورغب في ان يشغلها لساعته ، فقد كان متعبا مكدودا كما قال . وقالت ربة الدار ان الغرفة على أتم استعداد لا ينقصها شيء ، حتى المناشف والماء . .

وعندما همت بالانسحاب عاد يسألها للمرة الألف ذلك السؤال الذي تعلق بطرف لسانه :

— « هل مرت بك فتاة في مقتبل العمر تسمى مس فاشنر ؟ مس الوازفاشنر ؟ الا تذكرين مثل هذا الاسم بين نزلائك ؟ انها في

الاغلب مغنية مسرح ،وهي جميلة متوسطة الطول ، نحيفة القوام ذهبية الشعر ، في جبينها بجوار الحاجب الايسر شامة سوداء ، قالت ربة البيت :

ـ « كلا لاأذكر مثل هذا الاسم ٠ ان أهل الفن كثيرا مايعمدون الى تغيير أسمائهم بنفس السرعة التي يغيرون بها مساكنهم ٠ انهم يذهبون ويجيئون . كلا لا اتذكر هذا الاسم .. »

***

لا ، ودائما لا . انه لم ين طيلة خمسة شهور عن البحث والاستفسار ، لا يتلقى الا نفس الجواب ٠ لقد كان يستغل النهار طوال هذه المدة، يسأل عنها المدربين ووكلاء المسارح ، ومدارس التمثيل وبين نكرات المغنيات ، ويقضي الليل مندسا بين جماهير النظارة في المسارح على مختلف درجاتها، ثم ينحدر الى المراقص الوضيعة، وأخشى ما يخشاه أن يجد هناك تلك التى فاق حبه لها كل شيء واستيأس من العثور عليها ، رغم يقينه الجازم بأنها تختفى فى مكان ما ، لا يعدو نطاق تلك المدينة الضخمة ، التى هى اشبه ماتكون بمستنقع هائل من الرمال الخداعة لاتنفك ذراته تتحرك على الدوام الى غير قرار ، ما يعلو السطح منها اليوم يندفن غدا فى ذلك التيه من الوحل الخاتل الرهيب .

واستقبلت الغرفة آخر نزلائها فى كرم زائف ، وحفاوة محمومة شاحبة متكلفة ، كابتسامة عريضة على شفتى بغى ٠ وانعكست عليه أشعة متعة وهمية من الاثاث البالى ، والأغطبة المهلهلة على الاريكة والكرسيين العتيقين، والمرآة الرخيصة المضلعة القائمة بين النافذتين لا يزيد عرضها على قدم ، واطار أو اطارين مموهين بماء الذهب ، وسرير من النحاس الاصفر فى ركن من أركان الغرفة ٠

وجلس الضيف على أحد المقعدين منهكا يستمع الى همهمة الغرفة التى ازدحمت بالمعانى والمشاعر كأنها خلية من خلايا برج بابل ، وهى تروى له فى حديثها المشوش عن روادها المتنافرين ٠

كانت أرض الغـــرفة مغطاة ببساط تعـددت ألوانه حتى بدا في وسط الكنار الذى يحيط به من الحصير القـــذر ، كجزيرة مدارية مســتطيلة ، موشـاة بالزهر ، في وسط بحر لجى من الاوضــار • وعلى الحائط المغطى بالورق الفـاقع الالوان ، تدلت تلك الصور التى لا تفتأ تطارد من لا بيوت لهم ، من مـكان الى مكان : عشــاق الهيجونوت ، المعركة الاولى ، الفطور ، الروح على حافة الينبــوع • وبدا رف الموقد ملثما بستر وقح ، ينسدل عليه في فوضى ، كزنار راقصات الأمـازون • وقد رصـت فوقه أشياء أشــبه ما تكون بحطـام سـفينة غرقت فى أليم ، وألقى اليم بعض حطامها على الساحل : أصيص حقــير أو أصــيعان ، صور ممثــلات ، قارورة دواء ، بطاقات من ورق اللعب بعثرت فى غير ترتيب •

وكما تتضح أحرف الشـفرة عندما تحل رموزها ، أخذت المعالم التى تخلفت عن موكب الـنزلاء على هذه الغرفة تنجلى واحدا أثر واحد ، حتى يتألف منهـا معنى مفهوم •

فتلك الرقعـة من البسـاط التى تجردت من الوبر أمام خزانة الملابس تتحدث عن عدد كبير من الغانيــات الفاتنــات • وهذه البصمات الرقيقة على الحائط تشير الى أولئك الاطفال الصغار الذين تحسسوا طريقهم فى هذا السجن بحثا عن الشمس والهواء • وتلك البقع التى تنبعث أشــعتها ، كأنها صــور لقنابل تنفجر ، تشهد أن كؤوسا أو زقاق خمر قد تحطمت بما فيها على الجدران • وعلى صفحة المرآة المضلعة نقشت أحرف مهتزة تتكون منها كلمـة « مارى » بقلم من الماس ، ويد يترنح صاحبها من السكر • ولم يعد خافيا أن توالى النزلاء على هذه الغرفة ، كثيرا ما جرهم الى الثورة ، تحت وطأة تلك الكآبة المزدهرة التى تفوق كل احتمال ، فراحوا يصبون نقمتهم صبا على كل ما وجدوه ، ففى قطع الاثاث كســور ورضــوض ، والاريكة تداعت زنبركاتها ، واسـتكانت كثور هائج ، ذبح فى ثورة غضب الموت بحـلم ذابحيه ، ولم تسلم

صفحة الرخام التى تغطى رف الموقد من هذا الغضب الشامل ، فانصدع منها جزء كبير . وحتى أرض الغرفة بدت على كل لوح من ألواحها ملامح الاستغاثة المعولة ، من عذاب موبق أصاب كلا منها على حدة ، فى وقت أو آخر . ولما لم يكن من المعقول أن يكون كل هذا الحيف والتخريب الذى أحاق بالغرفة ، قد وقع كله عفوا من أولئك الذين آوتهم يوما من الايام ، فلا بد أن بقية من بقايا غريزة المأوى التى خدعت نفسها ، قد ظلت حية فى نفوسهم ، تؤجج حقدهم على هذه الآلهة الزائفة التى تدعى ربة الدار . وما أجمل أن يرى المرء نفسه ربا ولو لكوخ متواضع يكنسه ، ويحبه ، ويرعاه !

ظل الشاب فى مجلسه ، يدير فى خلده هذه الخواطر ، والبيت من حوله يئز ويعبق بالاصوات والروائح النفاذة منبعثة من الغرف المفروشة . فهذه ضحكات من احداها مائعة ، متأودة ، لا تعرف الحياء . وذلك موشح زجر وتأنيب قادم من غرفة أخرى ، وتلك طقطقة « زهر » فى أيدى مقامرين ، ومن غرفة رابعة انبعث صوت أم تغنى طفلها الذى أضناه البكاء . ومن فوقه ينحدر صوت أوتار تصحبه دندنة حالمة . ومن هنا أو هناك صرير أبواب ، وهدير قطارات متقطع ، ومواء حزين يصدر عن قط يجثم على السياج ، والانفاس تدخل الى صدره محملة بعبق البيت الفياح ، كأنه روائح عفن صادر من أقبية تحت سطح الارض ، امتلأت بالخرق والاقذار والخشب البالى فى الاثاث الرطب المؤوف .

ثم طافت بالغرفة فجأة نفحة من نفحات النرجس الحلوة ، وانتشر عبيرها فى قوة وعزم ، فانتفض الشاب صائحا :

« ماذا يا عزيزتى ؟ »

ونهض من مجلسه يتلفت يمنة ويسرة ، وكأنما يسمع شخصا يناديه ، والعطر السخى لا ينفك يطارده ويحيط به من كل صوب ، فيمد ذراعيه فى الهواء فى اضطراب ، ولكن كيف يمكن أن يكون للعطر

نداء يجزم المرء جزما بأنه يناديه؟ العله صوت ـ لا عطر ـ ذلك الذى مسه وعانقه واحتواه ؟

وصرخ مرة أخرى :

ـ « لابد أنها ترددت على هذه الغرفة .. ! »

وراح يبحث عن أثر ما يهديه، فقد كان واثقا أن أقل هنة منها، أو شيء لمسته يدها ، سيعرفه لا محالة . ان **عطر النرجس** الذكى هو عطرها الاثير ، الذى اصطفته لنفسها وفضلته على سواه ، فمتى نفح ، ومن اين جاء ؟ .

ان الغرفة كانت مرتبة ولكن فى غير نظام ، فعلى غطاء صوان الملابس الرث تناثرت ستة من دبابيس الشعر ، نحاها عنه ، فما فيها ما يدل على امرأة بعينها ، وهى صواحب كل امرأة ، مشاع بينهن ، تتشابه بلا فارق ، ولاتشير الى زمان . وانتقل الى الادراج فعثر فى أولها على منديل صغير مهمل رث ، لم يكد يضعه على أنفه حتى رماه الى الارض ، جزوعا من نتنه وسوء مخبره . وعثر فى الثانى على أزرار غريبة، وبرنامج رواية مسرحية ، وصك وهون ، وقطعتين ضالتين من الحلوى، وكتاب فى تأويل الاحلام!!

وفى الدرج الاخير صادف مشطا لماعا أسود مما يصفف به شعر النساء ، فوقف لحظة أمامه مبهوتا كالواقع بين الثلج والنار، ولكن المشط الاسود اللماع كذلك، شأنه شأن دبابيس الشعر لا يدل على شيء ، مشاع بينهن جميعا. وأخذ يذرع الغرفة رائحا غاديا ككلب من كلاب الصيد ، يجثو على ركبتيه ويديه ، ويتنسم الجدران والاركان ، لايترك رفا، ولا نضدا دون تنقيب ، ولا يسلم من يديه اطار او ستار ، حتى خزانة الشراب ، ومع ذلك فلم يهتد لها على أثر . انه يتبين وجودها بجانبه ، وفى ريحه، وحوله ومن فوقه ، ملاصقة له ، مدللة اياه ، وللمرة الثانية يجيبها بصوت مسموع : « **نعم يا عزيزتى** ». ثم يتلفت حوله فلا تقع عينه الا على هواء ، لان عبق النرجس الذى تناديه منه هيهات ان يخلق

له جسدا ولونا ، وهوى ، واذرعا تشتهى العناق .

وعاود البحث في الشقوق والاركان فوجد بعض سدادات الزجاج ، وبعض أعقاب السجائر ، فنحاها باحتقار ، وعثر فى ثنية من ثنايا الحصير على سيجار بقى نصفه ، فدهسه تحت نعله ولسانه يهذو باللعنات . وغربل الحجرة من اولها الى آخرها ، فلم يجد أثرا لتلك التى اشقاه البحث عنها ، والتى لا يبعد أن تكون سكنت هذه الغرفة ، والتى يبدو أن روحها ترفرف فى هذا المكان !

وتذكر ربة البيت فجأة ، فغادر من فوره غرفته المليئة بالاشباح ، واتجه نحو باب ينبعث منه شعاع من الضوء فى حجرة ربة البيت ، وطرق الباب ، فخرجت اليه ، فسألها وهو يجاهد فى اخفاء انفعاله :

ــ « هل تتكرم سيدتى بافادتى عمن كان يحتل غرفتى قبلى .. ؟ »

ــ « بالطبع يا سيدى ، واقولها مرة أخرى .. ان اسلافك هما سبراولز ومونى ، وكما قلت من قبل ، كانت مس برتا سبراولز تعرف فى المسرح بهذا الاسم ، ولكن اسمها هنا كان مس مونى . ان بيتى محترم معروف طيب السمعة ، ولقد كان عقد زواجهما معلقا فى اطاره على مسمار فى ... »

ولم يدعها تكمل ، فقاطعها قائلا :

ــ « من أى نوع من أنواع النساء مس سبراولز ، أعنى من حيث الشكل بطبيعة الحال ؟ »

ــ « كان شعرها فاحما ، وكانت قصيرة القامة ، ممتلئة .. ذات وجه مضحك .. وقد انصرفت هى وزوجها منذ اسبوع فى يوم ثلاثاء ..

ــ « ومن كان يستأجر الغرفة قبلهما ؟ »

ــ « سيد كان يعيش فريداويشتغل بأعمال النقل ، وتركها مدينا لى بأجر اسبوع ، وسكنتها قبله مسز كراودر وطفلاها الاثنان ،

فامضت بها اربعة شـهور ، ثم المسـتر دويل ، وكان شـيخا يعوله ولداه ، وقضى بها ستة أشهر ، وهذا يردنا الى عام .. وقبل ذلك لم أعد أتذكر .. »

وشكرها وقفل راجعا الى حجرته ، وكانت في صمت القبور ، ولم يعد بها أثر لذلك العطـر الذكى الذى ملأ أرجاءها حياة ، فقد اختفى أريج النرجس تماما ، وحل محله نتن الاقبية الرطبة ، وأثاثها البالى المؤوف ، وجـوها الآسن المكتوم .

وغيض هذا الفيض من آماله المنهارة ما كان فى نفسه من ثقة وايمان ، فارتمى فى مقعده شاخصا الى مصـباح الغاز ذى اللهب الباهت . وما لبث أن اتجه الى السرير ، فمزق ملاءته قطعـا رفيعة ، واستعان بنصل مديته على أن يسد بها شقوق النوافذ ، وفروج الباب . فلما استوثق من كل شيء أطفأ اللهب ، ثم فتـح الغاز على آخره ، وسجى نفسه قرير العين على السرير .

انتهى

مطابع دار أخبار اليوم

الملايين الأربعة



للمؤلف القصصى الامريكى « او . هنرى »
ولد سنة ١٨٦٢ وتوفى سنة ١٩١٠

سئل « **او . هنرى** » ذات مرة ، وهو يجلس فى مطعم مع بعض الصحفيين : « من اين يستمد افكار قصصه ؟ » فقال: «من كل مكان ، فقلما تجد شيئا لا ينطوى على قصة » ، وامسك قائمة الطعام فى يده ، وقال : « اليكم هذه القائمة مثلا .. ان من الممكن ان تجدوا قصة وراء حروفها الخرساء » ! ثم راح يضع الخطوط الرئيسية لقصته (**ربيع تحت الطلب**) المنشورة فى هذا الكتاب

ان طريقته فى القصة ان يمسك بالشىء التافه المألوف فى
فيمزج بينه وبين تجربة من تجارب حياته الخا
على هذا المزيج بعض الالوان من ريشته الفلسفية ال
بالشىء المألوف التافه يستحيل الى خلق جديد ،
الفارغة المهملة على ساحل الحياة قد عمرت من حرا
وعواطف قلبه الوديع ، بلؤلؤة تحار فى جمالها ال

« من مقدمة الدكتور سعيد





طبعت بمطابع دار اخبار اليوم